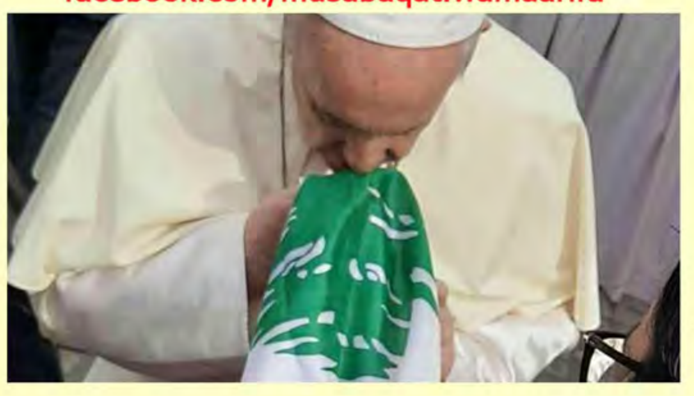
لحد خاطر





العلاقات المتبادلة بينهما من صدر النصرانية حتى اليوم





© دار ابن حزم خاطر
للطباعة والنشر والتوزيع
تلفون: ٢١٧٦٩٦ (٠١) - ٣٣٠٨٢٠ (٠١) - ٣٩٨٨٢٨ (٠١)
ص.ب ١٦٦٠٢٠ - بيروت، لبنان

لحد خاطر



العلاقات المتبادلة بينهما من صدر النصرانية حتى اليوم





طبعة ثانية

بيروت ١٩٨٩

المقدمة

للاستاذ لحد خاطر جولات موفقة في تاريخ لبنان الديني ، الى جولات له من نوعها في تاريخه المدني ، ولاسيا ما تعلق منه بالتقاليد الشعبية ، والعادات الاجتماعية ، في الاعياد والمواسم بنوع خاص .

وها هو اليوم يضيف الى انجاته السالفة الشيقة هذا الكتاب القيم ، يجلو فيه صفحة جميلة من تاريخنا الديني والسياسي ، ألا وهي صفحة علاقاتنا بالفاتيكان ، ذلك الصرح الروحي الشامخ على معترك الدنيويات وتطاحن السيادات .

كيف لا نرحب بهذا البحث ، يفتح كوة من الاشعاع الروحاني يستنير بها عالمنا المتهوّك المتهور في متاهات المادة ، وكيف لا نشكر لصاحبه هذه العناية بقيمنا السامية ، وهذا التاريخ لمآتينا الروحية المتابعة عبر الاجيال .

يشرع الباب الاول من الكتاب على أقدم علاقة لبلادنا بالبابا ، وهي تلك الرسالة العريقة التي أرسلها رهبان بيت مارون ، أو دير مار مارون على العاصي ، الى البابا هرميسداس سنة ٥١٧ ؛ حتى اذا أصبح للحبر الاعظم قصّاد موفدون ونواب رسوليون في العهد الصليبي خاصة ، انتظمت هذه العلاقات وتوطدت أهدافها وأينعت ثمارها عصراً فعصراً ، من عهد القصاد العاديين أو المألوفين ، الى استقرار السفراء السياسيين أو الدبلوماسيين البادىء عهدهم فور استحكام استقلالنا في طوره الحديث .

يلي ذكر هؤلاء الموفدين ذكر البطاركة الشرقيين اللبنانيين ، وتفصيل

علاقاتهم بالسدة البابوية ، من بطاركة الموارنة المؤسس كرسيهم في أوائل القرن الثامن ، على ان علاقتهم بالبابا سابقة لهذا العهد كما هو معروف من رسالة رهبان بيت مارون التي أشرنا اليها ؛ الى بطاركة الروم الكاثوليك وأول من توشح منهم بدرع التثبيت من البابا هو البطريرك كيرلس طاناس في أوائل القرن الثامن عشر ، الى بطاركة السريان الكاثوليك وأولهم ميخائيل جروه في أواخر القرن الثامن عشر ، الى بطاركة الارمن الكاثوليك وأولهم ابراهيم ارزيفيان في أوائل القرن نفسه .

ثم يعرض المؤلف لعلاقات البابا بالارثوذكس ممهداً لرغبات الاتحاد ، فبالمسلمين منذ عهود بعض الخلفاء فالسلطنة العثمانية الى اليوم ، فبالدروز على عهد المعنيين والشهابيين ولاسيما على عهد الامراء فخر الدين ويوسف وبشير (أبي سعدى) .

وكان لا بد من الاشارة الى علاقات الحبر الاعظم بالبيوتات اللبنانية الشهيرة ، خاصة الامير الحاكمة ، فتتبعها المؤلف ، حقبة حقبة ، بشمول وتدقيق عجيبين : حتى انتهى الكتاب على أقرب الحوادث الينا وأبقاها ذكراً في اذهاننا من مثل ما جرى منها في عهدي الانتداب والاستقلال الحالي ولاسيما تلك التي وقعت بعد ان تبودل بيننا وبين الفاتيكان التمثيل الدبلوماسي في ايام الرؤساء : الشيخ بشاره الخوري ، كميل نمر شمعون ، اللواء الامير فؤاد شهاب ، الاستاذ شارل حلو الرئيس الحالي .

فأحرِ برواد التاريخ اللبناني ان يقبلوا على مضامين الكتاب تفهماً واستيعاباً فتقديراً لاحداثنا الدولية وعلاقاتنا الخارجية وبالتالي استزادة من التنويه بفضل المؤلف وشكره والدعاء له بحياة سعيدة مديدة .

دير القمر ٨ / ٩ / ١٩٦٥ — فؤاد افرام البستاني

تصدير

نشأت للبنان مع مختلف البلدان وعلى توالي الاجيال والازمان علاقات متباينة النوع والاسس والاهداف ، اضمحل بعضها وتبدّل بعضها الآخر ، بسبب ما طرأ على تلك البلدان في سياق تاريخها من اضمحلال أو تبدّل .

أما علاقاته بالكرسي الرسولي فما زالت هي هي ، ثابتة راسخة من أول عهدها حتى اليوم ، ذلك لأنها محضة للخير ، مجردة عن أي نفع مادي ، ولأن لهذا الكرسي المقدس سنداً علوياً يضمن له البقاء الى آخر الدهر ، كما وعده السيد المسيح في انجيله الكريم .



المؤلف

استهوتني تلك العلاقات اللبنانية الفاتيكانية منذ خصصت نفسي بمعالجة التاريخ ، وعرفت ما لها في كياننا من شأن ، فأقبلت على درسها ، وجمع شتاتها من مختلف المظان والمراجع ، وأخذت أولاً أنشرها في مقالات متابعة في المجلات والصحف ، ثم خطر لي ضمها في كتاب يكون الاول في نوعه فتجلى فوائده وتصان عوائده ، ولم ألبث ان أبرزت فكرتي الى حيّز العمل ، فراجعت تلك المقالات مقالةً مقالة واشبعتها تحقيقاً وتمحيصاً ، ونظمتها في فصول (أشار الى محتوياتها استاذنا

العلأمة الدكتور فؤاد افرام البستاني في كلمته الجميلة السابقة المعبّرة عما يتمتع به من أدب جم وخلق رفيع) وقد جاءت تلك الفصول تحقق ما هدفت اليه من ان أخدم فيها معاً وفي آن واحد « لبنان والفاتيكان » اللذين يتساويان في ما لهما في قلبي وفي قلوب اخواني اللبنانيين من حب وحرمة ، وذلك بابراز ما يتمتعان به ، على انكماش حدودهما ، من صفات معنوية سامية ، جعلتهما ينفتحان على العالم بما يريدانه له من خير ، ويبذلان لاجل اشاعة الامن والعدالة بين ظهرانيه من جهود ، وبأن أدوّن صفحة لناحية خاصة من تاريخهما كانت ما تزال مطوية ، وقد آن لها في هذا العصر المشع بأنوار الحضارة ان تبصر النور ، ألا وهي تلك التي تنطوي على ما قام بينهما من علاقات ولاء وتعاون ، على توالي الاجيال ، في الحقول الروحية والادبية والسياسية من أقدم عصور النصرانية حتى اليوم .

ومن أخص ما توليت ايضاحه في هذه الفصول ، وهو مدعاة فخر للبنان ، ذلك التضامن الوثيق بين من فيه من أبناء الطوائف الاسلامية والمسيحية ، واتفاقهم جميعاً ، في وحدة وطنية مثلى ، وتسامح طلق ، على تبادل شعائر الاحترام نحو كل ما عندهم من معتقدات ، ومقدسات ، وأعياد ، ورئاسات . وقد أدى بهم ذلك الى تشاركهم في اجلال تلك العلاقات الناشئة بينهم وبين الفاتيكان ، على الصعيدين الدبلوماسي والشعبي ، اندفاعاً مع ما عرفوه من رغبة الاحبار الاعظمين في تحقيق التعايش السلمي في الكون ، وتوطيد دعائم الاخوة بين اللبنانيين جميعاً دون تفريق ، ومن تمتع المقام البابوي بسلطات أدبية لا تعلو عليها سلطة ، يمكن للبنان ان يجني منها فوائد جمة يتقاسمها أبناؤه بالتساوي .

وعلى ذلك تتضح للقارىء تلك البواعث التي حدتني على ايداع هذا الكتاب أخباراً مفصلة عن تلك الصلات الولائية التي تبادلها عبر التاريخ مع الكرسي الرسولي كبار زعماء المسلمين في العالم الاسلامي عامة ، وفي لبنان خاصة ، ولاسيما في هذه الآونة الاخيرة .

ومن حسن طالع كتابي ان يبرز الى عالم النشر ، وعلى رأس كل

من الفاتيكان ولبنان صاحب القداسة البابا بولس السادس ، وصاحب الفخامة الرئيس شارل حلو ، اللذان بما هو معروف عن ارتباطهما بوشائج صداقة متينة قديمة ، ومن تبادلهما الحب للبنان والكرسي الرسولي على السواء ، يعملان تارة متعاونين ، وطوراً كل على حدة ، على انماء تلك العلاقات اللبنانية الفاتيكانية التي يدور عليها هنا موضوع مباحثي .

اسأل الله ان يقدر لكتابي هذا الحظوى بما أتمناه له من رواج في سوق الادب ، ومن حسن قبول لدى عشاق عرائس الفكر ، ومحاسن المواضيع اللبنانية ، راجياً ان يجد فيه اخواني اللبنانيون ، مقيمين ومغتربين ، على اختلاف طوائفهم ومعتقداتهم ، ما أبتغيه لهم من فائدة ولذة .

بيروت في أول ك ١ ١٩٦٥ — لحد خاطر



رسائل عطف وتنشيط

بعد ان انجزت طبع كتابي هذا من الصفحة ٢٥ فما بعد ، رأيت ان أقدم نموذجات منه لبعض المقامات والشخصيات الجليلة لابداء رأيها فيه ، فكان ان تلطفت ووجهت اليّ رسائل عطف وتنشيط هذه أمثلة منها :

رسالة صاحب النيافة والغبطة السامي الاحترام

بولس بطرس المعوشي

بطريرك انطاكية وسائر المشرق الماروني

كردينال الكنيسة المقدسة

بطريركية انطاكية وسائر المشرق المارونية — لبنان

البركة الرسولية تشمل حضرة ولدنا الاستاذ لحد خاطر المحترم

لا يسعنا الأ ابداء ارتياحنا لنشركم كتابكم « لبنان والفاتيكان » والثناء على الجهود التي تكبدتموها في جمعه ووضعه .

فقد اضفتم الى مؤلفاتكم العديدة سفراً جديداً اودعتموه ما التقطتم في مطالعاتكم عن علاقات وطننا العزيز لبنان بالكرسي الرسولي المقدس واضفيتم على روايتكم للحوادث طلاوةً ألفتها يراعتكم وطالما تلذذ بها قراؤكم .

من مفاخر لبنان في كل اطواره تعلقه الدائم بالقيم الروحية . يظهر ذلك بنوع خاص من علاقاته بأكبر سلطة ادبية في العالم وعطف هذه السلطة السامية عليه .

ولم تقتصر هذه الظاهرة على طائفة من طوائفه المتعددة ، ولا على

صاحب النيافة والغبطة الكردينال بولس بطرس المعوشي بطريرك انطاكية وسائر المشرق لطائفة المارونية السامي الاحترام

سلطة من سلطاته الدينية والزمنية ، بل اشترك فيها جميع أبنائه وطوائفه وسلطاته . واذا ذكرنا القسط الوافر الذي أصابته طائفتنا من ذلك فليس للمباهاة ولكن لنحمد الله على آلائه .

فندعو لمؤلفكم بالرواج الذي يستحقه وحصول الفائدة التي تتوخونها من نشره ، وهي – كما تذكرون – دعوة الشعب الى تقدير القيم الروحية قدرها وانهاض معنوياته وانماء تلك الثروة الروحية التي لديه وهي أساس كيانه .

وبينا نتمنى تحقيق هذه الغاية المثلى ، نبثكم عاطفة حبنا الابوي ، ونسأل الله ان يشملكم بنعمه وبركاته .

الحقير

مكان الختم الكردينال بولس بطرس

عن بكركي في ١ ايلول ١٩٦٥ بطريرك انطاكية وسائر المشرق



صاحب النيافة والغبطة مكسيموس الصائغ الرابع بطريرك انطاكية
وسائر المشرق والاسكندرية واورشليم كردينال الكنيسة المقدسة السامي الاحترام

وهذه رسالة صاحب الغبطة والنيافة

مكسيموس الصائغ الرابع

بطريرك انطاكية وسائر المشرق والاسكندرية واورشليم

كردينال الكنيسة المقدسة

سجل ١٦ رقم ١٢٩١

عين تراز في ٢ ايلول ١٩٦٥

حضرة الابن العزيز الاستاذ لحد خاطر المحترم – بيروت

السلام والدعاء والبركة الرسولية

لقد علمنا انكم عازمون على جمع المقالات الطريفة التي نشرتموها تباعاً في مجلة « الرسالة المخلصية » وعلى طبعها في كتاب واحد يتضمن ما وصلتم اليه من المعلومات بشأن علاقات كرسي رومية الرسولي بلبنان وطوائفه .

فنحن نحبذ عزمكم هذا ونشجعكم على التوسع في نشر تلك المعلومات لفائدة الشعب ، وحمل القراء على زيادة التعلق بصاحب الكرسي الروماني ، الذي لم تكن علاقاته بلبنان الا لخير لبنان وبنيه .

وفيما ندعو لكم بالنعمة والصحة والتوفيق ، نكرر عليكم السلام الابوي والبركة الرسولية .

مكسيموس الرابع

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

والاسكندرية واورشليم

كردينال الكنيسة المقدسة



صاحب النيافة والغبطة الكردينال اغناطيوس جبرائيل تبوني
بطريرك السريان الكاثوليك الانطاكي السامي الاحترام

وجاءني من صاحب النيافة والغبطة

الكردينال اغناطيوس جبرائيل تبوني

بطريرك السريان الكاثوليك الانطاكي السامي الاحترام

بطريركية السريان الكاثوليك الانطاكية – بيروت لبنان

رقم ١٦٤/٦٥ في ٣ ايلول ١٩٦٥

حضرة الاستاذ لحد خاطر المحترم

البركة الرسولية والسلام والمحبة بالرب

اما بعد، تفضلتم وقدمتم لنا كتابكم القيم « لبنان والفاتيكان » فتصفحناه والفيناه فريداً في موضوعه، هاماً بمعلوماته المختلفة، شيقاً بوثائقه الدفينة، سلساً باسلوبه، سهلاً بعبارته، واضحاً في تقاسيمه وتبويبه.

اجتهدتم فبينتم فيه بجلاء تلك العلاقات الوثيقة والصلات العريقة، الاجتماعية والادبية، السياسية والدبلوماسية، الثقافية والعلمية، الطائفية والروحية، التاريخية والودية، التي ربطت لبنان والفاتيكان على مر العصور والازمان، بروابط الولاء والتعاون والسلام والمحبة والعلم والاحترام.

وفيما نبارك هذه الخدمة الجليلة التي أديتموها للتاريخ عامة، وللبناننا العزيز خاصة، ونثني الثناء العاطر على الجهود الحميدة التي بذلتموها في سبيل العلم، نهنئكم من صميم الفؤاد، ونشجعكم على وضع مثل هذه المؤلفات الجيدة، ونتمنى لكتابكم الانتشار والرواج السريع، وندعو لشخصكم الكريم بالصحة والتوفيق، ونستمطر عليكم وعلى ذويكم الاعزاء فيض النعم الروحية، والخيرات الزمنية والبركات.

الكردينال اغناطيوس جبرائيل تبوني

بطريرك السريان الانطاكي



صاحب الغبطة اغناطيوس بطرس السادس عشر بطانيان
بطريرك الارمن الكاثوليك السامي الاحترام

ومن صاحب الغبطة

اغناطيوس بطرس السادس عشر بطانيان

بطريرك الارمن الكاثوليك السامي الاحترام

بطريركية الارمن الكاثوليك بيروت - لبنان ٨ ايلول ١٩٦٥

رقم ٧٨٥ / ٢٩

حضرة الاستاذ لحد خاطر المحترم

ان الكتاب الذي تقصدون نشره تحت عنوان « لبنان والفاتيكان » يستحق كل تقدير ، لما يحويه من اخبار وحوادث تبين علاقات لبنان التاريخية ، منذ اجيال ، باعظم سلطة روحية وادبية .

ويسرّ كل لبناني ان يشاهد في الكرسي الرسولي محوراً تدور حوله عناصر لبنان ، على اختلاف طوائفه ، وان نجد فيه اداة وحدة تجمعها في حب الله ، وتحرضها على التعلق بارض الارزة الخالدة ، التي يشيد بجمالها الاحبار الاعظمون ، ويتمنون لها السلام والازدهار والسعادة .

وانه لمن حظ الشعب الارمني ان يكون له نصيب في هذه العلاقات ، منذ بدء القرن الثامن عشر ، اذ وجد اسلافنا موطناً في هذا الجبل المبارك أمّن لهم كيانهم وتعلقهم بالكرسي الرسولي .

واذ كانت مباحثكم في شؤون تاريخية ، اسمح لنفسي بأن أسرد ما قام به صاحب النيافة الكردينال أغاجانيان بعد استقلال لبنان من مساعٍ تسهيلاً لاعتراف الكرسي الرسولي بهذا الاستقلال ، واقرار العلاقات السياسية والتمثيل الدبلوماسي .

في أوائل سنة ١٩٤٦ ، اذ كان الكردينال أغاجانيان في رومة ، دعاني الطيب الاثر الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية لذلك الحين ،

وحدثني عن أهمية اعتراف الكرسي الرسولي باستقلال لبنان ، وعن اعتقاده بأن سعي الكردينال أغاجانيان ، بالنظر الى ما له من علو المنزلة وفائق الاعتبار لدى الكرسي الرسولي ، يمكنه ان يمهّد الطريق كثيراً أمام هذا الامر ، وطلب اليّ ان أكتب الى نيافته ليتوسط في هذا الشأن لدى أمانة سر الدولة الفاتيكانية ففعلت ما رغب فيه فخامة الرئيس .

ومن ثم أخذ صاحب النيافة يعمل على عادته دون تظاهر ، وبحكمة وفطنة ، ولم تلبث مساعيه ان تكللت بالنجاح ، وتمّ له ما أراد من اعتراف الكرسي الرسولي باستقلال لبنان .

وفي ذات يوم حضر المرحوم ميشال شيحا الذي كان صلة وصل بين الرئيس بشاره الخوري ووزارة الخارجية اللبنانية وبين صديقه والمعجب به الكردينال أغاجانيان ، وقدم لنيافته ملحقاً لترجمة شاب من خيرة اللبنانيين هو الاستاذ شارل حلو الذي كانت الحكومة اللبنانية قد رشحته ليكون لها أول وزير مفوض لدى الكرسي الرسولي .

فقام الكردينال بتقديم تلك الترجمة الى أمانة سر الدولة الفاتيكانية مؤيداً ما انطوت عليه ، وبعد زمن قليل جاء جواب الكرسي الرسولي بالموافقة ، فكلف صاحب النيافة المرحوم ميشال شيحا ابلاغ ذلك الى الرئيس بشارة الخوري ووزارة الخارجية اللبنانية .

وعلى الاثر خف الاستاذ شارل حلو يقدم الشكر للكردينال ، فسمعت نيافته يهنىء الوزير المفوض الجديد ويهنىء لبنان ، قائلاً : « ان هذا التمثيل يعتبر دخول لبنان مدينة الله » .

ومنذ سنة تشرفت بزيارة الاستاذ شارل حلو لاهنئه بانتخابه رئيساً للجمهورية اللبنانية ، وذكّرت فخامته بكلام الكردينال وأضفت : « اليوم يمكننا القول ان تولية فخامتكم الرئاسة الاولى تعتبر حقاً دخول مدينة الله لبنان » .

وان زيارة صاحب القداسة البابا بولس السادس لبنان وهو في طريقه

الى الهند هي ولا شك صورة تظهر دوام دخول مدينة الله لبنان .

وزيارة الرئيس شارل حلو الفاتيكان في شهر ايار من هذا العام هي ولا شك صورة تظهر دوام دخول لبنان مدينة الله .

ايها الاستاذ المحترم ان كتابكم « لبنان والفاتيكان » يضع أمام القارىء الفرص العديدة التي جرى فيها ، على ممر الاجيال ، هذا الدخول المتبادل الذي له أهميته الكبرى في تاريخ لبنان .

فبينا اهنئكم على ما قمتم به من الابحاث الثمينة لتعريف لبناننا العزيز في وجهته هذه المجيدة ، اسأل الله ان يبارك سعيكم ، وأتمنى لكتابكم رواجاً بين اللبنانيين ليطلعوا فيه على ما يشرّف لبنان ، ويجدوا ما يحرضهم ويساعدهم على حب الله والوطن .

وتفضلوا يا حضرة الاستاذ بقبول تحياتي الخالصة وفائق اعتباري .

اغناطيوس بطرس السادس عشر بطانيان
بطريرك الارمن الكاثوليك



صاحب السيادة السيد جينارو اليراندي
السفير الرسولي في لبنان الفائق الاحترام

وتفضل عليّ صاحب السيادة السيد جيتانو اليبراندي
السفير الرسولي في لبنان برسالة فرنسية

هذا نصها :

Beyrouth, le 24 septembre 1965

Monsieur

J'ai appris avec beaucoup de satisfaction votre décision de livrer à l'impression votre livre « Le Liban et le Vatican », livre nouveau dans son genre, qui relate l'histoire des relations tant spirituelles que culturelles que ne cessa d'entretenir, depuis des siècles, le liban avec le Saint — Siége.

J'ai relevé avec plaisir la place importante que vous avez réservée dans ce livre aux relations diplomatiques contemporaines, mettant en relief celles survenues au cours du Pontificat de Sa Sainteté Paul VI et de la Présidence de Son Excellence Monsieur Charles Hélou, et qui ont revêtu, du fait de l'amitié toute personnelle qui lie Sa Sainteté et Son Excellence, un caractère de simplicité et de cordialité toute spéciale. Le passage au Liban du Saint Père en route pour l'Inde, l'élévation de deux Patriarches Orientaux à la dignité cardinalice, la réception de Son Excellence le Président Hélou et de sa suite au Vatican en mai dernier, autant d'occasions qui ont permis de resserrer les relations déjà existantes, dans une atmosphère de limpidité et de sincérité.

Voilà pourquoi, tout en exprimant mon entière satisfaction pour la parution de cette page lumineuse de l'histoire du liban et du Vatican, je bénis ce travail qui en dit long sur votre attachement et votre fidélité à votre Patrie et au Saint — Siège et lui souhaite de tout cœur la diffusion qu'il mérite.

Veuillez agréer, Monsieur, l'assurance de mes sentiments religieusement dévoués en Notre Seigneur.

+ **GAETANO ALIBRANDI**
Nonce Apostolique

Monsieur Lahad Khater
Beyrouth

وهذه ترجمتها الى العربية :

السفارة الرسولية في لبنان

بيروت في ٢٤ ايلول ١٩٦٥

الى السيد لحد خاطر - سيدي

عرفت بكثير من الارتياح انكم قد صممتم على ان تنشروا بالطبع كتابكم الجديد في نوعه « لبنان والفاتيكان » الذي يعالج تاريخ تلك العلاقات الروحية والادبية التي ما زال يتبادلها لبنان والكرمي الرسولي المقدس منذ عصور .

ومما قابلته بسرور تلك الناحية الهامة التي أفردتموها في هذا الكتاب لبحث تلك العلاقات الدبلوماسية الحديثة وجلاء ما وقع منها خلال حبرية صاحب القداسة البابا بولس السادس ورئاسة صاحب الفخامة الاستاذ شارل حلو اللذين أضفيا عليها بفضل ما بينهما من روابط صداقة محض شخصية تشد أحدهما الى الآخر ، طابعاً من البساطة والمودة الكثيرة الخلوص . نخص بالذكر من تلك العلاقات : مرور الاب الاقدس في لبنان وهو في طريقه الى الهند ، رفع اثنين من البطاركة الشرقيين الى منصب الكردينالية ، استقبال صاحب الفخامة الرئيس حلو ومرافقيه في الفاتيكان في شهر ايار الفائت ، الى ما سنح خلال ذلك من فرص أدت الى جمع تلك العلاقات العريقة في جو من الصفاء والاخلاص القلبي .

وعلى ذلك بينا تراني اعرب لكم عما خالجني من الارتياح لظهور هذه الصفحة الوضاءة من تاريخ « لبنان والفاتيكان » ، ابارك هذا المشروع الكثير الدلالة على ما تبطنون لوطنكم وللكرمي الرسولي المقدس من خالص الحب والتعلق ، وأتمنى له من صميم القلب الرواج الذي يستحقه .

وختاماً تقبلوا أيها السيد صدق ما اكنه لكم من الشعائر الدينية المخلصة بالرب يسوع .

جيتانو اليراندي

السفير الرسولي

تمهيد

بين لبنان والفاتيكان تشابه من بعض الوجوه ، كلاهما بلد صغير المساحة ، ضيق الحدود ، ضنين باستقلاله ، قليلة موارده المادية ، كثيرة معنوياته ، بل هذه المعنويات هي رأسماله الوحيد الذي يستند اليه في حياته .

ولعل هذا التشابه القائم بينهما الى حد محدود ، هو الذي حبب احدهما الى الآخر ، وكان من اخص البواعث على نشوء ما ارتبطا به من علاقات ولاء وثيقة ، ما زالت صامدة على مرور الايام من صدر النصرانية حتى اليوم .

تنوع هذه العلاقات

وهذه العلاقات نوعان :

نوع ديني محض قوامه تحديد العقائد ، وتنظيم ما في كل طائفة مرتبطة بالفاتيكان من ادارات وطقوس وعبادات . وهذا النوع عم طوائف لبنانية معروفة ، ولا يتطرق اليه هذا البحث الا لماماً وبشكل عارض غير مقصود .

ونوع آخر اجتماعي ادبي ، يهم الطوائف اللبنانية جميعاً ، ويكاد البحث هذا ينحصر به دون غيره اماطة للثام عن تاريخه ، وهو صفحة من صفحات تاريخنا الوطني ، مشتملة على اخبار حوادث توالت عليها الايام ، وهي مبعثرة في الزوايا محجوبة في عالم الخفاء ، وقد حان لها الآن ، والعصر عصر نور وعرفان ، ان تجمع وتبرز الى عالم النور ، ليتصفحها من يهمه امرها ويعرفها ويظفر بما قد يرى فيها من فائدة ومتعة .

العلاقات تطبع بطابع دبلوماسي

وظلت هذه العلاقات ادهاراً على حالها السابق الموروث ، الى ان طلع علينا عهدنا هذا الجمهوري الاستقلالي الميمون ، فهبت حكومتنا بارشاد رئيسها الاسبق الشيخ بشاره الخوري الى الباسهـــا حلة جديدة ، وذلك بان وجهت الى الفاتيكان من فاوضه بشأن تحويلها الى علاقات دبلوماسية ، وطبعها بطابع رسمي دولي يزيدها خطورة وجدوى ؛ فلاقت تلك المفاوضة لدى الحبر الاعظم السابق الطيب الاثر البابا بيوس الثاني عشر ارتياحاً بالغاً ، وبادر حال عرضها عليه الى تأييدها والموافقة عليها .

البابوات يحبون لبنان

والبابوات جميعاً يخصون لبنان بحبهم على توالي الاجيال ، ويعملون على مساندته ادبيًا ومادياً في جميع ضيقاته ، وهم لا يميزون في حبهم ومسانداتهم بين طوائفه ، بل يشملونهم بذلك على اختلاف معتقداتهم . وفي التاريخ شواهد كثيرة تؤيد ذلك بصورة اكيدة دامغة لا تترك مجالاً للشك فيه .

والبابوات بما لديهم من دوائر استخبارات قوية ، يحيطون علماً بمشاكل لبنان ، ويعرفون ان انقساماته الطائفية هي داؤه الدفين الاكثر حاجة الى العلاج ، ولذلك رأينا محبتهم الصادقة لنا تحملهم في هذه الآونة الاخيرة على نصح اي من زارهم منـــا ، وفوداً او افراداً ، بوجوب العيش بعضنا مع بعض بالوفاق والمحبة والاعتصام بوحدتنا الوطنية ، التي هي سبيلنا الوحيد للحفاظ على استقلالنا وحريتنا ، والاقامة تحت سماء بلادنا الجميلة

اعزة كراماً ، لا يمتهننا طاغ ولا يتحكم برقابنا مستبد .

ولكي يجعلوا لنا من انفسهم مثلاً صالحاً وقدوة حسنة في وجوب هذا التعايش الاخوي ، اخذوا يستقبلون المتوافدين لزيارتهم من لبنان ، محمديين كانوا او نصارى ، على حد سواء دون فارق بينهم او تمييز .

يشهد على ذلك من زارهم اخيراً من المسلمين ، وهم كثر ، نذكر من الاحياء منهم السادة صائب سلام ، سامي الصلح ، جميل مكاوي ، كمال جنبلاط وغيرهم ، فقد قوبلوا جميعاً في الفاتيكان بتلك العاطفة الابوية نفسها التي يقابل بها النصارى .

البابا حقيق باحترامنا جميعاً

والبابا قد نختلف نحن معشر اللبنانيين في نظرنا اليه ، من حيث كونه رئيساً اعلى لدين معيّن ، اختلافنا في العقيدة والمذهب . اما اذا نظرنا اليه من حيث كونه زعيماً عالمياً يضبط بيديه اكبر سلطة ادبية في المعمور ، ومن جهة ما يؤديه للانسانية جمعاء من خدمات جلى ، يقصر اي زعيم دنيوي آخر عن مجاراته في تأديتها ، فلا يسعنا في مثل هذه الحال الا الاتفاق جميعاً على اكباره والتسليم بأنه ذلك الانسان الرفيع الشأن ، الحقيق بأن نحترمه جميعاً كما يحترمه غيرنا من سائر الناس .

قوة البابا المعنوية

وللبابا قوة معنوية جبارة ، تجعله يقاوم بلا سيف ولا مدفع ولا قنابل ذرية او هيدروجينية جيوش الكفر والالحاد ، وكل انحراف عن جادة الحق والعدل .

انها كلمة الحقيقة في فمه ، يقولها صادقاً مترفعاً عن الماديات والدنيويات ، مجرداً عن اي ميل او انحياز الى جانب دون آخر ، وله وراءه اتباع يعدون بالملايين في جميع اصقاع الارض يؤيدونه ويقولون قوله ، فاذا خرجت تلك الكلمة من فيه حملت الى جميع اطراف الارض مدوّية

كالرعد ، داعيةً الى ما يقول به الانجيل من صلح وسلام ومحبة والفة ، فلا يستطيع الناس الا مقابلتها بانحناء الرؤوس والاصغاء اليها بكل احترام وتهيّب .

ان انساناً من هذا الوزن ، يسعد اللبنانيين ان يكونوا مرتبطين به بعلاقات وثيقة عريقة من النوع الذي نحن بصدده .

واللبنانيون بما هم عليه من ذكاء وتقدير للمعنويات ، لا نخالهم بحاجة الى من يذكرهم بوجوب الاعتصام بهذه العلاقات اليوم وغداً والى ما شاء الله ، ليظلوا يحافظون على ما ينالهم من خيرها وفوائدها .

١
اقدم علاقة لبلادنا بالبابا

بدأ اهل هذه البلاد يرتبطون بالبابا بعلاقات متينة من اقدم عصور النصرانية . دليل ذلك وجود فريق منهم في هاتيك العصور من اتباع الكنيسة الرومانية ، يؤمنون برئاسة البابا ويخضعون لسلطانه ، ويعترفون بأنه نائب السيد المسيح على الارض وخليفة القديس بطرس ، وبأنه قد اعطي لشخصه سلطان الحل والربط ، وفاقاً للآية الانجيلية القائلة : « مهما حللته على الارض يكون محلولاً في السماء ، ومهما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماء » .

وهناك اثر تاريخي يعود الى القرن السادس يؤيد هذا القول ، وهو كتاب رفعه رهبان دير مار مارون الواقع على العاصي في سنة ٥١٧ ، الى الحبر الاعظم البابا هرمزداس (٥١٤ – ٥٢٣) ، مع اثنين منهم هما المدعوان يوحنا وسرجيوس ، وذلك بعد ان نكبهم ساويروس بطريرك انطاكية الدخيل ، وقتل منهم ٣٥٠ راهباً ، هم الشهداء الذين تعيد لهم الكنيسة المقدسة في ٣١ من شهر تموز ، باسم تلاميذ القديس مارون .

ولا يزال نص هذا الكتاب محفوظاً في مجموعة اعمال المجمع المقدس ، الذي عقد في القسطنطينية على عهد مينا بطريركها ، من سنة ٤٥١ الى سنة ٥٣٦ ، مع صورة من جواب البابا عليه .

وقد ترجم المرحوم المطران يوسف دريان نص رسالة اولئك الرهبان عن اللاتينية ، ونشرها في كتابه : « لباب البراهين الجلية » صفحة ٢٤ ، وفيها البرهان الدامغ على ما كانت عليه تلك العلاقة من قوة . وهاك اخص ما جاء فيها :

« الى صاحب القداسة والغبطة السامية هرمزداس بطريرك المسكونة بأسرها ، الجالس على كرسي بطرس زعيم الرسل .

« اما بعد فلما كانت نعمة المسيح مخلصنا جميعاً قد الهمتنا ان نلجأ الى غبطتك ، كاللاجىء من تيار الامطار والعواصف الى ميناء الأمن ، لذلك نعتقد ان ما يحيق بنا من مثل هذه الامور لا ينالنا بضرّ ، على اننا ولئن كنا نقاسي اشد الضيم ترونا نتحمله بفرح ، لاعتقادنا ان آلام هذا الدهر لا تذكر في مقابلة المجد الابدي الذي سيتجلّى لنا ، وبما ان المسيح الهنا رأس الرعاة العظيم قد اقامكم معلماً وطبيباً للنفوس بأجمعها ، رأينا من الواجب ان نوضح لكم ما المّ بنا من شدائد » .

وهنا بعد ان يصف الرهبان ما اصاب اخوانهم من قتل واديارهم من تخريب ، يوالون القول :

« ولهذا نتوسل اليكم ايها الأب السامي الغبطة ، مسترحمين ان تنهضوا بالحزم والغيرة الى الانتصار للايمان الذي حُقّر ، وللقوانين التي ديست ، وللآباء الذين شتموا ، ولهذا المجمع الذي حُرم جوراً وبهتاناً ... والا تتغاضوا عنا نحن الذين تهشمنا كل يوم الوحوش الكاسرة » .

وقد اجاب البابا على هذا الكتاب برسالة حبرية استهلها بالعبارات التالية :

« هرمزداس الاسقف

الى القسوس والشمامسة ورؤساء الاديرة وسائر الارثوذكسيين الساكنين في اية ناحية من الشرق ، ممن لهم اشتراك مع الكرسي الرسولي » .

هذا ولم يقتصر البابا على جوابه للرهبان ، ولكنه كتب رسالة اخرى الى انسطاس ملك القسطنطينية ، يحثه فيها على اصلاح ما افسد ، ويوصيه بالرهبان خيراً ويسأله الرجوع الى الايمان المستقيم . ولكن الله قسى قلبه فرفض الاذعان وامسك برسل البـــابا وعنّفهم ، وكلفهم رفض ما هم موفدون لاجله والاعتقاد بمعتقده . واذ ابوا عليه ذلك بكل شجاعة أمر بنفيهم . ولكن الله عز وجل انتقم منه بصاعقة انقضت عليه وهو في

منتهى عنفوانه وجوره ، اودت بحياته ، وكان ذلك في سنة ٥١٨ ميلادية .

تلك اعجوبة سماوية اجترحها الله سبحانه ليبارك بها اول علاقة اثرية لنا بالبابا ، مظهراً رغبته في ان يظل يتوالى امثالها على مر السنين . وعلى ذلك ما زلنا نرى حتى اليوم تلك العلاقة قد اصبحت علاقات لا وسيلة في الارض تقوى على فصم عراها .

٢

علاقة البابا بنا بواسطة قصاده

لما كان الاحبار الاعظمون قد ولأهم السيد المسيح في اثناء حياته على الارض بشخص بطرس الرسول ، مهمة الرئاسة العليا على الكنيسة جمعاء ، فقد اخذوا بعد ان امتد الدين المسيحي الى العديد من اصقاع المعمورة ينتدبون من يرون فيهم الكفاية ، لتمثيلهم في مختلف الاحداث والشؤون التي تقع في تلك الاصقاع ، والنيابة عنهم في معالجتها وحلها على الوجه الذي يرونه اكثر تلاؤماً مع مبادىء الدين ومصلحة الكنيسة .

البطاركة اقدم ممثلي البابوات

ومما اعتاده البابوات منذ البدء ، انتداب الرؤساء المكانيين الاعلين لتمثيلهم والنيابة عنهم في كل شأن يرونه يستدعي مثل ذلك الانتداب .

نخص من هؤلاء بالذكر بطاركة انطاكية والاسكندرية واورشليم وغيرها ، فقد كان الاحبار الاعظمون يكلون اليهم في اوقات مختلفة من عصور النصرانية الاولى ، النظر في بعض شؤون المؤمنين المقيمين في البلدان التابعة لهم او القريبة منهم ، والحكم في دعاويهم ، وحلّ مشاكلهم ، وارشاد من يضلّ منهم ، الى غير ذلك مما هو اصلاً من حقوق السلطة البابوية ، وقد اسندها البابوات اليهم بتفويض خاص ، وكانوا فيها بصفة ممثلين للرئاسة العليا ، وبكلمة اخرى بمثابة صلة وصل بينها وبين مرؤوسيها على اختلاف رتبهم ومواطنهم .

ومما يؤيد ذلك رسائل عديدة بابوية موجهة بهذا الموضوع الى البطاركة الاوائل ، ما تزال محفوظة حتى الآن في خزائن المكتبات والمتاحف ،

منها رسائل وجهها البابا غريغوريوس الكبير القديس (٥٩٠ – ٦٠٤) الى بطاركة الشرق ، اخصهم اولوجيوس بطريرك الاسكندرية ويوحنا الثالث وعمواص واسحق بطاركة القدس الشريف ، والقديس انسطاس بطريرك انطاكية وخلفه البطريرك غريغوريوس ، وقد ملئت كلها بالشواهد الناطقة على اولية الكرسي الرسولي ، واعتباره من بدء النصرانية مصدراً للرئاسة العليا على الكنيسة جمعاء .

اسناد التمثيل الى الاساقفة والكهنة

على ان البابوات بعد ان انتشرت الاضاليل في الشرق ، واتصلت احياناً حتى ببعض اولئك البطاركة ، أخذوا ابتداءً من القرن السابع ينتدبون ممثلين لهم ، تارةً من الاساقفة ، وطوراً من الكهنة ، شرط ان يكون المنتدب متصفاً بالفضيلة والعلم وصحة العقيدة ، وعلى الخصوص بالحكمة وسداد الرأي والمرونة .

واول ممثل رسولي من الاساقفة في هذه البلاد ، هو الاسقف يوحنا صاحب كرسي فيلادلفية ، وهي الآن عمان عاصمة المملكة الاردنية . ففي تاريخ الكنيسة ، ان الحبر الاعظم البابا مرتينوس الاول ، قد فوّض اليه بنعمة خاصة من الكرسي الرسولي ، وبقوة السلطان الذي أعطيه بطرس الرسول ، ان يتولى باسمه الفصل في الشؤون الروحية ، في بلاد الشرق التابعة لانطاكية ، وبيت المقدس ، وكان ذلك في اواسط القرن السابع ، بعد انتشار بدعة المشيئة الواحدة في الشرق . وقد امتدت رئاسة هذا البابا ، مرتينوس الاول ، من سنة ٦٤٩ حتى سنة ٦٥٤ (المشرق ١٢ : ٤ و ٥) .

النواب الرسوليون في العهد الصليبي

وبعد ان جاء الصليبيون الى هذه البلاد وأخذوا يقيمون منهم بطاركة على انطاكية ، جعل البابوات يعهدون الى هؤلاء البطاركة اللاتين بالنيابة الرسولية على هذه الديار الشامية ، واستمر ذلك يتوالى ما بقي العهد

الصليبي قائماً ، ولكن الفتن التي كانت تحصل في ذلك العهد والحروب حملت التشويش الى تلك النيابة ، وهو مما حمل البابوات على الاهتمام بأمرها والاعتناء باقرارها على اساس راهن معروف .

ممثلون فوق العادة

وبعد انقضاء العهد الصليبي بقيت الرهبانية الفرنسية في هذه البلاد ، وكان رهبانها على الغالب يمتازون بالعلم والفضيلة ، فجعل البابوات يعهدون الى بعض فضلائهم في ان يكونوا قصاداً لهم لدى الشرقيين ، ولاسيما اللبنانيين . وبعد ان استمر ذلك ردحاً من الحين اخذ الاحبار الاعظمون بعد زمن غير طويل ، يختارون لهذه النيابة ايّ صاحب جدارة من مختلف الرتب والمقامات والجنسيات والطوائف ، دون ما تخصيص ولا تمييز .

وكان الممثلون او القصاد في بادىء الامر ، ينتدبون لحل مشكلة طارئة عند هيئة او شخصية معينة ، فاذا انهوا المهمة المعهود بها اليهم ، رفعوا الى المرجع الاعلى النتيجة التي حصلوا عليها وعادوا من حيث اتوا ، كما كانوا بالامس فما قبل . ولاجل ذلك دعوناهم بالقصاد فوق العادة اي الوقتيين والاستثنائيين .

ممثلون عاديون

واستمر الحال على ذلك المنوال ، الى القرن الثامن عشر ، اذ ارتقى الى السدة الرسولية البابا اكليمنضوس الثالث عشر (١٧٥٨ - ١٧٦٩) ، فرأى ان يُعيّن في بعض البلدان النائية ممثلون حبريون دائمون ، يمثلون الكرسي الرسولي بصورة مستمرة ، ويرفعون اليه التقارير دواليك ، عن كل ما يقع في المنطقة التابعة لهم ، مما تشتمل عليه صلاحيتهم المقرورة المحدودة ، ويبلغون اوامره ونواهيه ، ويتكلمون باسمه ، وقد دُعي هؤلاء بالقصاد الرسوليين العاديين او المألوفين .

قصادة بيروت اقدم القصادات

واقدم القصادات الرسولية المألوفة والعادية في العالم هي قصادة بيروت ،

انشئت سنة ١٧٦٢ ، وكان نطاقها في اول الامر يشمل لبنان ، وسورية ، وفلسطين ، والاناضول ، وقبرس ، وجزيرة العرب ، ومصر ؛ ولكنها ضُيّقت تباعاً ، للتخفيف مما كانت تقتضيه من متاعب ، بسبب اتساعها ، حتى لقد حُصرت اخيراً بلبنان وسورية وحدهما .

حلول السفارة الرسولية محل القصادة

وقد أُلغيت هذه القصادة في ٢ حزيران من سنة ١٩٤٧ ، وحلّت محلها السفارة الرسولية ، وكان آخر القصاد السيد رمي لبرتو الفرنسي ، غادر بيروت في التاريخ السابق ، فانقطعت بسفره في هذه البلاد تلك السلسلة من القصاد الرسوليين الدائمين والعاديين . وكان اول السفراء السيد مارينا الايطالي . الذي انفتح بسفارته عندنا بين لبنان والكرسي الرسولي عهد دبلوماسي جديد ، يُؤمّل ان يكون عهداً ميموناً طافحاً بالاماني الطيبة والنتائج المفيدة .

٣

القصّاد الاستثنائيون او غير العاديين

وها نحن نضع لائحة او جدولاً باسماء اشهر القصاد الرسوليين ، الذين كان البابوات يوجهونهم الى لبنان لقضاء بعض مهام خاصة . ونضيف الى كل اسم اهم ما نعلم من ترجمة صاحبه ، واشهر ما نمي الينا من مساعيه واعماله في اثناء قصادته !

١ ـ الكردينال غوليلموس

ارسله البابا اينوشنسيوس اوزخيا الثاني (١١٣٠ - ١١٤٣) سنة ١١٣٠ معتمداً رسولياً الى لبنان ، وذلك على اثر خلاف في رومية حاول فيه بطرس لاون اغتصاب منصب البابوية ، باسم اناكليتس الثاني ، حاملاً الرسائل الى بطريرك الموارنة غريغوريوس من حالات ، طالباً اليه الخضوع له لانه البابا الشرعي . فالتقى البطريرك الكردينال الى طرابلس ، مع رؤساء كهنة الطائفة واعيانها ، وقدموا له صك خضوعهم للبابا الصحيح ؛ واثبتوه بحلف بخط ايديهم ، وقد حذا الافرنج حذوهم في هذه البلاد الشرقية (لباب البراهين الجلية لدريان ص ٣١٢)

٢ ـ الكردينال يوحنا من رتبة القسوس

هو معتمد البابا اسكندر الثالث (١١٥٩ – ١١٨١) ، وجه الى هذه البلدان الشرقية سنة ١١٦٠ ليسعى في اجتذاب الافرنج والموارنة الى جانبه ، على اثر خلافه مع الطامعين بالبابوية ، وهم ثلاثة : فكتور (منصور) وبسكال ، وقالسطوس .

حل المتمد في جبيل ضيفاً على اميرها الصليبي ، ولبث فيها الى ان عقد مجمع خاص سنة ١١٧٩ في رومية ، ازال ذلك الخلاف ، وأيد البابا اسكندر ، وشجب مناوئيه . عندئذ حضر رؤساء الامصار الشرقية ، ومنهم بطريرك الموارنة يوحنا اللحفدي (١١٥١ – ١١٧٣) وأعيانهم ، وبطريرك الفرنج هيماريك الى جبيل ، وحلفوا على الطاعة للبابا الشرعي اسكندر الثالث .

٣ – الكردينال بطرس

ذكر علماء الموارنة الدويهي والدبس ودربان وغيرهم ، ان البابا اينوشنسيوس اوزخيا الثالث (١١٩٩ – ١٢١٦) أنفذه على اثر انتخابه بابا الى لبنان ، ليطلب من الموارنة ، والفرنج ، ابراز يمين الطاعة له ، فحلّ في طرابلس ، وحضر أمامه البطريرك ارميا العمشيتي (١١٩٩ – ١٢٣٠) مع بعض اساقفته ورهبانه واعيان شعبه ، وأقسموا بأن يؤدوا له واجب الطاعة (رسالة البابا اينوشنسيوس الثالث الى البطريرك ارميا المؤرخة في سنة ١٢١٥) .

٤ – الاخ لورنسيوس

ارسله البابا اينوشنسيوس الرابع (١٢٤٣ – ١٢٥٤) على ايام البطريرك الماروني شمعون الثاني (١٢٤٥ – ١٢٧٧) ، قاصداً رسولياً الى الموارنة .

٥ – فرا جوان

معنى (فرا جوان) الاب يوحنا – هو من « فرّاره » في ايطالية ، كان رئيساً للرهبان الصغار في بيروت ، ارسله البطريرك يوحنا الجاجي (١٤٠٤ – ١٤٤٥) الى البابا اوجين الرابع ، (١٤٣١ – ١٤٤٧) سنة ١٤٣٨ ، فحضر نيابة عنه وباسم طائفته المارونية ، المجمع الفلورنتيني ، ثم عاد الى لبنان قاصداً رسولياً الى الموارنة .

وكان الحبر الاعظم قد سلم اليه درع الرئاسة للبطريرك مع عدة منح

وانعامات (المشرق ١٢ : ٦) ، فلما وصل الى طرابلس مع رفقائه ، توهمهم نائب طرابلس جواسيس فاعتقلهم ، وزجهم في السجن ، وانتهى خبرهم الى البطريرك يوحنا ، فجهز الى طرابلس اناساً كفلوهم واخرجوهم من سجنهم وساروا بهم الى دير ميفوق ، ومنه شخصوا الى بيروت . وبعد مدة طلبهم نائب طرابلس ، واذ لم يحضروا ، غضب وقبض على كفلائهم ، فغرّم بعضاً وقتل آخرين ، وكانوا من اعيان الطائفة ، ثم قبض على رهبان الدير ونكب ديرهم (الدويهي للشرتوني صفحة ١٣٦) ، فكان ما نكب به الموارنة نتيجة اخلاصهم للبابا .

٦ ـ فرا انطوني

هو الاب انطوني او انطون من (طرواية) من رهبانية الرهبان الصغار ، جاء لبنان قاصداً الى الموارنة مع فرا جوان ١٤٣٩ ، ومع فرا بترو (١٤٤٢) (الدويهي صفحة ١٣٧) . اما الاب شيخو فيقول في المشرق (١٢ : ٧ و ٨) ان فرا انطوني هذا وجّهه البابا اوجين الرابع سنة ١٤٤٢ الى لبنان ، ليعلن بين الموارنة مقررات المجمع الفلورنتيني ، وليهتم بشؤونهم الروحية. وقد عاد الى رومية سنة ١٤٤٤ صحبة وفد من الموارنة ، فرحّب بهم الحبر الاعظم ، وصمّم على توسيع نطاق القصادات الرسولية الاستثنائية الى لبنان .

٧ ـ بطرس من فرّاره

هو الاب بطرس (فراره) من رهبان دير المخلص للفرنسيسكان في بيروت . عيّنه البابا اوجين الرابع وكيلا رسولياً لدى الموارنة والسريان والروم الملكيين . ويذكر الدويهي في تاريخه صفحة ١٣٧ : ان فرا بطرس او بترو هذا سيّره البطريرك شمعون الماروني سنة ١٤٤١ الى فلورنسة ، وأصحبه برسائل شكر للبابا على ما انعم به عليه .

وفي السنة التالية ١٤٤٢ عاد مع فرا انطوني . ويظن ان قصادته حصلت بعد هذا التاريخ .

٨ — فرا غريفون

هو من الرهبانية الفرنسيسكانية ، اصله من مقاطعة الفلمنك التابعة لبلجيكا ، جاء الى القدس سنة ١٤٤٢ حيث تعلم العربية والسريانية ، وألحق عام ١٤٥٠ بالرسالة الفرنسيسكانية في لبنان ، فجاء بيروت وتقلد فيها وظيفة نائب رسولي ، واتصل بالبطريرك الماروني يعقوب الحدثي (١٤٤٥ — ١٤٦٨) ، ثم بخلفه البطريرك بطرس بن حسان (١٤٦٨ — ١٤٩٢) وبمقدمي الموارنة في ذلك العهد .

وفي عام ١٤٦٩ أنفذه البطريرك بن حسان واكليروس طائفته واعيانها الى رومية ، وحملوه رسائل منهم ضمنوها عبارات خضوعهم للكرسي الرسولي ، وسألوه الانعام على البطريرك بدرع التثبيت .

وقد سافر فرا غريفون صحبة راهبين من اخوته الرهبان ، هما فرا سمعان وفرا اسكندر ، فاحتفى بهم البابا بولس الثاني (١٤٦٤ — ١٤٧١) ، وحملهم حين عودهم الى لبنان رسالة الى البطريرك الماروني مؤرخة في السنة ١٤٦٩ ، وارفقها بدرع التثبيت وبعض هدايا .

٩ — فرا اسكندر اريوستي

كان الموارنة قد طلبوا مراراً من البابا بولس الثاني ، ان ينتخب رئيس الرهبان الصغار في كل عام راهباً او اكثر من رهبانه من ذوي العلم ، ويوجههم الى الموارنة في لبنان ، ليحلوا لهم ما لعلهم يعرضون عليهم من المشاكل اللاهوتية . فأبرز الحبر الاعظم براءة الى رئيس الارض المقدسة ، منحه فيها السلطة ليقوم بهذه المهمة . وفي سنة ١٤٧٦ ارسل اليهم هذا الرئيس فرا اسكندر اريوستي ، بصفة قاصد رسولي ، باسم البابا سكستوس الرابع ، الذي ارتقى الى العرش البابوي من سنة ١٤٧١ الى سنة ١٤٨٤ ، فلبث عندهم زمناً لاداء هذا الواجب .

١٠ ـ فرا فرنسيس سوريانو

هو رئيس بيروت للرهبانية الفرنسيكانية ، وكل اليه البابا لاون العاشر (١٥١٣ – ١٥٢١) منصب قاصد رسولي لدى الموارنة ، وبطريركهم شمعون الحدثي .

١١ ـ برزدين ارتون

عينه في سنة ١٥٢٦ اكليمنضوس السابع (١٥٢٣ – ١٥٣٤) قاصداً رسولياً للموارنة ، فزار البطريرك موسى العكاري (الدويهي صفحة ١٥٧).

١٢ ـ فرا جيان دارسينيانو

فرا جيان دارسينيانو راهب فرنسيكاني ، عُيّن رئيساً للارض المقدسة ، وزائراً رسولياً في لبنان من قبل البابا بيوس الخامس (١٥٦٦ – ١٥٧٢) ، ولكنه أسر وهو في البحر ، قادماً من اوربة ، ثم اطلق سراحه ، فعاد الى القدس حيث توفي .

١٣ ـ الاب يوحنا المعمدان ايليانو

ارسله سنة ١٥٧٧ البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٥ – ١٥٨٥) الى لبنان ، قاصداً رسولياً الى الموارنة ، برفقة المطران جرجس البسلوقيتي ، والاب توما راجيو . ولما حلّ في طرابلس ، لاقاه اعيان الموارنة اليها ، ومنها صعد الى الشمال ، فزار السيد البطريرك مخايل الرزي ، في قنوبين (١٥٦٧ – ١٥٨١) وسائر الحكام والوجوه من الطائفة ، وكان يعرف العربية ، ويحسن قراءة الخط الكرشوني . وعاد الى ررمية سنة ١٥٧٩ ، حاملاً من البطريرك رسالة خضوع للحبر الاعظم . وقد سعى برومية في ادخال عدة تلاميذ من الموارنة في مدارسها ، وبعد ان كثر عددهم انشأ لهم مدرسة خصوصية في سنة ١٥٨٥ ، حبس عليها الاوقاف ، وسلمها البابا

سكستوس الخامس (١٥٨٥ – ١٥٩٠) الى اليسوعيين ، فاعتنوا بادارتها ، الى ان ألغيت رهبانيتهم في سنة ١٧٧٣ .

وعاد الاب ايليانو مرة ثانية الى لبنان ، في اذار من سنة ١٥٨٠ ، بامر البابا غريغوريوس الثالث عشر ، (١٥٧٢ – ١٥٨٥) ، وبمعيته الاب يوحنا برونو ، وعقد مع البطريرك مخايل الرزي مجمعاً طائفياً للموارنة ، بتاريخ اواسط آب من سنة ١٥٨٠ ، وقد مات هذا البطريرك على اثر ذلك ، فحضر القاصد جنازته ، وانتخاب خلفه اخيه البطريرك سركيس الرزي ، في سنة ١٥٨١ ، وعند عودته (القاصد) عرّج على مصر ، وزار بطريرك الاقباط .

١٤ – ليونردو دي ابيلا

وفي السنة ال١٥٨٣ وجه البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ – ١٥٨٥) الاسقف ليونردو دي ابيلا اسقف صيدا شرفاً المتضلع من العلوم الشرقية ، ليكون قاصداً رسولياً لدى الروم الارثوذكس ، واليعاقبة ، والارمن ، والكلدان ، اذ كان قد بلغه انهم يريدون الانضمام الى الكنيسة الكاثوليكية . وقد رافق هذا القاصد ثلاثة من الرهبان اليسوعين ، وهم الآباء : لاونردوس سانت انجلو ، يوحنا ايليانو ، فرنسيس سكسو ، فطافوا بلاد الشرق ، وواجهوا البطاركة ، فوافقهم بعضهم ، وردهم آخرون . وحل الاسقف ليونردو في تلك الرحلة بطرابلس ، وحمل من الروم الارثوذكس فيها رسالة الى البابا المذكور نشرها الاب رباط اليسوعي في مجلة المشرق (٩ : ٣٧٥) ، (وسنذكر بعضها في هذا الكتاب عند كلامنا على « البابا والارثوذكس ») .

١٥ – الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي

هو أحد آباء الرهبانية اليسوعية ، قدم الى لبنان قاصداً رسولياً ، بامر البابا اكليمنضوس الثامن (١٥٩٢ – ١٦٠٥) ، فوصل اليه بطريق

طرابلس ، في العام ١٥٩٦ ، وحل في اهدن ، ثم هبط الى قنوبين ، وزار البطريرك الرزي وسلمه كتاباً من البابا ، فقبّله هذا البطريرك ، ووضعه على رأسه ، اجلالاً لمرسله .

وبعد ان عقد دنديني في قنوبين مجمعاً طائفياً تجول في لبنان ، زائراً الرؤساء والاعيان ، محفوفاً باعظم مظاهر الاجلال ، وقد وضع كتاباً عن قصادته ، وصف فيه عادات البلاد في ذلك العصر ، ترجمه الى العربية الخوراسقف يوسف يزبك العمشيتي الزائر البطريركي ؛ ونشره الخوري بولس قرألي في المجلة البطريركية ، اولاً تباعاً ، ثم في كتاب خاص ، في مطبعة جريدة العلم في بيت شباب . ومما جاء فيه قوله : « انه في اثناء تجوله في الشمال ، كان الموارنة يحملونه الى ظهر الفرس على ايديهم ، ويمشون امامه جماهير ، منشدين التراتيل ، حاملين مجامر البخور ، اعظاماً لقدر مرسله » .

١٦ ـ فرديندوس الكرملي

ارسله البابا اكليمنضوس الحادي عشر سنة ١٧٢٠ ، حاملاً صك التثبيت الى البطريرك الماروني يعقوب عواد .

١٧ ـ لورنسيوس كوزا

هو فرنسي التبعة ، كان حافظاً للارض المقدسة ، وجهه البابا اكليمنضوس الحادي عشر الآنف الذكر ، في السنة الـ ١٧١٢ ، الى لبنان ، ليدرس قضية انزال البطريرك يعقوب عواد عن رتبته ، بحكم فريق من الاساقفة والشعب ، فبرر القاصد البطريرك ، وارتأى اعادته الى منصبه ، ووافق الحبر الاعظم على ذلك ، ببراءة تاريخها ١٨ ايلول من سنة ١٧١٣ .

١٨ ـ القس جبرائيل حوا

ارسله البابا اكليمنضوس الحادي عشر سنة ١٧٢٠ ، حاملاً براءتين : الاولى لتثبيت البطريرك السابق الذكر « يعقوب عواد » في منصبه ، والاخرى

حل الذين وقعوا بسببه تحت طائلة العقوبات الكنسية (مجموع تقارير الكرسي الرسولي صفحة ٤١٤) .

١٩ ـ دوروثاوس الكبوشي

أنفذه البابا بناديكتوس الثالث عشر (١٧٢٤ – ١٧٣٠) في السنة الـ ١٧٢٩ الى لبنان ، لتثبيت البطريرك الملكي كيرلس طاناس ، اول بطريرك على الروم الكاثوليك ، بعد انفصالهم نهائياً عن الروم الارثوذكس ، وللتأكد من صحة ايمانه . وقد عقد هذا القاصد البابوي ، في دير المخلص (قرب صيدا) يوم ٢٥ نيسان من سنة ١٧٣٠ ، مجمعاً اقليميًّا ، تمّ فيه كل شيء حسب رغبة الحبر الاعظم ، فمنح القاصد البطريرك طاناس التثبيت البابوي .

٢٠ ـ يوسف السمعاني

هو العلامة المنسنيور يوسف السمعاني المشهور ، ارسله البابا اكليمنضوس الثاني عشر (١٧٣٠ – ١٧٤٠) قاصداً رسولياً الى لبنان ، ليترأس باسمه المجمع اللبناني الماروني ، الذي عقد في دير اللويزة ، من اعمال كسروان عام ١٧٣٦. وفي ما تضمنه ذلك المجمع من النصوص حول علاقات الموارنة بالبابا دليل واضح على متانة اعتصام هذه الطائفة بالكرسي الرسولي .

٢١ ـ عمانوئيل الكرملي

أنفذه البابا بناديكتوس الرابع عشر (١٧٤٠ – ١٧٥٨) قاصداً رسولياً الى لبنان ، وحمّله درع التثبيت الى البطريرك الملكي الكاثوليكي كيرلس طاناس ، مع منشور يحضه فيه على حفظ الطقوس الشرقية ، ووكل اليه فحص دعوى الرهبان الشويريين ، والراهبات المتعبدات في دير البشارة بالزوق ، وهي دعوى مرتبكة لم تنته الا في السنة الـ ١٧٤٦ (المشرق ١٢ : ١١١) .

٢٢ ـ يعقوب دي لوكا

جاء الى لبنان سنة ١٧٤٢ ، قاصداً رسولياً للبابا بناديكتوس الرابع عشر المار ذكره ، ليبلغ امره باقامة المطران سمعان عواد بطريركاً على الموارنة ، على اثر خلاف بين اساقفتهم في المجمع الانتخابي ، ادى الى انتخاب بطريركين ، ولاجل هذه الغاية عقد مجمعاً في حريصا سنة ١٧٤٣ ، وأعلن حكم البابا في هذا الصدد ، فخضع الجميع لامر نائب المسيح .

٢٣ ـ الاب دازيداريو من كازا باشانا

أرسله البابا بناديكتوس الرابع عشر الى لبنان ، سنة ١٧٤٧ ، قاصداً رسولياً في ايام رئاسة البطريرك سمعان عواد ، وفوّض اليه عدة امور ، اهمها : اجراء تقسيم الابرشيات المارونية ، ووقع بذلك نشرة وقعها السيد البطريرك وتسعة مطارنة ، ثم رجع القاصد من حيث اتى ، وظل ذلك القرار حبراً على ورق .

٢٤ ـ المطران ارسانيوس عبد الأحد الحلبي

عهد اليه البابا بناديكتوس الرابع عشر المار ذكره في أن يكون قاصداً رسولياً ، ليثبت باسمه طوبيا الخازن المنتخب بطريركاً لطائفته المارونية ، في ٢٢ شباط سنة ١٧٥٦ ، وكان المطران ارسانيوس اسقفاً لبعلبك ، ومقيماً في لبنان ، في دير مار روحانا البقيعة ، وقد اتمّ مهمته في سنة ١٧٥٧ .

٢٥ ـ بطرس كارفياري

أنفذه البابا اكليمنضوس الثالث عشر (١٧٥٨ – ١٧٦٩) زائراً رسولياً الى لبنان ، ليفحص عن بعض شكاوى قدمها الرهبان الشويريون الملكيون

على بطريركهم ثاودوسيوس الدهّان ، وعلى مطران بيروت اغناطيوس صرّوف ، فاستمع الزائر الى تلك الشكاوى ، وحقق فيها وأبرم الصلح بين الفريقين .

٢٦ – الاب لويس دي بسطيا

كان رئيساً عاماً للآباء الفرنسيسين في القدس الشريف ، انتدبه البابا اكليمنضوس الثالث عشر السابق الذكر قاصداً رسولياً في لبنان ، لحسم ما وقع من خلاف ما بين الرهبان الموارنة اللبنانيين والحلبيين ، وعند وصوله ترأس مجمعاً عقد يوم ١٦ ايلول من سنة ١٧٦٧ في دير الحصن ، وأقرّ عدة امور قيّمة لتهذيب الاكليروس ، وتعزيز النظام البيعيّ ، وعدّل القسمة التي كان اجراها الرهبان المذكورون ، ورفع التعديل الى رومية ، فأثبته الحبر الاعظم وانتهى امره .

٢٧ – الاب عبد الاحد دي لانسائس

حين توفي البطريرك كيرلس طاناس الرومي الكاثوليكي سنة ١٧٧٠ ، تولى البطريركية في مكانه بوصية منه ابن اخته من الرهبانية المخلصية اغناطيوس جوهر ، خلافاً للقوانين ، فأنكر اساقفة الطائفة ذلك ، ورفعوا الدعوى الى الحبر الاعظم البابا اكليمنضوس الثالث عشر ، الذي أنفذ الى لبنان الاب عبد الاحد (دومنيك) دي لانسائس ، قاصداً رسولياً ، لتلافي الخلل ، ففحص الدعوى ، وابطل سلطة اغناطيوس ، واقام بدلاً منه بطريركاً السيد مكسيموس الحكيم مطران حلب . وقد شجر بسبب ذلك خصام طويل ، عقد القاصد مجمعين لتلافيه ، اخيراً تاب اغناطيوس جوهر ، فثُقّف على صيدا ، الى ان انتخب بطريركاً سنة ١٧٨٨ .

٢٨ – الاب فالريانو دابروتو

هو الرئيس العام للآباء الفرنسيسين في القدس الشريف ، وحارس

الارض المقدسة ، أنفذه البابا اكليمنضوس الرابع عشر (١٧٦٩ - ١٧٧٤) الى لبنان قاصداً رسولياً ، للنظر في بعض شكاوى قدمها فريق من مطارنة الطائفة المارونية ضد بطريركهم السيد يوسف اسطفان ، فوصل في ٣ تموز من سنة ١٧٧٣ ، وبعد سماعه الى ما ادلى به الفريقان ، رفع تقريراً الى المجمع المقدس في ١٠ ايلول من السنة المذكورة ، وغادر لبنان دون ان يقوى على حل المشكل (مجموعة منشورات البروباغندة صفحة ٢٨٤ - وسلسلة البطاركة الموارنة صفحة ١٣٠ - وبصائر الزمان الفصل الخامس صفحة ٢١) .

٢٩ - الاب بطرس دي مورتا او المطران كرافري

هو من رهبان القديس فرنسيس ، ارسله البابا اكليمنضوس الرابع عشر السابق ذكره ، في اواخر ايامه الى لبنان ، لمتابعة النظر في خلاف البطريرك يوسف اسطفان مع فريق من مطارنته ، وفي قضية هندية المشهورة ، فوصل اليه في ٢٠ كانون الثاني من سنة ١٧٧٥ ، وكان البابا قد توفي وهو في الطريق ، ورغم ما أظهره القاصد من جهد لم يقوَ على حل تلك المشاكل ، ورفع تقريراً عنها الى رومية ، كان من نتائجه ابعاد البطريرك عن منصبه ، وحلّ رهبانية هندية . وبعد أن تفاقمت الامور اتحدت كلمة الطائفة على أن تلتمس من البابا بيوس السادس (١٧٧٥ - ١٧٩٩) عودة البطريرك الى مقامه ، فأجاب صاحب القداسة ملتمسها ، وقد عاد الاب دي مورتا في قصادة ثانية بهذا الشأن الى لبنان ، بعد ان رقي الى اسقفية انوش واتخذ اسم كرافري ، وحضر عودة البطريرك في ١١ شباط سنة ١٧٨٥ في غسطا ، ونادى بها بصورة حافلة باسم البابا . (راجع بصائر الزمان في الفصلين السادس والثاني عشر ، وسلسلة البطاركة الموارنة صفحة ١٢٦ و ١٤١) .

٣٠ - المطران جرمانوس آدم

هو من الطائفة الملكية الكاثوليكية ، عيّنه البابا بيوس السادس قاصداً

بابويا للطائفة المارونية سنة ١٧٨٧ ، ليسعى في حلّ خلاف شجر بين البطريرك يوسف اسطفان والمطران ميخايل الخازن ، بخصوص دخل الكرسي البطريركي ، في اثناء نيابة هذا الاخير وتغيب البطريرك . وقد تمكن القاصد من حلّ هذا المشكل ، ثم انه ترأس باسم البابا مجمع بكركي سنة ١٧٩٠ (راجع بصائر الزمان صفحة ٢٠٨ والجامع المفصل ص ٤٩٨ والمشرق ١٢ : ١٤) .

٤

القصّاد العاديون او المألوفون

وها نحن نتبع الجدول السابق بجدول ثانٍ ، نعدّد فيه اسماء القصاد الرسوليين المألوفين او العاديين ، الذين توالوا على منصب القصادة الرسولية في بيروت ابتداء من السنة الـ ١٧٦٢ ، ونذكر اخص ما قام به كل منهم من اعمال ذات علاقة بلبنان واللبنانيين في اثناء قصادته .

١ ـ ارنلد بوصو

عينه البابا اكليمنضوس الثالث عشر سنة ١٧٦٢ لقصادة رسولية دائمة في لبنان ، فكانت هذه القصادة بكر القصادات الرسولية في العالم ، واعرقها قدماً ، وكان السيد بوصو فرنسي الاصل ، فاقام حين وصوله في دير الآباء اليسوعيين في عينطورا ، واخذ يتمم مهمته بكل نشاط ، الى ان توفي في سنة ١٧٧٤ .

٢ ـ جرمانوس الخازن

هو ابن اخي البطريرك طوبيا الخازن ، عينه البابا بيوس السابع (١٨٠٠ ـ ١٨٢٣) قاصداً رسولياً ، وهو الماروني الوحيد في هذا النوع من القصاد . اما القصاد الاستثنائيون فقد كان فيهم مارونيان اثنان : حوّا ، والسمعاني . واستمر جرمانوس الخازن قاصداً الى ان توفي في السنة ١٨٠٦ (راجع رسالة البابا بيوس السابع الى الامير بشير في الفصول الآتية من هذا الكتاب) .

٣ ـ لويس غندلفي

هو ايطالي الاصل من معاملة بيرمنتي ، كان معاوناً في اول امره

للمطران جرمانوس الخازن (راجع رسالة البابا بيوس السابع الى الامير بشير السابقة الذكر) . وبعد وفاة المطران جرمانوس ، عين قاصداً رسولياً اصيلًا ، واوصى به الحبر الاعظم الامير بشيراً ، فاتخذه مدبراً ، ومرشداً له ، ومثقفاً لاولاده . وتوفي هذا القاصد في ٢٥ آب من سنة ١٨٢٥ (المشرق ١٢ — ١٧) .

٤ ـ بطرس لوزانا

هو ايطالي ايضاً . بنى له داراً للقصادة شرقي زوق مكايل ، في محل اسمه (التراب) ، وسكنها ، وعرف بسعة علمه ، وآدابه ، وحسن سياسته ، ونقل الى منصب آخر في ايطالية سنة ١٨٣١ .

٥ ـ يوحنا المعمدان اوفرني

عينه البابا غريغوريوس السادس عشر (١٨٣٢ ـ ١٨٤٦) قاصداً رسولياً في سنة ١٨٣٢ . وقد عرف بطول باعه في التأليف ، والقاء الرياضات ، في انحاء القصادة ، وتوفي بالطاعون في ديار بكر ، سنة ١٨٣٥ (منشورات البروباغندة صفحة ١٣٧) .

٦ ـ انجلو فازيو

من الرهبانية الفرنسية ، عينه البابا غريغوريوس السادس عشر سنة ١٨٣٦ فاصلح دار القصادة . وقد ذكر عنه القنصل الفرنسي غوبس في كتابه « بيروت ولبنان ، صفحة ٢٠٠ » انه كان متوقد الذهن ، حسن التدبير . وقد نقل الى اسطمبول سنة ١٨٣٨ حيث توفي .

٧ ـ فرنسيس دي فيلا رديل

اسباني الاصل ، من رهبان القديس فرنسيس ، عُيّن سنة ١٨٤١ ، وله اعمال كثيرة مشكورة . منها : السعي في القاء الصلح بين المشايخ

الدحادحة والحبيشيين ، عملاً باوامر المجمع المقدس . وذلك بعد عداء مستحكم فيما بينهم ، سببه طلب الدحادحة اعادة الولاية الى الامير بشير ، وقبول الحبيشيين بولاية عمر باشا النمساوي . وتوفي هذا القاصد في بيروت سنة ١٨٥٢ (المقاطعة الكسروانية صفحة ٣٠٥) .

٨ — بولس برونوني

من اصل ايطالي ، ومن امناء الأسرار في بطريركية اورشليم اللاتينية ، عينه البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ - ١٨٧٨) قاصداً رسولياً في بيروت في سنة ١٨٥٣ ، وقد ترأس مجمع بكركي ، الذي عقد في ايام البطريرك بولس مسعد في السنة ١٨٥٦ ، ممثلاً الحبر الاعظم . ونقل نائباً بطريركياً الى اسطنبول في ٢٣ تشرين الثاني من سنة ١٨٥٨ .

٩ — يوسف فالركا

كان بطريركاً على القدس ، وعهد اليه بيوس التاسع (١٨٤٦ — ١٨٧٨) بالقصادة الرسولية في بيروت بتاريخ سنة ١٨٥٨ ، فقام بأعباء مهمته احسن قيام . ومن احسن مآثره : مساعدة المنكوبين في حوادث سنة (١٨٦٠) ، التي حصلت في ايامه . وقد توفي في ٢ كانون الاول من سنة ١٨٧٢ (مجموعة البشير لهذه السنة) .

١٠ — ساروفيم ميلاني

من رهبان مار فرنسيس . ترأس اديار الارض المقدسة ، وقال عنه الاب لويس شيخو في مجلة المشرق (١٢ : ١٩) : « انه لم يضبط عنان التدبير ، فنقل الى بنتريمولي في ايطالية بعد سنة واحدة من تعيينه » (مجموعة البشير ١٨٧٣) .

١١ — لودوفيكوس بيافي

من رهبانية مار فرنسيس . جاء الشرق وهو كاهن ، وتعلم العربية في

دير حريصا ، وفي سنة ١٨٧٣ عيّن وكيلاً للقصادة الرسولية في بيروت ، ثم عين قاصداً اصيلاً في سنة ١٨٧٦ ، ووصل الى بيروت في ٢٣ شباط سنة ١٨٧٦ ، وبقي في لبنان الى ان رسم بطريركاً لاورشليم في سنة ١٨٨٩ . ومن اخص اعماله في اثناء قصادته : نقله مركز القصادة من جوار ساحة البرج الى حيث هو الآن في راس بيروت ، وتشييد مركز حريصا . وقد عرف بالحكمة والغيرة والاطلاع على عادات اهل البلاد واصطلاحاتهم (مجموعة البشير سنة ١٩٠٥) .

١٢ ـ غودنسيو بونفيلي

ايطالي الاصل . انتظم في الرهبانية الفرنسيسية ، وجاء فلسطين سنة ١٨٥٨ ، وانتقل الى حريصا في لبنان ، ثم الى حلب ، ودرس العربية ، ثم انتخب رئيساً عاماً لاديار الارض المقدسة سنة ١٨٧٤ ، وفي سنة ١٨٨٠ اقيم معاوناً لقصادة سورية ، وسيم اسقفاً سنة ١٨٨١ . ولما نقل السيد بيافي بطريركاً الى القدس ، عُيّن خلفاً له في القصادة في اول كانون الاول سنة ١٨٨٩ ، فدبرها بما اشتهر عنه من فطنة ، ودماثة خلق ، وبقي يلي اعمالها الى ان نقل قاصداً الى القطر المصري في سنة ١٨٩٥ ، ولكنه لم يسافر الا في ٥ ت١ سنة ١٨٩٦ ، اي بعد ان وصل خلفه القاصد دوفال ، الذي حل في بيروت في اوائل تموز من سنة ١٨٩٦ . اما كاتم اسراره الخوري بولس عواد ، فقد رقي قبل سفره الى درجة الاسقفية المقدسة ، وعهد بامانة السر في القصادة بدلاً منه الى الاب بيره الدومنيكي . ومات القاصد غودنسيو بونفيلي في ١٤ نيسان من سنة ١٩٠٤ .

١٣ ـ غونزالس كارلوس دوفال

من رهبانية الاخوة الواعظين (الدومنيكيين) ، ولد في مدينة تول من اعمال فرنسة من اسرة شريفة ، وعين رئيساً لرهبانيته في ما بين النهرين ، ثم سمي خلفاً للقاصد بيافي في ٢٩ ت٢ من سنة ١٨٩٥ ، وعرف بالنزاهة ودماثة الخلق ، وقد اصدر عدة احكام باسم الكرسي الرسولي ،

دلت على استقامة رأيه . وتوفي في ٣١ تموز سنة ١٩٠٤ (مجموعة البشير اول آب ١٩٠٤) ، واكد المطران دريان في خطاب تأبيني نشره البشير في عدد ٩ ايلول من سنة ١٩٠٤ ، انه هو الذي اقترح على البطريركية المارونية اقامة تمثال للسيدة العذراء في حريصا ، وكان من اخص المساعدين على انجاح هذا المشروع .

١٤ – فريديانو جيانيني

ايطالي من مقاطعة لوكا ، دخل الرهبانية الفرنسيسية ، وعيّن رئيساً عاماً لاديارها في الارض المقدسة ، وخلف كارلوس دوفال سنة ١٩٠٥ في بيروت ، بأمر البابا بيوس العاشر (١٩٠٣ – ١٩١٤) . وبذل همه مع البطريركية المارونية في نصب تمثال السيدة في حريصا . وفي ايام الحرب الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨) وزّع على المحتاجين مساعدات مالية كثيرة ، كانت ترد اليه من الكرسي الرسولي ، او من المهاجرين ، بواسطة هذا الكرسي . ولما اشتد الضيق في لبنان ، سافر الى اسطنبول ، وهناك سعى لدى بعض السفارات في التخفيف عن اللبنانيين ، والحؤول دون ما كان جمال باشا يبيته لهم من شرّ ، ويعتزمه من ابعاد البطريرك الماروني وحاشيته . وقد عاد الى ايطالية مريضاً في السنة الـ ١٩٣٣ ، وهناك لم يلبث ان توفي .

١٥ – رمي لبرتر

هذا القاصد هو الحلقة الاخيرة في سلسلة القصاد الرسوليين في عاصمة لبنان . ولد في فرنسة سنة ١٨٧٨ ، وضوى الى الرهبانية الفرنسيسية ، وعُيّن قاصداً رسولياً في بيروت ، في ١٥ حزيران من سنة ١٩٣٤ . ومن اخص اعماله في هذه البلاد عنايته بتعزيز الكهنة ، وقد انشأ لهم مجلة كهنوتية شهرية عنوانها : « انتم ملح الارض » . وكان صلة حسنة بين ابناء هذه البلاد والكرسي الرسولي .

ولما شاء البابا بيوس الثاني عشر ان يعين سفيراً بابوياً في لبنان ، اصدر امره بالغاء قصادة بيروت واستقدام القاصد الرسولي السيد رمي لبرتر اليه ، فركب البحر مع افراد حاشيته يوم الاثنين الواقع في ٢ حزيران من السنة الـ ١٩٤٧ مسافراً الى رومية ، وبسفره انقطعت هذه السلسلة من القصاد الرسوليين العاديين في لبنان .

٥

السفراء السياسيون او الدبلوماسيون

وجرياً على السياق الذي بدأناه في هذا الباب ، لا نرى بدآ من وضع جدول ثالث باسماء السفراء البابويين الذين خلفوا القصاد الرسوليين في بيروت ، مع ذكر اخص المعلومات الدائرة حولهم ، والاعمال التي قام بها كل منهم في اثناء سفارته .

١ - المونسنيور ألسيد مارينا

هو اول سفير للكرسي الرسولي لدى الجمهورية اللبنانية . ولد سنة ١٨٨٧ ببلدة سنتيمنتو في مقاطعة لومباردية من اعمال ايطالية ، ولما شبّ ضوى الى الرسالة اللعازرية ، ورسم كاهناً سنة ١٩٠٩ ، وعين مرشداً للجيش في الحرب الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨) ، فمدير مجلة ومدرسة اكليريكية ، وزائر اقليم لجمعيته . وفي ١٧ آذار من سنة ١٩٣٦ عين قاصداً رسولياً في ايران ورئيساً لاساقفة بعلبك في لبنان ، وبعد شهرين رسمه اسقفاً الكردينال باشلي اذ كان امين سر للدولة البابوية في عهد خلفه البابا بيوس الحادي عشر (١٩٢٢ - ١٩٣٩) . وفي آب من السنة نفسها سافر لتسلم منصبه ، ومنه نقل سنة ١٩٤٥ سفيراً بابوياً في تركية .

وفي اواسط حزيران من سنة ١٩٤٧ ، عين سفيراً في لبنان ووصل اليه في ١٩ منه بطريق طرابلس ، وجرى له حين وصوله استقبال رائع . وكانت اولى زياراته للقصر الجمهوري ثم لوزارة الخارجية ، وبعد ان استقبل المهنئين من مختلف الطبقات والطوائف ورد لهم الزيارات ، قدم اوراق اعتماده لمقام رئاسة الجمهورية في ٢٤ حزيران ، ولفظ امام رئيس البلاد خطاباً جميلاً اطرأ فيه لبنان وتمنى الفلاح لشعبه .

ومن اخص المساعي الخيّرة التي قام بها في اثناء سفارته : رفع الحجز عن الممتلكات الدينية الايطالية في لبنان ، التي حجزت في اثناء الحرب الاخيرة على اعتبار انها من ممتلكات العدو ، واقامة الاعياد البهيجة كل عام ، احتفاء بذكرى تتويج الحبر الاعظم ، والعمل لتخفيف الشقاء عن اللاجئين الفلسطينيين ، واقامة حفلات باهرة في بيروت في اوائل نيسان من سنة ١٩٤٩ ، حفاوة باليوبيل الكهنوتي الذهبي لقداسة البابا ، وعقد مؤتمرات كاثوليكية يحضرها كبار رؤساء الطوائف الكاثوليكية في دار السفارة ، وكان مما اقرته هذه المؤتمرات : مساعدة المدارس الكاثوليكية – تعضيد الصحافة الصالحة – اشاعة التراث الادبي ونشر الفضيلة ومكارم الاخلاق – وتحسين حالة الاكليروس وايجاد دعوات كهنوتية في جميع الاوساط الوطنية .

وقد سعى السفير في تأليف مجلس كاثوليكي اعلى من اولئك الرؤساء ، يعقد جلسات ثانوية في اوقات محدودة ، يستعرض فيها مختلف النواحي والمصالح الدينية والادبية ، ويعمل على صيانتها واحيائها .

ومن اخص اعماله في الطائفة المارونية ، تمهيده الصعاب امام اللجنة الرسولية التي اقامها قداسة الحبر الاعظم ، الى جانب الطيب الاثر البطريرك انطون عريضة ، لتعاونه في مهامه ، وقد بلغ من العمر عتيًّا .

وفي اول صيف ١٩٥٠ ، شعر السفير مارينا بداء ينتابه ، فقصد الى ايطالية للتداوي . ولكن داءه استفحل وادى الى وفاته في ١٨ ايلول من تلك السنة ، مخلفاً كثيراً من الاسف في قلوب عارفيه ، رحمه الله .

٢ – المونسنيور يوسف بلترامي

عيّن سفيراً بابوياً في لبنان بدلاً من السفير السابق وعلى اثر وفاته . وصل الى بيروت في ٢٣ تشرين الثاني من سنة ١٩٥١ على متن الباخرة اسبيرية ، فاستقبل رسمياً وتهافت الرؤساء والاعيان لتحيته .

ولد سيادته في فوسانو من اعمال البيمونت في ايطالية ، في ١٧ كانون الثاني من سنة ١٨٨٩ ، واتم دروسه في المعاهد العالية ، ونال لقب دكتور

في اللاهوت ومأذون في الآداب والحق الكنسي ، ورسم كاهناً سنة ١٩١٦ وعيّن على الاثر معاوناً في ادارة المكتبة الفاتيكانية . وفي اثناء قيامه بهذا المنصب كان يضع المؤلفات القيمة ويزاول المحاماة في دعاوى التطويب .

وفي سنة ١٩٣٦ عيّن موظفاً في احدى الدوائر الفاتيكانية ، وفي ١٩٤٠ سفيراً بابوياً في غواتيمالا ثم في سلفادور ؛ ودعي بعد ذلك الى رومية فعهد اليه بمنصب هام في وزارة الدولة البابوية .

وبعد وفاة مارينا سنة ١٩٥٠ عين سفيراً للبابا في بيروت بدلاً منه ، وقد قدم اوراق اعتماده لمقام رئاسة الجمهورية في ٢ كانون الاول من سنة ١٩٥١ . والقى بهذه المناسبة خطاباً اعرب فيه عن عطف الحبر الاعظم على الامة اللبنانية ، مشيداً بفضائلها وما فيها من قيم روحية واشعاع ثقافي .

وانصرف بعد ذلك الى القيام بمهام منصبه بكل نشاط واخلاص ، مواصلاً الهمة في متابعة المشاريع المتروكة عن سلفه ، دائباً على عقد المجلس الكاثوليكي الاعلى في دار السفارة ، لبحث كل ما له علاقة بالدين والفضيلة والآداب وشؤون التربية ، وغير ذلك من مسائل الاصلاح والتهذيب وتعزيز القيم المعنوية .

في ايام هذا السفير وافق المجلس النيابي اللبناني على تأييد نظام الاحوال الشخصية للمسيحيين ، وعلى رفع وزيرنا المفوض في الفاتيكان الى رتبة سفير ، وكلا الامرين يدل على ما يتبعه رؤساء الدين في لبنان من سياسة رشيدة ، تحمل اولياء الامر على احترامهم ورعاية جانبهم ، وذلك بتوجيهات مجلسهم الاعلى المنعقد غالباً تحت رئاسة السفير ، والعامل في اكثر الاحيان بنصائحه وارشاداته .

وفي شباط من سنة ١٩٥٩ ، حين صدر الامر بنقله من بيروت ، اقامت له وزارة الخارجية اللبنانية حفلة تكريم وداعية وكانت الحكومة قد اهدت اليه وسام الارز الاكبر فأنيط بصدره في تلك الحفلة ، والقى بعد ذلك خطاباً شكر فيه لبنان وحكومته ، وقال انه سيظل يحفظ ذكر هذه البلاد ، ولن ينسى ابداً ما خبره في اهلها من نبل واخلاص وتقدير للمعنويات .

٣ ـ المطران بولس بيرتولي رئيس اساقفة نيكوميدية

عينه صاحب القداسة البابا يوحنا الثالث والعشرون سفيراً في لـ
بعد استقدام سالفه منه . ووصل الى مطار بيروت الدولي يوم ا
٤ آب ١٩٥٩ فاستقبل بحفاوة . وكان في مقدمة مستقبليه من قبل الحـ
الاستاذ عزت خورشيد رئيس مصلحة التشريفات ، ومن قبل البطر
المارونية سيادة المطران يوسف الخوري النائب البطريركي ، مع
كبير من جلة رجال الدين والدنيا من مختلف الطوائف والمنازع .

وفي يوم الجمعة ٧ منه قدم اوراق اعتماده لفخامة رئيس الجمهو
في احتفال بروتوكولي خاص في القصر الجمهوري بصربا .

ولد سيادته في بلدة بوجيوكارفانيا من ابرشية ابونيا (ايطاليا)
اليوم الاول من شهر شباط ١٩٠٨ . تلقى دراساته في المعهد الاكا
الروماني الشهير ، ثم رسم كاهناً في ١٥ آب ١٩٣٠ ، بعد ان نال
الدكتوراه في اللاهوت والحقين القانوني والمدني .

استدعى الكرسي الرسولي سيادته ، رغم حداثة سنه الى ا
الديبلوماسي ، فقام على التوالي بمهمة سكرتير ومراقب ومستشار لدى السـ
البابوية في يوغسلافيا وفرنسا وسويسرا . ثم عين قائماً بالاعمال لدى حـ
الجمهورية الدومينيكانية وهايتي .

وانتدب بعد الحرب العالمية الثانية لمهات استثنائية مختلفة ، وجا
بلدان اميركا الجنوبية للاطلاع عن كثب على مشكلة الهجرة ، وا
ايضاً باسم الكرسي الرسولي في مؤتمرات عديدة نظمها الصليب الاحمر الد

وبتاريخ ٢٤ اذار ١٩٥٢ ، عين قاصداً رسولياً في اسطنبول ،
ان رقي بتاريخ ١١ ايار من السنة نفسها الى الدرجة الاسقفية كـ
اساقفة نيكوميديا ، بوضع يد صاحب النيافة الكردينال اوجين تيسر
امين المجمع الشرقي المقدس .

تسلم منصبه سفيراً للكرسي الرسولي في بوغوتا (كولومبيا) عام ٥٣
وهو يتكلم عدداً من اللغات ، وعلى اطلاع واسع بشؤون الشعوب الشر

٤ ـ المنسنيور لامبرتيني السفير الحالي

والسفير الحالي هو صاحب السيادة المنسنيور ايغانو ريفي لامبرتيني . عيّنه الكرسي الرسولي خلفاً لسالفه في بيروت بتاريخ ٩ تموز من سنة ١٩٦٠ .

وفي الوقت نفسه انعم عليه باسقفية دوكلي شرفاً . وقد جرى الاحتفال بتسقيفه يوم ٢٨ تشرين الاول من السنة نفسها .

وفي غرة كانون الاول التالي وصل الى بيروت على متن الباخرة : اوزونيا ، فاستقبله في المرفأ جمّ غفير من علية القوم ، يتقدمهم ممثلو السلطات الروحية والمدنية وموظفو السفارة . ولبث الناس من مختلف الطبقات اياماً بعد وصوله يتقاطرون لتحيته والترحيب به معربين عن فائق احترامهم للمقام البابوي .



وبعد ايام سار باحتفال رسمي الى قصر الرئاسة في الزوق ، فقدم اوراق اعتماده الى فخامة اللواء الرئيس فؤاد شهاب الذي حفه بالكثير من مجالي التجلة والتكريم .

وهذا موجز ما اتصل بنا من ترجمة نيافته :

ولد ايغانوريغي في ايطالية سنة ١٩٠٦ ، وبعد ان اتم دروسه وسيم كاهناً دخل في السلك الدبلوماسي البابوي سنة ١٩٤٠ ، واخذ يترقى فيه دواليك درجة بعد درجة على النحو التالي :

في ١٩٤٠ – ٤٧ عيّن ملحقاً بالمكتب المركزي لامانة سر الدولة في الفاتيكان .

وفي ١٩٤٨ – ٤٩ نقل بصفة مراقب الى سفارة الفاتيكان في ايطالية .

وفي ١٩٥٠ – ٥٣ عيّن مستشاراً للسفاوة الرسولية في باريس .

وفي ١٩٥٤ – ٥٥ عهد اليه بمنصب قائم بالاعمال للكرسي الرسولي في كوستاريغا .

وفي ١٩٥٦ – ٥٧ عين مستشاراً في القصادة الرسولية في بريطانية العظمى .

وفي ٢٨ كانون الاول ١٩٥٧ ، سمي قاصداً رسولياً في كوريا من بلدان الشرق الاقصى .

ومن هذا المنصب الاخير نقل في ١٩٦٠ سفيراً رسولياً الى بيروت .

وها هو يحل بيننا منذ قدومه على الرحب والسعة ، محفوفاً حيثما اتجه بمظاهر الاجلال ، لاننا ما زلنا نراه يعرب في كل اعماله عما يزدان به من رصانة وحكمة ومرونة ، ويعمل بكل نشاط وغيرة على انماء وتمكين تلك العلاقات التقليدية العريقة التي تربط لبنان بالكرسي الرسولي .

اخذ الله بيده وحقق امانيه الرامية كلها لخير الانسانية ومصلحة الكنيسة !

٦

علاقات البطاركة

كانت رومية ما تزال حتى اواسط القرن التاسع مرجعاً للكنائس الشرقية ، على ما جاء في رسائل القديس اغناطيوس الكبير بطريرك القسطنطينية .

وكان اولئك البطاركة ، عملاً بما توارثوه وجروا عليه منذ القرون الاولى للنصرانية ، من الاعتقاد بان البابا هو نائب المسيح على الارض وخليفة القديس بطرس هامة الرسل ، يرسلون اليه صورة ايمانهم عند توليهم مناصبهم ، ويذكرون اسمه في القداس ، ويرفعون دعاويهم الى محكمته العالية المعتبرة المرجع الاخير في النصرانية .

ولكن وقعت في تلك الاثناء بين كرسي القسطنطينية والكرسي الرسولي حوادث مؤلمة – ليتها لم تقع – ادت الى التباعد . وقد تشيّع لكرسي القسطنطينية اكثر كراسي الرؤساء الشرقيين ، وذرّ الشقاق قرنه بين الكنيستين الى حد بعيد .

وعلى الاثر عقد في القسطنطينية المجمع المسكوني الثامن سنة ٨٦٩ برئاسة ممثلين للبابا ، فعالج الخلاف ، ولأم الصدع ، واعاد الى الكنيسة الشرقية سلاماً ، ولكنه كان سلاماً واهياً معرّضاً للنكسة عند اول اعصار.

وتوالت الايام على هذه الحال الى اواسط القرن الحادي عشر ، عهد تربع على كرسي القسطنطينية البطريرك ميخائيل كيرولاوس ، بين ١٠٤٣ و ١٠٥٨ ، فقد عاد الخلاف باكثر قوة عن ذي قبل رادى الى اغلاق كنائس اللاتين في جميع انحاء المملكة ، على انه لم يستفحل ويعم الا بعد ان استولى الصليبيون على القسطنطينية ، واضطروا الملك ميخائيل باليولوغوس الى استرجاعها منهم بعد حروب وسفك دماء .

المجمع الفلورنتيني

وظل البابوات بعد ذلك ورغم ما حصل يوالون الاتصال حيناً بعد آخر بأبنائهم الشرقيين ، ويسألونهم العود الى بهاء الوحدة ، ويذكرونهم برغبة المسيح في ان تكون كنيسته واحدة لراعٍ واحد ؛ حتى اذا ارتقى الى العرش الروماني البابا اوجين الرابع (١٤٣١ – ١٤٤٧) كرر النداء ، وكان الامبراطور يوحنا باليولوغوس قد رأى العثمانيين يهددون عاصمته ، بعد ان استحوذوا على قسم كبير من مملكته ، فلجأ الى البابا المذكور ، مبدياً رغبته في الاتحاد هو وشعبه مع الكنيسة الغربية ، فاستقبله البابا بذراعين مفتوحتين ، وعلى الاثر عقد مجمع في فرارا ثم في فلورنسة ، عرف بالمجمع الفلورنتيني ، حضره البابا والامبراطور واراكنة الكنيستين ، وتبودلت فيه مناقشات ودروس عميقة ، افضت الى وضع مقررات قبلها الجميع ، وأعلنت الوحدة بين الشرق والغرب ، بمنتهى الابتهاج ، وبمظاهر من الزين عمت العالم المسيحي بأجمعه .

لكن لم يمر وقت على تلك الغمرة الطافحة بالبشر حتى قام بعضهم من هنا وهناك يطعنون بالمجمع ومقرراته ، وكان في مقدمتهم الاسقف اليوناني مرقس الافسسي الذي اشتهر بالعداء للغرب ، واذا بالشقاق يعود الى مثل ما كان عليه وادهى .

وكان العثمانيون بعد احتلالهم القسطنطينية سنة ١٤٥٤ وسيطرتهم على الشرق ، ينشطون ذلك الخلاف بمختلف الوسائل ، لتوهمهم ان في اتفاق الشرقيين مع البابا ما يعود عليهم بالاضرار .

وبالرغم من ذلك ، جرت محاولات اخرى في اوقات مختلفة لاجل العود الى الوحدة ، ولكنها ذهبت جميعها هباءً ، وما زال ذلك الخلاف ، ويا للاسف ، يمزق احشاء الكنيسة حتى اليوم .

الاتحاد في الطوائف

اجل لم تنجح تلك المحاولات لاجل تحقيق الاتحاد بشكل جماعي ، ولكنها نجحت الى حد ما ، في تحقيقه بشكل فردي ، حتى لقد تألف

بعد زمن من اولئك الافراد العائدين الى الاتحاد ، من مختلف كنائس الروم والسريان والارمن والكلدان والاقباط وغيرهم ، طوائف كبرى جديدة كاثوليكية ذات بطريركيات مرموقة واسعة ، لها بطاركتها ، واساقفتها ، وكهنتها ، ورهبانها ، وراهباتها ، وقوانينها ، وهيآتها الكنسية المستقلة المتحدة مع رومية . ولثلاثٍ منها الآن ، وهي : الرومية الملكية ، والسريانية ، والارمنية ، مراكز بطريركية في لبنان ، وبطاركتها وقسم كبير من التابعين لها لبنانيون .

رتبة البطاركة

والبطريركية رتبة كنسية خص بها اولاً اسقفا الاسكندرية وانطاكية ، ليقوما بسياسة الكنائس المجاورة لمدينتَيْهما . ثم نال غيرهما من الاساقفة هذه الرتبة ، أخصُّهم اساقفة اورشليم والقسطنطينية وقيليقية وبابل وغيرها .

حقوق البطاركة

وللبطاركة من الحقوق نوعان :

اولاً : حقوق فخرية اخصها تقدمهم في المجامع ومختلف المجالس الكنسية .

ثانياً : حقوق ولاية تخولهم ترقية المطارنة الى درجة الحبرية ، وترؤس المجامع الاقليمية ، والحكم في الدعاوى الخاصة ، مع حفظ حقوق الكرسي الرسولي في ذلك .

وقد نقل المجمع اللبناني للموارنة من ترجمة المطران يوسف نجم هذه الحقوق مطولاً ، في الصفحة ٣٤٧ عدد ٦ ، فليراجعها هناك من شاء .

علاقاتهم بالكرسي الرسولي

وعلاقات البطاركة بالكرسي الرسولي نوعان :

علاقات واجبة ، وهي ما يفرضها عليهم القانون الكنسي ، منها ان يوجهوا الى رومية فور انتخابهم معتمداً يحملونه دستور اقرارهم بالايمان الكاثوليكي ، موقعاً عليه بخط ايديهم ، وان يكلوا اليه تأدية الطاعة

للبابا باسمهم ، والتقدم منه بالتماس براءة التثبيت ودرع الرئاسة .

وعلاقات طوعية وهي التي يقومون بها طوعاً بملء اختيارهم ، دون ان يكون هناك اي قانون يوجبها عليهم .

براءة التثبيت

وبراءة التثبيت هي رقيم بابوي يوجه الى البطريرك بعد وصوله الى منصب البطريركية ، بناء على طلبه المرسل مع معتمده الخاص .

فالعادة المتبعة في مثل هذه الحال ان يعقد البابا بعد ان يصل اليه طلب البطريرك مجلس كرادلة ، ويعرض عليه الطلب ، فاذا اقره [وغالباً ما يقره] يلفظ عبارة التثبيت في المجلس نفسه بصوت عال مسموع ، ثم يأمر برقمها في صك خاص ويوجهها الى الملتمس .

وهذا هو نص البراءة التي يلفظها البابا على العادة المرعية :

« نحن فلان (وهنا يذكر البابا اسمه)

« بسلطان الاله القادر على كل شيء ، والقديسين الرسولين بطرس وبولس ، وبسلطاننا نحن ، نؤيد ونثبت انتخاب الاخوة المحترمين اساقفة الطائفة الفلانية الاخ فلان وننحله من كرسي مطرانية كذا ، ونعلنه بطريركاً لكنيسة كذا باسم الاب والابن والروح القدس ، طبقاً لمراسيم المجامع والقوانين المرعية ، ونلغي كل مانع يحول دون تأييدنا هذا »

درع الرئاسة او « الباليوم »

اما درع الرئاسة او الباليوم فنسيج من صوف ابيض ، يرسله الحبر الاعظم الى البطاركة ورؤساء الاساقفة وبعض الاساقفة والقصاد الرسوليين ، دلالة على ملء السلطة التي لهم في كنائسهم .

ولقد كانت هذه الدرع في اوائل النصرانية شبه كساء يشتمل به الاساقفة عند اقامتهم الرتب الكنسية ، ثم تبدلت هيئتها الى ان صارت الى ما هي عليه في ايامنا ، اي عبارة عن قدّة بعرض ثلاث اصابع تجمع

حول العنق فتطوقه ، ولها طرفان ينزل الواحد منهما على الصدر والآخر على الظهر ، يزينهما صلبان سود (مجلة المشرق ٢ : ٦٢٧) .

من يعدُّ الدروع وكيف تُعَد

وتُعدّ الدروع من صوف حملَين ابيضين ، يقدمهما الكهنة خدام كنيسة القديس يوحنا في لاتران كل سنة للحبر الاعظم ، وذلك بأن يأتوا بهما في ٢١ كانون الثاني ، عيـد القديسة اغنس ، الى كنيستها في رومية ، مزينَين بالازهار ، ويضعوهما وقت تلاوة القداس على وسادتين من المخمل الاحمر الى جانبي الهيكل ، وبعد أن يباركهما في آخر القداس الكردينال المحتفل به ويرشهما بالماء المبارك ، يُحملان الى الحبر الاعظم فيباركهما ، ثم يدفعهما شماسان الى راهبات القديس لورنسيوس ، فيقمن برعايتهما وتربيتهما ، ثم يجززن صوفهما يوم خميس الاسرار ، وينسجنه دروعاً تصان في خزانة كنيسة القديس بطرس حتى بيرمون عيده ، فيؤتى بها الى الحبر الاعظم فيكرسها ، ثم يودعها محافظ ثمينة ، ويجعلها على قبر هامة الرسل في الليلة السابقة لعيده ، فتبقى هناك الى اليوم الثاني للعيد ، وعندئذ تؤخذ فتصان الى حين الحاجة اليها .

استقبال الدروع الحبرية في لبنان

وقد جرت العادة في لبنان ان يقيم البطاركة الاستقبالات الرسمية الحافلة لحلة الدروع اليهم من جانب الحبر الاعظم ، وان يتوشحوا بها في اثناء قداس حافل يدعون اليه رؤساء الدين واماثل القوم ، اعظاماً لقدر مرسلها ، يدل على ذلك رسالة وجهها البطريرك يوسف التيان الماروني ، بتاريخ ٣ كانون الثاني من سنة ١٧٩٨ ، من دير مار شليطا مقبس الى البطريرك السرياني اغناطيوس ميخائيل جروه ، يدعوه فيها الى حفلة ملاقاة « الدرع او الباليوم » وتوشحه بها . وهذا نصها :

« غبطة الاخ الكلي الطوبى اغناطيوس ميخـائيل بطريرك السريان الكلي القداسة ،

« المعروض على اخوتكم بعد قبلة اياديكم المقدسة والسؤال عن حسن خاطركم ، اننا اعتمدنا بتوفيق الباري تعالى على ملاقاة « الباليون » المقدس الممنوح لحقارتنا من الكرسي الرسولي ، بتفضل امنا الكنيسة الرومانية وحبرها الاعظم ابي الآباء الاقدس ، قدس سيدنا البابا مار بيوس السادس ، واستقباله باحتفال واجب نهار بكره الخميس ، وثاني يوم نهار الجمعة نتوشح به في قداسنا الاحتفالي في كنيسة ديرنا القديس مار شليطا .

« فلزم ابلاغ اخوتكم اذ نكلفكم بان تشرفوا محلكم وصحبتكم حضرة الاخوة مطارينكم المحترمين في هذا الاحتفال المعلوم عند اخيكم انه يسركم . لجزيل رغبتكم نحو ما يخص نموّ شأن كنيستنا الانطاكية بمقتضى ودكم الخالص ، واطال الله بقاكم بكل خير .

« اخوكم يوسف بطرس
البطريرك الانطاكي »

(عن تاريخ دير الشرفة قسم ٢ فصل ٢٠)

بطاركة الطوائف اللبنانية

وفي لبنان اربعة بطاركة مرتبطون وطوائفهم بالكرسي الرسولي ، ولهم فيه مراكز اقامة وهم الآتي ذكرهم :

١ – البطريرك الماروني لانطاكية وسائر المشرق ، مركزه الآن بكركي شتاء والديمان او جديدة قنوبين صيفاً .

٢ – بطريرك الروم الكاثوليك لانطاكية وسائر المشرق والاسكندرية واورشليم . مركزه الآن في لبنان عين تراز صيفاً ، وله مراكز في كل من كراسي بطريركيته اي في القاهرة والاسكندرية ودمشق واورشليم .

٣ – بطريرك السريان المعروف بالبطريرك الانطاكي ، مركزه الآن في لبنان بيروت شتاء والشرفة صيفاً .

٤ – بطريرك الارمن لكيليكية مركزه الآن بيروت شتاء وبزمار صيفاً .

وها نحن ملخصون تاريخ علائق كل من هذه البطريركيات بالكرسي البابوي ، وما وقع منها في عهد كل بطريرك بياناً لتطوراتها على مرور الايام ، ولاننا نرى في جمعها معاً كما نحن فاعلون صفحة جديدة من تاريخنا الوطني ، يجني منها المطلع فائدة ولذة .

٧
البطريركية المارونية

دُعيت كذلك نسبة الى القديس مارون الناسك ، الذي نشأ في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس ، في افامية ، من اعمال سورية الثانية ، حيث تقوم الآن بلدة « الرستن » .

من هم الموارنة

والموارنة هم متبعو طريقة هذا القديس ، الذين تتألف منهم الطائفة المارونية ، وهي اكبر الطوائف عدداً في لبنان ، واكثرها يمتُّ نسباً الى السريان الآراميين سكان البلاد الاصليين من اقدم العصور .

نقول « اكثرها » اشارة الى من خالطها على مرور الايام من الشعوب المختلفة الاجناس . منهم : الرومي ، والعربي ، والعجمي ، والارمني ، والبيزنطي ، والافرنجي ، ولاسيما الصليبي ، الذي لاذ بها بعد نكبة قومه في الشرق ، في اواخر القرن الثالث عشر .

والمشهور عن هذه الطائفة انها شديدة الولاء للبابا ، كثيرة الاعتصام بالايمان الكاثوليكي من ابانها الاول . وقد عرفت من بدء ظهورها بالانتصار للمجمع الخلقيدوني ، الذي عقد سنة ٤٥١ بأمر البابا لاون الكبير (٤٤٠ – ٤٦١) ، فثار عليها ، لاجل ذلك ، خصومه واضطهدوها واضطروها الى هجر مواطنها الاولى في سورية ، والالتجاء الى لبنان ، والانتشار في جباله ، استمساكاً بعقيدتها الكاثوليكية ، ودفاعاً عن حريتها وكرامتها وصيانة لقوميتها .

وفي التاريخ شهادات وأدلة كثيرة على ثبات الموارنة في الايمان الكاثوليكي ، ودوام اتصالهم بروميه ، اخصها خطابات متبادلة بين البابوات وبطاركتهم واعيانهم من اقدم العصور . وفي مكتبة الفاتيكان مستندات في هذا الموضوع ، تُعتبر في نظر اهل العلم ، من انفس الآثار المحفوظة في المكتبات والمتاحف . ولعلماء الموارنة تآليف جمعوا فيها الكثير من تلك المستندات ، واعتبروها من ابهى مفاخرهم وأمجد امجاد آبائهم . وها نحن نلمع الى اتصالات الموارنة بروميه على ايدي بطاركتهم من صدر المارونية حتى اليوم .

اول بطريرك ماروني

وفي اواخر القرن السابع او اوائل الثامن ، استقلت الطائفة المارونية بطقوسها وادارتها عن سائر الطوائف المسيحية في هذه البلاد ، واتخذت لها بطريركاً القديس يوحنا مارون ، اصله من رهبان مار مارون ، رسمه يوحنا الدمشقي اسقف فيلادلفيا والنائب الرسولي يومئذ على ديار الشام ، سنة ١٦٧٥ مطراناً على البترون ، ليثبت اهل جبل لبنان في ايمان الكنيسة الرومانية . (الدر المنظوم صفحة ١٤١) – وكان انتخابه بطريركاً سنة ٦٨٥ ، خلفاً لتوافان ، ودعي بالبطريرك الانطاكي ، لان الموارنة فئة اصيلة من فئات البطريركية الانطاكية .

ومن علاقاته بروميه ، ما يقال عن سفره الى رومية في عهد البابا سرجيوس (٦٨٧ – ٧٠١) ، الذي احسن استقباله ، ووشحه بدرع الرئاسة ، ووهبه خاتماً وتاجاً وعكازاً حبرياً . وقيل ان وفاته كانت حوالي سنة ٧١٠ .

وقد منح البابا بيوس السابع (١٨٠٠ – ١٨٢٣) في ٣٠ كانون الثاني من سنة ١٨٢٠ غفراناً كاملاً ، كل الذين يزورون كنيسته في كفرحي ، من اعمال البترون – لبنان ، في يوم عيده ، الواقع في ٢ اذار من كل عام .

قورش

وخلف يوحنا مارون البطريرك الاول ابن اخته قورش ، فكتب حال

صيرورته بطريركاً الى الحبر الروماني قسطنطين (٧٠٨ ٧١٥) يلتمس منه براءة التثبيت ودرع الرئاسة ، فأرسلها اليه (الجامع المفصل للدبس صفحة ١٦١) . ومن ذلك العهد بدأ البطاركة الموارنة يلبسون التاج والخاتم والدرع ، على عادة الكنيسة الرومانية (الدوعي للشرتوني صفحة ٩٥) .

وتوالى بعد قورش بطاركة عديدون موارنة ، ذكرت اسماؤهم ولكن لم يعرف شيء ثابت من احوالهم ، لأن تلك القرون التي عاشوا فيها في لبنان كانت مكتنفة بالغموض ، مليئة بالاضطرابات ، يسود فيها الجهل والامية .

في العهد الصليبي

يوسف الجرجسي

وبعد ان قدم الصليبيون الى الشرق وأسسوا مملكتهم في اورشليم ، واقاموا عليهم بطريركاً منهم ، وجهوا وفداً الى رومية يحمل الى البابا اوربانوس الثاني (١٠٨٧ – ١٠٩٩) رسائل يخبرونه فيها بذلك . واتصل الخبر بالبطريرك الماروني عهدئذ يوسف الجرجسي ، فضم الى وفدهم وفداً مارونياً ، يحمل الى البابا كتاباً يحقق فيه طاعته ويطلب منه درع التثبيت .

ولكن عند وصول هذا الوفد كان البابا اوربانوس قد توفي ، فجاد بها عليه خلفه البابا باسكال الثاني (١٠٩٩ – ١١١٨) سنة ١١٠٠ ، وأهدى اليه تاجاً وعكازاً علامة الرضى (الباني في سلاح الايمان صفحة ٦٧ و٦٨) . وكتب هذا البطريرك الجرجسي كتاباً آخر الى البابا جيلاسيوس الثاني (١١١٨ – ١١١٩) ، يهنئه فيه بارتقائه الى سدة الحبرية العظمى ، وعند وصوله كان هذا البابا قد توفي ، وقام بعده البابا كاليكتوس الثاني (١١١٩ – ١١٢٤) فأجاب البطريرك على كتابه شاكراً (الباني في سلاح الايمان صفحة ٦٨) . وتوفي البطريرك الجرجسي سنة ١١٢٠ في دير سيدة يانوح ، ودفن فيه . وفي ايامه استعمل الموارنة النواقيس المعدنية بدلاً من النواقيس الخشبية .

غريغوريوس الحالاتي

وفي سنة ١١٣٠ رقي الى منصب البطريركية غريغوريوس الحالاتي ، فوجه وفداً الى البابا اينوشنسيوس اوزخيا الثاني (١١٣٠ – ١١٤٣) وحمّله رسالة يهنئه فيها بارتقائه الى مقام الحبرية العظمى ، وحين وجه هذا البابا الكردينال غوليلمس الى الشرق ، بسبب حركة الاغتصاب للمقام البابوي ، التي اثارها بطرس لاون ، التقاه البطريرك الماروني الى طرابلس مع احباره واعيان طائفته ، وحلفوا جميعاً ، على يد الكردينال ، يمين الطاعة للبابا الشرعي ، واقتدى بهم الفرنجة المقيمون بلبنان في هذا الامر (الجامع المفصل صفحة ١٩١ والدويهي للشرتوني ٣٠٦) .

يعقوب الراماتي

وفي سنة ١١٤١ تسلم مقاليد البطريركية المارونية يعقوب الراماتي من رامات قرب كفيفان ، فرأى ان يضيف الى اسمه اسم بطرس اعراباً عن تعلقه وشعبه بمقام خليفة القديس بطرس . وما زال البطاركة الموارنة يتابعونه في هذه التسمية حتى اليوم .

وتوفي البطريرك الراماتي سنة ١١٥١ ودفن في دير ميفوق .

ارميا العمشيتي

وتلقى البطريرك ارميا العمشيتي سنة ١١٩٩ من البابا اينوشنسيوس اوزخيا الثالث (١١٩٨ – ١٢١٦) رسالة مع قاصد رسولي خاص ، هو الكردينال بطرس ، فجدد البطريرك والاساقفة الموارنة على يده عهد الطاعة للحبر الأعظم ، كما كان يفعل آباؤهم من قبل (الدويهي للشرتوني ٣١٦) .

وفي سنة ١٢١٣ دعي هذا البطريرك العمشيتي الى رومية لحضور المجمع اللاتراني ، الذي التأم فيها في ١١ ت٢ ١٢١٥ ، فلبى الدعوة ، وأبقاه البابا في رومية مدة طويلة ، دُرست فيها شؤون الحملة الصليبية ، وما يستطيع البطريرك تقديمه لها من مساعدات : ويروى انه بينما كان هناك ،

اجترح الله على يده اعجوبة باهرة . فانه فيما كان يقيم القداس ذات يوم بحضرة البابا ، وبلغ الى رفع القربان ، خرّ الى الارض ساجداً ، وبقي القربان معلقاً فوق رأسه ، فعظّم البابا قداسته ، وامر بنقش صورة هذه المعجزة على جدار الكنيسة ، التي قدس فيها البطريرك .

واذ نوى العودة من رومية (في كانون الثاني من سنة ١٢١٥) اهدى اليه البابا تاجاً وعكازاً وملابس بيعية ، ومن ذلك الحين اخذ الموارنة يقتربون في ملابسهم الكهنوتية من اللاتين (الجامع المفصّل صفحة ٢٠٠) كما قرر البطريرك ان يتبع من الرتب اللاتينية ما رآه في تلك المرحلة ملائماً لطائفته (بولس مسعد في دليل لبنان صفحة ٢٧٣) وكانت وفاته في السنة الـ ١٢٣٠ .

شمعون او سمعان الثاني

وفي ١٢٤٥ قام البطريرك شمعون او سمعان الثاني ، فأرسل اليه البابا اينوشنسيوس الرابع سنة ١٢٤٦ الاخ لورنسيوس من رهبان مار فرنسيس قاصداً خاصاً .

وفي ١٢٥٤ كتب البابا اسكندر الرابع (١٢٥٤ – ١٢٦١) الى هذا البطريرك رسالة جميلة ، كانت ما تزال محفوظة في خزائن البطريركية بدير قنوبين حتى ايام الدويهي ، وفي هذه الرسالة يوصيه خيراً بالافرنج المهزومين من انطاكية الى لبنان ، لوذاً بحمى الموارنة ، ويطلب منه ضمهم الى رعيته ، لئلا يظلوا بدون بطريرك . وفيها ايضاً يدعوه (ربما لاول مرة) بالبطريرك الانطاكي .

دانيال الحدشيتي

ثم صار الحدشيتي بطريركاً سنة ١٢٧٨ . وفي سنة ١٢٨٠ بعث اليه البابا نقولا الثالث (١٢٧٧ – ١٢٨١) ببراءة التثبيت ، مع بعض هدايا ، طالباً منه اخذ الميرون من زيت الزيتون ودهن البلسم لا غير . وكان

قبلاً يؤخذ من اثني عشرة مادة من الادهان ، رمزاً الى اثني عشرة فضيلة .

وفي ١٢٨٢ زحف المماليك المصريون على الجبّة ، قصد اجتياحها واخضاع لبنان لدولتهم ، فصدمهم الموارنة تحت قيادة بطريركهم الحدشيتي ببسالة ، وبعد ان اوقفوهم امام اهدن اربعين يوماً ، لا يعرف كيف احتال المماليك على البطريرك فأمسكوه وأعدموه حياته ، فقضى مأسوفاً عليه شهيد بلاده وطائفته .

ارميا الدملصي

رسم بطريركاً في دير حالات سنة ١٢٧٨ ، بحضر امير جبيل الصليبي هوغو لامبرياك ، وبانتخاب الاساقفة ورؤساء الكنائس المارونية ، وسافر سنة ١٢٨٢ الى رومية ، عملاً برغبة الحكام والاعيان ، لزيارة الاعتاب الرسولية ، تاركاً وكيلاً عنه في لبنان المطران تادروس ، فأكرمه الحبر الروماني البابا اونوريوس الرابع (١٢٨٥ — ١٢٨٧) وغمره بهداياه .

وتوفي هذا البطريرك سنة ١٢٩٧ .

جبرائيل من حجولا

وبعد ان جلا الصليبيون عن هذه البلاد ساءت حال الموارنة ، واصبحوا هدفاً للاضطهاد . وفي ١٣٠٥ وقعت نكبة كسروان وفني منهم كثيرون . ولا يعلم عن بطريركهم في تلك الآونة شيء راهن . والراجح ان علاقاتهم برومية توقفت حيناً ، بسبب ما كانوا يلاقون من مصاعب .

وفي ١٣٦٧ استشهد بطريركهم هذا جبرائيل من حجولا في طرابلس ، بتهمات زورية لا اصل لها .

يوحنا الجاجي

انتخب هذا البطريرك سنة ١٤٠٤ ، وفي ١٤٣٩ وجه فرا جوان رئيس الرهبان الفرنسيسيين في بيروت الى رومية ليمثله في المجمع الفلورنتيني ،

الذي عقد في تلك السنة ، لاقرار الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية ، مفوضاً اليه الموافقة باسمه على ما يقرره المجمع .

وعند عودة هذا القاصد ، ارسل معه البابا اوجين الرابع الى البطريرك هدايا حسنة ، وبراءة تثبيت ، فلاقاه الموارنة بابتهاج الى طرابلس ، وبسبب ذلك ثار عليهم سخط واليها وأنزل فيهم ما ذكرناه سابقاً من قتل وتخريب . (راجع كلامنا عن فرا جوان في باب القصاد الاستثنائيين) .

وتوفي البطريرك الحاجي سنة ١٤٤٥ .

في العهد العثماني

سمعان الحدثي

صار بطريركاً سنة ١٤٩٢ ، وفي ١٥١٣ استطاع ان يوجّه الى رومية قاصداً يطلب له من البابا لاون العاشر (١٥١٣ - ١٥٢١) الدرع وبراءة التثبيت ، فأعاده البابا بكتاب يطلب فيه افادته عن معتقد الموارنة وعاداتهم .

عندئذٍ كتب البطريرك جواباً مؤرخاً في ١٨ اذار من سنة ١٥١٥ توجه له الى اللاتينية الاب مرقس رئيس دير الفرنسيسكان في بيروت ، وارسله مع قاصده الاول ، مصحوباً بست براءات بابوية ، كانت موجهة من البابوات الى البطاركة اسلافه ، فسرّ بها لاون العاشر ، واهدى اليه للحال درع الرئاسة ، مع تاج مرصّع ، وغفارتين ، وبطرشيلين ، وغطاء للمذبح ، وستار للكرسي ، وزنار ، وقميص ، وبضع مدرعات . وكتب اليه رسالة بديعة اثنى فيها على الموارنة ثناء جميلًا ، وشبههم بالوردبين الشوك ، وشكر لهم « تشبثهم بعادات الكنيسة الجامعة وبرتبها بنقاوة لا ريب فيها ، وبايمان لم يزعزعه ما المّ بهم من ضيم وضنك » .

وفي ايام هذا البطريرك فتح السلطان سليم العثماني سورية سنة ١٥١٥ وعفاه من الفرمان الذي كان قد فرضه على كل بطاركة الشرق .

موسى العكاري

وقام هذا البطريرك في ٩ كانون الاول من سنة ١٥٢٤ ، بعد سيطرة العثمانيين على لبنان ، وتواترت عرائضه الى الاحبار الرومانيين اكليمنضوس السابع ١٥٣١ ، وبولس الثالث ١٥٤٢ ، وبولس الرابع ١٥٥٦ ، فكانت تقع كلها في البحر بأيدي القرصان ، ولا يتلقى عنها جواباً . وفي ١٥٦١ وجّه الى رومية قساً من قبرس يدعى جرجس ماهراً بالايطالية ، وحمله رسالة الى البابا بيوس الرابع (١٥٥٩ – ١٥٦٥) ، يطلب فيها درع الرئاسة ، وارسل معه على مثال سابقه ست براءات واردة من البابوات الى سلفائه ، فلما وقف البابا عليها ، انعم على البطريرك بدرع الرئاسة ، وأهدى اليه عدة كاملة للتقديس ، وبراءة غفران لبعض الكنائس ، ومرسوماً يحتم فيه بأن لا يعارض احدٌ الموارنة في الولاية على كنائسهم واوقافهم ، وذلك في ايلول من سنة ١٥٦٢ (تاريخ سورية للدبس ، مجلد ٧ – صفحة ١١٨) . وتوفي البطريرك موسى العكاري في ١٩ اذار من سنة ١٥٦٧ .

في عهد الامارة المعنية

ميخائيل الرزي

وانتخب البطريرك ميخائيل الرزي في ٣١ اذار من السنة الـ ١٥٦٧ ، فوجه بعد انتخابه وفوداً الى البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ – ١٥٨٥) ، ليطلبوا له صك التثبيت ، ودرع الرئاسة ، وكان هذا البابا قد أبلغ ان في كتب الموارنة اشياء تخالف العقيدة الكاثوليكية ، فأرسل اليهم قاصدين هما الاب جوان باطيستا اليانو ، والاب توما رادبو اليسوعيين ، فأقام هذان زمناً في لبنان ، يفحصان الشؤون ، وقد اقرّ امامهما البطريرك بأنه « ماروني ابن ماروني » اي متشبّث بالخضوع للبابا . ولما سافر اصحبهما بتحارير بهذا المعنى ، وارسل معهما شابين ليقتبسا العلم في مدارس رومية ، واذ قابل القاصدان البابا ابلغاه عن الموارنة ما اثلج صدره ، فأمر بان

تنشأ لهم في رومية مدرسة اكليريكية ، يثقف فيها المرشحون منهم للكهنوت ، وان يعود احد القاصدين اليانو الى لبنان مع رفيق آخر ، وحملها الى البطريرك صك التثبيت ودرع الرئاسة ، مع رسالة مؤرخة في ١٢ اذار سنة ١٥٨٠ . وحال وصولها وشحّها البطريرك بالدرع في حفلة حافلة يوم ١٥ آب من السنة الآنفة الذكر ، يوم عيد انتقال السيدة العذراء ، وكانت وفاته في ٢١ ايلول من سنة ١٥٨١ .

سركيس الرزي

وخلفه بحضور اليانو اخوه البطريرك سركيس الرزي ، سنة ١٥٨١ بعد مرور ٩ ايام على دفنه ، فارسل اليه البابا غريغوريوس الثالث عشر درع الرئاسة في ١٥ اذار من سنة ١٥٨٣ ، على يد رفيق اليانو ، وفوّض الى اسقف طرابلس ان يوشّحه بها ويقبل منه يمين الطاعة . ولم يلبث البطريرك ان وجّه رسالة شكر الى البابا مع وفد بطريركي اصحبه بعشرة شبان من الموارنة لاقتباس العلوم في رومية ، وفي ايامه بلغ عدد التلاميذ الموارنة في رومية العشرين ، فأُنشئت لهم مدرسة خاصة سنة ١٥٨٤ ، وعند انشائها خطب البابا غريغوريوس الثالث عشر فقال : « ان الموارنة سكان جبل لبنان هم مستمرون من عصور كثيرة على الايمان الكاثوليكي والخضوع للبابا » .

وفي عهد البابا اكليمنضوس الثامن (١٥٩٢ — ١٦٠٥) ، ارسل البطريرك سركيس ابن اخيه المطران يوسف الرزي يهنئه ويؤدي له يمين الطاعة ، وعند عودته سنة ١٥٩٥ ارسل معه البابا راهبين يسوعيين ، هما الابوان ايرونيموس دنديني واغابيوس برون بصفة قاصدين رسوليين ، وحمّلها الى البطريرك بعض هدايا ، وأمرهما بالفحص عن حالة الموارنة وعاداتهم ، فوصل القاصدان الى لبنان سنة ١٥٩٥ في ايام الامير فخر الدين الكبير ، وعقدا للموارنة مجمعاً تهذيبياً في ١٨ ايلول سنة ١٥٩٦ . وقد توفي البطريرك سركيس ودفن بحضور دنديني في ٢٧ من ايلول سنة ١٥٩٧ (راجع كلامنا عن دنديني في باب القصاد الاستثنائيين) .

يوسف الرزي

وقام بعده في ٤ ت١ من السنة نفسها اي الـ ١٥٩٧ البطريرك يوسف الرزي ، ابن اخي البطريرك المتوفى . وفي سنة ١٥٩٨ اوفد البطريرك الجديد الخوري جرجس بن يونان من قرية ايليج والشدياق يوسف بن الياس الحلبي الى رومية ، لاداء فروض الطاعة للحبر الروماني ، والتماس براءة التثبيت ودرع الرئاسة ، فعادا في سنة ١٥٩٩ ظافرين بالمطلوب .

وفي سنة ١٦٠٥ توفي البابا اكليمنضوس الثامن ، وقام بعده البابا بولس الخامس (١٦٠٥ – ١٦٢١) فأوفد البطريرك يوسف المطران يوحنا الحصروني ، وكان من تلاميذ مدرسة رومية ، ليقدم باسمه للبابا الجديد فروض الطاعة ، ففعل ، وعاد الى لبنان في سنة ١٦٠٦ ، وكان البابا قد أوعز اليه بان يتبع الموازنة الحساب الغريغوري ، فأمر البطريرك باتباع هذا الحساب ، وعيّد الموارنة في طرابلس رجبة بشري والبترون وجبيل عيد الوصل مع الافرنج ، قبل الطوائف الشرقية بعشرة ايام ، ثم تابعهم في ذلك سائر اخوانهم في دمشق وحلب وغيرهما من المدن والقرى في لبنان . وكانت وفاة هذا البطريرك في آب من سنة ١٦٠٨ .

يوحنا مخلوف

وقام بعده البطريرك يوحنا مخلوف في شهر نيسان سنة ١٦٠٩ ، ونال لدى الحبر الاعظم مرتبة مرموقة ، وحصل منه سنة ١٦١٠ على درع الرئاسة ، بيد قاصده القس جرجس الاهدني ، مع كثير من الهدايا والنعم (نرمي في كتابه سوريه المقدسة صفحة ٥٣) .

وافتتح هذا البطريرك مدرسة حوقا فوق وادي قاديشا وجعلها اعدادية لمدرسة الطائفة في رومية ، فسرّ البابا ادريانوس الثامن بها (١٦٢٣ – ١٦٤٤) . وعين لها مساعدة مالية سنوية ، واشار بان يوضع لها قانون على مثال مدارس رومية ، وأهدى الى البطريرك تيجاناً وغفارات وكتباً وحللاً كنسية مختلفة واموالاً وافرة .

وظلّ هذا البطريرك طوال مدة بطريركيته التي بلغت ٢٥ سنة صلة وصل بين المقام البابوي والامير فخر الدين المعني ، ويقال انه هو الذي حرضه على تحقيق الوحدة اللبنانية ، فعلا بسبب صداقته مع الامير فخر الدين مقامه ، ونالت طائفته كثيراً من الوجاهة ، « وركب اعيانها الخيل بسروج ، ولفوا شاشات بيضاء وكروراً ولبسوا طوامين وزنانير مسقطة وحملوا القسي والبنادق المجوهرة (الدوعي للشرتوني صفحة ٢٠٥) . وكان الامير يرجع في اكثر اموره الى رأي البطريرك الذي توفي غماً سنة ١٦٣٣ بسبب اعتقال الامير فخر الدين ونفيه .

جرجس عميرة

وبعده قام البطريرك جرجس عميرة الاهدني ، في السنة نفسها ال ١٦٣٣ ، واذ كان هذا البطريرك من نوابغ المدرسة المارونية في رومية ، لم يلقَ عناء في نيل براءة التثبيت من البابا ادريانوس الثامن سنة ١٦٣٥ ، وفي ايامه انشئت مدرسة للموارنة في مدينة رافنا من اعمال ايطالية ، بمساعدة الكرسي الرسولي .

وقام بعد الامير فخر الدين في ايام هذا البطريرك ابن اخيه الامير ملحم . واذ كان السلطان يرفض الاعتراف لهذا الامير بخلافة عمه ، دعا اليه البطريرك الى دير القمر ، وبالغ في تعظيمه ، وانزله في قصره ، بعد ان هيأ له معبداً لاقامة القداس ، وطلب منه التوسط لدى ملك فرنسة والبابا ليسعيا لدى السلطان في تأييده ، ففعل البطريرك ، ونجحت وساطته ، واعترف السلطان بولاية الامير ملحم .

وتوفي البطريرك عميرة مرفوع المقام في ٥ آب من سنة ١٦٤٤ .

يوسف العاقوري

وخلفه البطريرك يوسف العاقوري المعروف بابن حليب في ١٥ آب سنة ١٦٤٤ ، ووجه وفداً مارونياً الى رومية ليأتيه ببراءة التثبيت ودرع

الرئاسة ، فتقبله البابا اينوشنسيوس العاشر (١٦٤٤ - ١٦٥٥) بالاعزاز ، وأنعم عليه بما طلب ، وامر بأن يطبع الموارنة على نفقته كتاب الصلوات الكهنوتية الاسبوعي المعروف بالشحيمة ، مع بعض كتب اخرى ، اخصها غراماطيق سرياني .

ولهذا البطريرك قصيدة سريانية في رئاسة الحبر الروماني ، وهو الذي كان السبب في استمالة طائفة السريان الى الكثلكة بارساله اندراوس اخيجان الحلبي اليعقوبي الى رومية ليتهذب في مدرسة الموارنة على المبادىء الكاثوليكية . (المكتبة الشرقية للسمعاني صفحة ٥٥٣) . وتوفي البطريرك يوسف العاقوري بعد انتخابه بأربع سنوات وثلاثة اشهر سنة ١٦٤٨ ، ودفن في العاقورة

يوحنا الصفراوي

انتخب في ١٣ ت٢ ١٦٤٨ وهو من قرية الصفرا في فتوح كسروان ، من عائلة البواب . ثبته البابا اينوشنسيوس العاشر سنة ١٦٤٩ ، واهتم بالاتصال برومية ، وسعى في طبع جانب من الكتب الطقسية المارونية فيها . وكانت وفاته في ٢٣ ك١ سنة ١٦٥٦ .

جرجس السبعلي

انتخب في افتتاح السنة الـ ١٦٥٧ ، ووجه الى رومية الاب يوحنا الكرملي من دير القديس اليشاع الواقع في جوار بشري ، بمراثض اداء الطاعة للحبر الاعظم ، فاستمد له براءة التثبيت من البابا اسكندر السابع (١٦٥٥ - ١٦٦٧) ، ولكن هذا القاصد مات في رومية ، فاضطر البطريرك الى تجديد الالتماس ، فتأخر تثبيته الى السنة الـ ١٦٥٩ (الدويهي في تاريخ السنة الـ ١٦٥٧) . يروى انه كان عالماً يتقن عدة لغات ، لطيف العشرة . وقد قضى نحبه سنة ١٦٧٠ ودفن في دير مار شليطا مقبس .

في عهد الامارة الشهابية

اسطفانوس الدويهي المؤرخ

هو المؤرخ المشهور من نوابغ تلاميذ المدرسة المارونية برومية ، اصله من حصرون ، تمّ انتخابه في ٥ ايار من سنة ١٦٧٠ ، نال براءة التثبيت ودرع الرئاسة من البابا اكليمنضوس العاشر (١٦٧٠ - ١٦٧٦) ، على يد قاصده الخوري يوسف نعمة الله السمعاني وذلك بتاريخ ٨ آب سنة ١٦٧٢ . ومن اخصّ خدماته لرومية استمالته اليها كثيرين من رؤساء الدين المنفصلين عنها في هذه البلاد بما كان يبسطه عليهم من الحماية ، ويبذله لهم من الارشاد المؤيد بالحجج الدامغة ، والبراهين العلمية السديدة . وكانت وفاة هذا البطريرك المغبوط في ٣ ايار من سنة ١٧٠٤ ، تاركاً ذكراً طيباً ومؤلفات عديدة اخصها « تاريخ الازمنة » .

يعقوب عواد

وخلفه البطريرك يعقوب عواد في اول ت ٢ ١٧٠٥ ، فثبته البابا اكليمنضوس الحادي عشر (١٧٠٠ - ١٧٢١) ، على يد قاصده غريغوريوس الكرملي سنة ١٧٠٦ . وقد تحامل على هذا البطريرك بعض حساده فعزلوه عن منصبه ، خلافاً للقوانين ، والزموه بالاقامة شبه سجين في دير اللويزة ، وانتخبوا بطريركاً بدلاً منه ، وعرضوا الامر للبابا . فكان ان امر قداسته المجمع المقدس بالفحص ، واذ لم يظهر على البطريرك المعزول ما يؤاخذ به اصدر المجمع حكماً بتبريره ، وبعوده الى منصبه . وقد وافق الحبر الاعظم على هذا الحكم ، فأذعن له الموارنة جميعاً ، وارجعوا البطريرك الى عرشه ، ولبث فيه معززاً موفور الكرامة الى يوم وفاته في ٩ شباط سنة ١٧٣٣ (راجع ما كتبناه عن قصادة لورنسيوس كوزا في باب القصاد الاستثنائيين) .

يوسف الخازن والمجمع اللبناني

وانتخب بعده البطريرك يوسف ضرغام الخازن في ٢٤ شباط سنه ١٧٣٣ ،

وعرض انتخابه على رومية فثبته البابا اكليمنضوس الثاني عشر (١٧٣٠ – ١٧٤٠) ، على يد موفده القس عبد الله عون من عجلتون في سنة ١٧٣٤ .

وفي ايام هذا البطريرك عقد المجمع اللبناني دستور الطائفة المارونية المشهور ، برئاسة السيد يوسف السمعاني الماروني الذي كان مقيماً في رومية . وقد ُوجه الى لبنان بصفة قاصد بابوي ، ليعقد المجمع بحضرته ، فقوبل في بيروت وعلى الطريق الى كسروان محفوفاً بمظاهر الفرح والاجلال ، ونودي بانعقاد المجمع يوم الاحد ٣٠ ايلول من سنة ١٧٣٦ ، وقد ضمنه عاقدوه في سلطان البابا وواجب الخضوع له باباً دلّ على عظيم احترامهم للكرسي الرسولي ، وشديد تعلقهم باهداب الطاعة لاوامره ، اذ انهم أخضعوا لسلطانه كل ما اثبتوه فيه . وقد وافق البابا بنادكتوس الرابع عشر (١٧٤٠ – ١٧٥٨) على قوانين هذا المجمع ورسومه واحكامه ، ببراءة مؤرخة في اول ايلول من سنة ١٧٤١ . وتوفي هذا البطريرك في ١٣ ايار من سنة ١٧٤٢ .

طاعة البابا في قوانين المجمع

ومن الأدلة على مكنة علائق الموارنة بالبابا ما جاء في الباب الآتف الذكر من ان معشر المطارنة والاساقفة منهم يعدون عند ترقيتهم الى درجة الحبرية بكمال الطاعة والخضوع لبطريركهم المعدود لهم رئيساً وزعيماً ، على ان يبقى سلطان الحبر الروماني ورئاسته سالمين ابداً . وقد وضع لهؤلاء قانون اوجب عليهم تلاوته يوم قبولهم الدرجة الحبرية . من اخص ما جاء فيه قولهم :

« اني اؤمن واعتقد ان ربنا يسوع المسيح قد آتى بطرس الرسول الخلافة ، وولاه الرئاسة على الكنيسة بامرها ، وهو اي بطرس اسس اولاً الاريكة البطريركية في انطاكية ، ثم ارتحل الى رومية ام المدن واكمل فيها استشهاده ، فصارت ام كنائس العالم بأسرها ، وان خلافة الاحبار الرومانيين على تلك السدة لم تنقطع حتى العهد الحاضر ، بشخص البابا والبطريرك الحاليين » . ومن ثم يعد الحبر المرقّى الى درجة الحبرية بطاعة

شرائع البطريرك واوامره وبتكريمه والخضوع له على شرط ان يرعى هو بدوره ويكرم الحبر الروماني الاقدس نائب المسيح على الارض بمنزلة رئيسه ومعلمه وابيه الخ ... »

سمعان عواد

وبعد وفاة البطريرك الخازني كما قلنا في ١٣ ايار من سنة ١٧٤٢ ، انتخب المطران سمعان عواد بطريركاً ولكنه رفض المنصب زهداً وتعففاً ، وعندئذ وقع خلاف بين المطارنة ادى الى انتخاب بطريركين هما : المطران طوبيا الخازن والمطران الياس محاسب الغسطاوي ، ووجه كل من الفريقين موفداً الى رومية للمحاماة عن دعواه ، مصحوباً ببينات على صحتها ، وسقوط دعوى خصمه ، ولكن رومية ابطلت الانتخابين وعينت في ١٦ اذار سنة ١٧٤٣ للبطريركية المنتخب الاول المطران سمعان عواد ، فخضع جميع المطارنة لحكمها ، وامتثلوا لسلطة البطريرك الجديد قائلين كلمتهم المشهورة : « لقد تكلم بطرس بلسان خليفته بنادكتوس الرابع عشر ، فلم يعد علينا الا الاذعان » .

وتأثر البابا تأثراً بالغاً حين بلغه خضوع الموارنة لامره ، وجمع في ٣ تموز من سنة ١٧٤٤ الكرادلة ومقدمي البلاط البابوي ، وفاه امامهم بخطاب اطرأ فيه الطائفة المارونية . ومما جاء فيه قوله :

« حقاً لم يذبل بهاء الكرمل ، ولم ينقص مجد لبنان ، لان بطريرك الموارنة واساقفتهم وكهنتهم وشعبهم يحترمون سلطان القديس بطرس ويكرمونه بشخص الحبر الروماني » (تاريخ سورية للدبس جزء ٨ صفحة ٥٢٢) .

وختم البابا خطبته بمنح براءة التثبيت ودرع الرئاسة للبطريرك الجديد سمعان عواد . وتوفي هذا البطريرك في ١٢ شباط ١٧٥٦ ودفن في دير مشموشة . (راجع ما كتبناه عن قصادة يعقوب دي لوكا في باب القصاد الاستثنائيين) .

هندية تخلق محنة للموارنة

يوسف اسطفان

وبعد ١٠ سنوات قام فيها البطريرك طوبيا الخازن انتخب البطريرك يوسف اسطفان احد تلاميذ المدرسة المارونية في رومية ، بتاريخ ٩ حزيران من سنة ١٧٦٦ ، فأعلن تثبيته البابا اكليمنضوس الثالث عشر (١٧٥٨ — ١٧٦٩) على يد الموفد البطريركي المطران عبد الاحد انطونيوس من لوكا ، في ٦ نيسان سنة ١٧٦٧ .

وقد فوّض الكرسي الرسولي الى هذا البطريرك حلّ الخلاف الواقع ما بين الرهبان الموارنة ، فأمر هذا بوجوب قسمتهم الى بلديين وحلبيين ، ووافق الحبر الاعظم على هذه القسمة ، وأثبتها سنة ١٧٧٠ ، فأصبحت مبرمة (تاريخ الرهبانية لبليبل) .

ووقعت للموارنة في ايام هذا البطريرك محنة ، هي حادثة الراهبة حنة عجيمي المعروفة بهندية ، فقد بلغ رومية ان في مسلك الرهبانية التي انشأتها الراهبة المذكورة في بكركي من اعمال كسروان ما يدعو الى الارتياب ، فوجهت اليها من حقق في امرها ، ولم تلبث ان اصدرت الامر بحلّها ، ثم انتهى اليها ان البطريرك يساندها ، فكتبت اليه توقفه عن التصرف بسلطانه البطريركي ، وتستدعيه الى رومية لاعطاء الجواب عما نسب اليه ، فسارع البطريرك الى الطاعة ، وسار الى دير النبي الياس في الكرمل ليسافر من هناك ، ولكنه أصيب بداء اعاقه عن مواصلة السفر ، وبسبب ذلك الحادث وقعت رجّة في الطائفة كادت تؤدي الى ما لا تحمد عقباه ، ولكن عاطفة الخضوع لرومية لم تلبث ان تغلبت على كل ما سواها ، وقد وضحت للأب الاقدس براءة البطريرك ، فأصدر امره بأن يعود معززاً الى مقامه السامي بعد ان يوقّع بيده مرسوم طاعته ، وبذلك انتهت المحنة وعمّ الفرح قلوب الموارنة جميعاً . ومن اخصّ اعمال هذا البطريرك سعيه في تعيين الشيخ غندور الخوري قنصلاً لفرنسة في بيروت ، وتحويل دير عين ورقة من املاك عيلته الى مدرسة اكليريكية عامة للطائفة المارونية .

وتوفي البطريرك يوسف اسطفان في ٢٢ نيسان سنة ١٧٩٣ . (راجع كتاب بصائر الزمان في ما هو البطريرك يوسف اسطفان للقس بولس عبود ، وما كتبناه عن قصادة الاب دي مورتا في باب القصاد الاستثنائيين) .

يوسف التيان واستقالته

وانتخب فيما بعد بطريركاً يوسف التيان يوم ١٦ ايار من سنة ١٧٩٦ ، وهو من تلاميذ رومية ، وفي ايام كهنوته وجهه اساقفة الطائفة واعيانها الى رومية لينوب عنهم في حلّ قضية البطريرك يوسف اسطفان ، فكلّل مسعاه بالنجاح ، ومنحه البابا بيوس السادس براءة التثبيت ودرع الرئاسة في ٢٤ تموز سنة ١٧٩٧ ، وله في سلطة الحبر الروماني ثلاث مقالات ، وجهها الى المطران جرمانوس آدم الملكي ، جُمعت في كتاب لم يطبع ، وهو محفوظ في خزائن بكركي .

وفي سنة ١٨٠٩ تنازل البطريرك يوسف التيان بملء رضاه عن المقام البطريركي متخلّياً عن بهارج الرئاسة . وكان من بعض اسباب ذلك خلافه مع الامير بشير الثاني الكبير ، على اثر ما كان يفرضه هذا الامير على الشعب من الضرائب الفادحة ، وعدم اكتراثه لما كان يوجهه اليه البطريرك من نصح بوجوب معاملة الفقراء بالرأفة ، حتى لقد تهدده مرة بالحرم . اخيراً آثر الاعتزال وحبس نفسه في دير قنوبين ، وبقي هناك يعيش عيشة النسك والتقشف ، الى ان ادركته المنية في ٢٠ شباط ١٨٢٠ ، ودفن في مدفن البطاركة في الدير المذكور .

(راجع الجامع المفصل في كلامه على هذا البطريرك) .

يوحنا الحلو

وانتخب البطريرك يوحنا الحلو في ٨ حزيران ١٨٠٩ ، فلم يمنعه الاضطهاد الذي انزله نابوليون بالبابا بيوس السابع من ان يوجه قاصده الى حيث كان في سافونة من اعمال ايطاليا ، فأثبت البابا انتخابه في ١٦ كانون الاول من سنة ١٨٠٩ .

ووصلته براءة التثبيت في ٢٧ كانون الثاني من سنة ١٨١٠ ، وبعد عودة البابا الى رومية ارسل اليه درع الرئاسة في ١٩ كانون الاول من سنة ١٨١٤ .

وقد نقله الله اليه بالوفاة في ١٢ ايار من سنة ١٨٢٣ .

الاحتلال المصري وسقوط الامارة الشهابية

يوسف حبيش

وانتخب المطران يوسف حبيش بطريركاً في ٢٥ ايار من سنة ١٨٢٣ ، وثبته البابا لاون الثاني عشر (١٨٢٣ - ١٨٢٩) على يد وكيله في رومية القس باسيليوس الارمني .

من اخص اعماله تحويله ديري مار عبدا هرهريا ومار يوسف الرومية الى مدرستين اكليريكيتين ، وتأسيسه جمعية للمرسلين يتجول اعضاؤها في القرى للوعظ وعمل الرياضات ، وترميم دير بكركي وجعله مركزاً للبطريركية في الشتاء ، وتشييد دير الديمان وجعله مقراً بطريركياً في فصل الصيف .

وفي ايامه حصلت في لبنان عدة طوارىء وانقلابات ، منها الاحتلال المصري وما رافقه من ثورات وتعديلات في النظم والافكار ، وسقوط الامارة الشهابية ، ومحاولة الدولة العثمانية القضاء على امتيازات لبنان ، ثم قسمة الاراضي اللبنانية الى قائمقاميتين ، والفتنة الطائفية الاولى والثانية بين ١٨٤٠ و ١٨٤٥ ، فتصرف البطريرك الحبيشي في خلالها تصرفاً حكيماً مرتشداً فيه بارشادات رومية وتعليماتها السديدة .

وقد توفي هذا البطريرك في ١٣ ايار من سنة ١٨٤٥ متأثراً ، على ما يقال، بما رآه ينزل في ابناء عشيرته من حيف وجور في اثناء تلك الفواجع .

يوسف الخازن

انتخبه رؤساء الطائفة طبقاً لرسوم المجمع اللبناني في ١٨ آب من

سنة ١٨٤٥ ، ووجه الى رومية موفداً بطريركياً هو المرحوم المطران نقولا مراد ، فأتاه بصك التثبيت ودرع الرئاسة من البابا غريغوريوس السادس عشر ، ولم تطل ايام بطريركيته لانه توفي في ٣ ت٢ من سنة ١٨٥٤ ودفن في قنوبين .

فتنة ١٨٦٠ وحكومة المتصرفية

بولس مسعد

كان البطريرك بولس مسعد تلميذ مدرسة رومية . انتخب بطريركاً في ١٢ ت٢ سنة ١٨٥٤ ، ونال التثبيت والدرع في ٢٣ اذار من سنة ١٨٥٥ ، على يد وكيله القس امبروسيوس الدرعوني الراهب الحلبي . وفي ايامه حدثت فتنة ١٨٦٠ وحوادث يوسف بك كرم ونشأت حكومة المتصرفية ، فكان في اثنائها لا ينفك يلتجىء الى رومية ويعمل بموجب تعليماتها ونصائحها . وفي ١٨٦٧ سافر الى رومية بدعوة من الحبر الاعظم البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ – ١٨٧٨) للاشتراك في احتفالات العيد القرني للقديسين الرسولين بطرس وبولس ، وتطويب بعض الشهداء ، فاستقبله البابا بحفارة بالغة ، وفي ١٨٦٩ افتتح المجمع الفاتيكاني ودعي اليه البطريرك ، فوجه لحضوره بالنيابة عنه المطرانين بطرس البستاني وطوبيا عون . اما رحلته الى رومية ١٨٦٧ فقد فصّلها الخوري يوسف الدبس (مطران بيروت بعدئذ) في كتاب دعاه : « سفر الاخبار في سفر الاحبار » . ورقد البطريرك بولس مسعد بالرب في ١٨ نيسان من سنة ١٨٩٠ ودفن في عشقوت .

يوحنا الحاج

انتخب يوم الاثنين ٢٨ نيسان سنة ١٨٩٠ وطلب صك التثبيت ودرع الرئاسة مع مرفده المطران الياس الحويك ، فمنحه اياهما الحبر الاعظم البابا لاون الثالث عشر في ٢٣ حزيران من السنة نفسها ، وارسلهما اليه الموفد مع كاهنين هما الياس الزغبي وجبرائيل مبارك في اواخر الشهر المذكور ، وواصل هو سفره الى باريس للاهتمام ببعض شؤون الطائفة .

ومن مساعي البطريرك الحاج ذات العلاقة برومية، تجديد مدرسة الموارنة فيها. ولما عقد مجمع البطاركة الشرقيين في هذه المدينة تحت رئاسة البابا لاون الثالث عشر، لم يتمكن البطريرك من حضوره بسبب تقدمه في السن، لانه كان في نحو الثامنة والسبعين، ولكنه رفع عريضة الى قداسته اعرب فيها عن استعداده للعمل بمقتضى ما يقرره آباء المجمع، فبعث اليه الحبر الاعظم بكتاب شكر، وانعم عليه بوسام القبر المقدس من الرتبة الاولى. وكانت وفاته ليلة عيد الميلاد من سنة ١٨٩٨ ودفن في بكركي.

الانتداب الفرنسي وقيام الجمهورية

الياس الحويك

وخلفه على الاثر البطريرك الياس الحويك في ٦ ك٢ من سنة ١٨٩٩ ونال درع الرئاسة وبراءة التثبيت عن يد موفده الخوري بولس بصبوص (مطران صيدا وصور بعدئذ)، فتقلد الدرع في حفلة حافلة في الديمان، يوم عيد الصليب الواقع في ١٤ آب من سنة ١٨٩٩.

وقد سافر البطريرك الحويك الى أوربة مرات، وزار الاعتاب الباباوية تكراراً، وكانت سفرته الاولى في ايار سنة ١٩٠٥، وهناك حضر حفلات التتويج للبابا بيوس العاشر (١٩٠٣ – ١٩١٤)، وحظي مرتين بمقابلته، وسافر للمرة الثانية في سنة ١٩١٩، وقابل البابا بندكتوس الخامس عشر (١٩١٤ – ١٩٢٢)، وعاد ظافراً منه بمنح سنية.

ولما عقدت معاهدات لاتران في شباط من سنة ١٩٢٩، بادر الى تقديم التهانيء للحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر (١٩٢٢ – ١٩٣٩)، وفي نيسان من السنة نفسها ارسل وفداً مارونياً الى رومية مؤلفاً من المطارنة يوحنا الحاج ويوسف الخازن والياس شديد، فرفعوا باسمه التهانيء للبابا بيوبيله الذهبي الكهنوتي الذي احتفل به في تلك الاثناء.

وفي ايام هذا البطريرك وقعت الحرب العالمية الاولى، وحاول جمال باشا

اعتقاله ، ولكن تدخل القاصد الرسولي جيانيني ولجوء البابا في هذا الشأن الى امبراطور النمسة ، حالا دون ذلك .

وتوفي البطريرك الحويك يوم عيد الميلاد من سنة ١٩٣١ ، قرير العين بما تمّ في ايامه من زوال الحكم العثماني واستعادة لبنان اراضيه المغتصبة ، بمساعدة الدولة المنتدبة ، وقيام الجمهورية التي ادت الى ظفرنا باستقلالنا التام الناجز . وقد دُفن في بكركي ، ثم نقل رفاته الى دير عبرين ، ووضع في قبر خاص من تصميم نسيبه الفنان المشهور المرحوم يوسف الحويك .

انطون عريضة

انتخب في ٧ كانون الثاني من سنة ١٩٣٢ ، ونال من لدن البابا بيوس الحادي عشر (١٩٢٢ - ١٩٣٩) براءة التثبيت ودرع الرئاسة على يد موفده المنسنيور نعمة الله عواد ، احد موظفي المكتبة الفاتيكانية ، صباح ١٩ اذار من سنة ١٩٣٣ ، ووصل الموفد الى بيروت في ٨ نيسان التالي ، فاستقبله بعض الاساقفة وجمهور من اعيان الطائفة حسب التقاليد الموروثة ، واحتفل بقراءة البراءة وبالتوشح بالدرع في بكركي صباح الاحد ٣٠ من الشهر المذكور ، بحضر جماهير غفيرة غصت بها اروقة الصرح البطريركي .

وسافر البطريرك عريضة الى رومية لاظهار تعلقه وطائفته بالكرسي الروماني ، وحظي يوم الاربعاء ٥ ايار من سنة ١٩٣٧ بمقابلة صاحب القداسة البابا بيوس الحادي عشر في مصيفه بكاستل غاندولفو ، وصادف لدى قداسته عطفاً ابوياً واهتماماً شديداً بلبنان واللبنانيين ، وفي ختام المقابلة عانق الحبر الاعظم البطريرك مباركاً لبنان واهله وابناء الشرق اجمع .

وبعد ذلك دخلت الحاشية البطريركية فتبركت بلثم يدي نائب المسيح ، وتزودت منه النصائح الابوية معربة له عن تعلقها وخير تمنياتها . وفي مساء السبت ٨ ايار دعي البطريرك الى التكلم من راديو الفاتيكان ، فاذاع منه كلمة طيبة شكر فيها ما صادفه لدى الحبر الاعظم من حسن الحفاوة والعطف .

وفي السنة ال ١٩٥٠ ، وجه البطريرك عريضة الى رومية وفداً يمثله والطائفة في حفلات السنة المقدسة ، واعلان انتقال السيدة العذراء بالنفس والجسد الى السماء عقيدة ايمانية . وقد تألف الوفد من اصحاب السيادة المطارنة انطون عبد رئيس اساقفة طرابلس ، وفرنسيس ايوب رئيس اساقفة قبرس ، واغناطيوس زياده مطران ابرشية حلب وعضو اللجنة الرسولية (ورئيس اساقفة بيروت بعد ذلك) ، يرافقهم قدس الاباتي موسى عازار الرئيس العام على الرهبانية اللبنانية ، وبعض الآباء ، فقابل هذا الوفد قداسة البابا بيوس الثاني عشر ولقي لديه كل ترحاب وحفاوة ، وقد سأل قداسته عن السيد البطريرك وصحته ، واعرب عن محبته له وللطائفة والشعب اللبناني .

اللجنة الرسولية

وفي يوم الاحد الواقع في ١٣ حزيران من سنة ١٩٤٨ ، زار السفير البابوي المنسنيور مارينا صرح بكركي ، واعطى غبطة البطريرك رقيماً بابوياً يعيّن فيه الى جانب غبطته لجنة رسولية ، تعاونه في شيخوخته على القيام بمهمته الصعبة في الحقلين الروحي والزمني ، مؤلفة من اصحاب السيادة المطارنة : بولس المعوشي اسقف صور رئيساً ، وعبدالله الخوري اسقف عرقة شرفاً ، وبطرس ذيب اسقف القاهرة عضوين . وقد فوّض الى هذه اللجنة تمثيل قداسته لدى البطريرك الى امدٍ متروك تحديده الى وقت آخر . وقدمت تلك الرسالة بفذلكة تدلّ بوضوح وجلاء ، على الاهتمام والغيرة المفعمتين حباً اللتين احاط بهما الاحبار الرومانيون والكرسي الرسولي الطائفة المارونية . كما انها ضُمّنت براهين عديدة على تعلّق هذه الطائفة بنائب المسيح وطاعتها السريعة لاوامره ، مع ادلة كثيرة على انها ورعاتها الغيارى هم الابناء المحبون جداً للكنيسة الرومانية .

وبعد ان تليت هذه الرسالة علناً في قاعة بكركي وخضع الجميع لنصوصها المعربة عن محبة الاب الاقدس ، طيّر سيادة المطران بولس المعوشي رئيس اللجنة الى قداسة الحبر الاعظم البرقية التالي نصها :

« اساقفة الطائفة المارونية المجتمعون في بكركي الكرسي البطريركي ،

تلقوا بعرفان الجميل والخضوع البنويين التدابير التي اتخذتها قداستكم في رقيبها الرسولي المؤرخ في ٢٨ ايار وهم يلتمسون معونة قداستكم العطوفة والدائمة وبركتكم الرسولية ».

وبعد ظهر السبت خامس شباط من سنة ١٩٤٩، توفي المطران عبدالله الخوري احد اعضاء اللجنة، فعينت رومية بدلاً منه صاحب السيادة المطران اغناطيوس زيادة رئيس اساقفة ابرشية بيروت حالياً.

وفي حزيران من سنة ١٩٥١ احتفلت رومية بتطويب رجل الله البابا بيوس العاشر، واقامت لهذه المناسبة حفلات شائقة، رأى غبطة البطريرك ان تمثل الطائفة فيها، فوجه اليها وفداً مارونياً قوامه المثلث الرحمات سيادة المطران اغناطيوس مبارك رئيس اساقفة بيروت، والمحامي الكنسي الخوري منصور عواد، فقابلا قداسته وطلبا منه الاهتمام بدعوى عبيد الله الثلاثة: شربل والحرديني ورفقا، فوعدهما خيراً، وحملهما الى البطريرك والطائفة وجميع اللبنانيين بركته الرسولية.

وتوفي البطريرك انطون عريضة ظهيرة ١٩ ايار من سنة ١٩٥٥ تاركاً وصية يصرّح فيها بايمانه بالله وبالكنيسة الرومانية المقدسة، وبخضوعه التام لرئيسها الاعلى، موصياً ابناء طائفته بان يحافظوا على العقيدة الكاثوليكية وعلى تعلقهم بالكرسي الرسولي.

صاحب الغبطة بولس بطرس المعوشي البطريرك الحالي

ولا يقل صاحب الغبطة البطريرك الحالي مار بولس بطرس المعوشي عن اسلافه الاعاظم تعلقاً بالكرسي الرسولي، وحباً واحتراماً للبابا.

ولد في جزين في غرة نيسان سنة ١٨٩٤، وبعد دراسته الابتدائية في دير القمر والحكمة، شعر بالدعوة الى الحياة الفضلى، فارتدى الثوب الاكليريكي وارسل الى ام المدائن لتحصيل علومه الكهنوتية العالية، وقد تشرب مع هذه العلوم روح المحبة للبابا والإعظام لقدر الفاتيكان.

وفي ٧ كانون الثاني من سنة ١٩١٧ رُقي في رومية الى درجة الكهنوت المقدسة وعاد الى لبنان .

وفي ١٩١٩ عيّن امين سرّ للطيب الاثر المطران شكرالله الخوري رئيس اساقفة صور ، ورافقه في رحلته الى الولايات المتحدة الاميركية والمكسيك ، لزيارة من فيها من مغتربي الطائفة ، وتفقد احوالهم ، بعد استئذان رومية بهذه الرحلة .

سيامته مطراناً :

وعاد المطران شكرالله الى لبنان وبقي الخوري بولس في الولايات المتحدة خادماً روحياً للجالية المارونية ، في مشيغن سيتي ونيوبدفرد ولوس انجلوس كاليفورنيا ، وهناك كثرت اتصالاته برومية التي قدرت له خدماته الطيبة لابناء رعيته ، اذ شيّد لهم في هذه المدينة الاخيرة كنيسة فخمة ، وبيتاً للكاهن ، وقاعة اجتماع رحبة ، حتى اذا توفي المطران شكرالله ، اشارت بأن يرقى الخوري بولس المعوشي الى درجة المطرانية السامية خلفاً له على ابرشيته المترملة .

وما هو ان أبلغ الخبر حتى عاد الى لبنان ، واحتفل في بكركي بتسقيفه في ١٨ كانون الاول من سنة ١٩٣١ ، وبعد تقبله التهانيء ، رفع الى رومية رسائل يعرب فيها عن طاعته البنوية وبالغ امتنانه ، ويطلب ان تمده دائماً بالتفاتها ورعايتها .

ثم اتجه الى ابرشيته الوادعة ، واذا هي حقل فسيح للعمل الجدي البناء ، لسد حاجاتها الكثيرة ، فشمّر عن ساعد الاهتمام بها بما عرف به من صبر ، وعلو همة ، وصدق عزيمة ، آخذاً في تحسين حالها ، وانماء محاصيلها ، وبناء دار تليق بسكنى مطرانها ، نافخاً في جسمها الذي كاد يكون مشلولاً روحاً جديدة من الحيوية ، متغلباً على ما كان يعترضه من صعاب ، مستعيناً في جميع اعماله بآراء المجمع المقدس ، معرباً نحو رومية في مختلف المناسبات عن اخلص عواطف المحبة والاجلال .

رئيس اللجنة الرسولية :

ولم يكن ليغيب عن رومية ما يتحلى به المطران المعوشي من مناقب ومزايا ، وما قام به في ابرشيته على قصر عهده فيها من اعمال مجيدة ، فانتدبته في ٢٨ ايار من سنة ١٩٤٨ لترؤس اللجنة الرسولية التي سبق لنا القول انها انشأتها الى جانب المثلث الرحمات البطريرك عريضة ، لتعاونه في شيخوخته ، فكان عند حسن ظنها ، وقام بمهمته الصعبة قياماً مشكوراً ، اكسبه احترام الناس ، وثقة الكرسي الرسولي .

بطريركيته :

ولم يلبث البطريرك عريضة ان توفي ، وبينما كان اساقفة الطائفة لا يزالون مجتمعين في بكركي يتقبلون التعازي ، واذا بهم يتلقون بروتوكولاً بابوياً يأمر بابقاء السلطة البطريركية بيد اللجنة الرسولية .

وبعد ظهر السبت ٢٨ ايار من سنة ١٩٥٥ ، وصل الى بكركي موفد بابوي خاص ، هو السيد سلفيو اودّي القاصد الرسولي في القدس ، ومعه براءة حبرية ممهورة بخاتم الصياد ، يأمر فيها الحبر الاعظم على وجه استثنائي، بحل اللجنة الرسولية ، وترقية رئيسها المطران بولس المعوشي الى السدة البطريركية ، معلناً انه اتخذ هذا التدبير بعد ان استند فيه الى مقتضيات الشرائع الكنسية والعرف العام ، والى سابقه البابا بندكتوس الرابع عشر، الذي كان قد عيّن فيها سنة ١٧٤٢ المطران سمعان عواد بطريركاً ، مؤكداً ان عمله ذاك ما كان ليحول ابداً دون سلامة المجمع اللبناني ، وبقاء نصوصه نافذة بكل ما فيها من مفعول .

رحلة البطريرك الى رومية :

وقد قبل الموارنة اكليروساً وشعباً الاوامر البابوية بالخضوع التام والفرح الشامل ، جرياً على تقاليدهم الموروثة ، ورفعوا الى البابا عدة برقيات أعربوا فيها عن ارتياحهم وشكرهم وطاعتهم البنوية ، مما افعم قلب قداسته اغتباطاً .

ويوم الاحد ٥ حزيران احتفل بتتويج غبطته في معبد بكركي ، بحضرة رجالات الدولة ، ورؤساء الدين ، واعيان البلاد ، وبابهة مقطوعة النظير .

وفي آخر الحفلة لفظ البطريرك رسالة عامة وجهها الى اللبنانيين ، اعرب فيها عن استعداده لخدمتهم من مختلف المذاهب والاحزاب .

وبعد حوادث ١٩٥٨ المؤسفة التي وقف فيها صاحب الغبطة موقفه النبيل المعروف ، سافر في ١٢ ايار من سنة ١٩٥٩ الى رومية لاداء فريضة الزيارة للاعتاب الرسولية ، فشيع عند سفره من لبنان ، كما استقبل عند وصوله الى رومية ، بمظاهر الحفاوة والاجلال .

مقابلته الاولى للبابا :

وفي ١٤ ايار من السنة نفسها ، استقبله صاحب القداسة ومن معه من حاشية استقبالاً ابوياً . ويروى ان وقت المقابلة كان محدداً في البروتوكول بعشرين دقيقة ، فأطاله الحبر الاعظم الى اكثر من اربعين وهو يقول : « ان العشرين دقيقة لا تكفي للحفاوة بالبطريرك الماروني القادم الينا من بعيد » .

وبعد ان اختلى البابا والبطريرك ردحاً من الحين في احدى الرده ، خرجا معاً ودلائل البشر تطفح على وجهيهما ، وتقدم صاحب القداسة من افراد الحاشية يتحدث اليهم ويؤانسهم ، ويعرب لهم عن حبه الابوي للموارنة وللبنانيين جميعاً .

المقابلة الثانية :

وبقي صاحب الغبطة اياماً في رومية موضوعاً للتكريم عند الكرادلة وسفراء الدول ، ولا سيما السفيرين اللبناني والفرنسي .

ومن ثم قام برحلة في بلدان اوربة وقف فيها في فرنسة واسبانية وقابل ديغول وفرنكو ، وزار عدة مدن فيها محفوفاً حيثما حل بالحفاوة والتبجيل .

وعاد ثانية الى رومية فاستقبله صاحب القداسة في الفاتيكان للمرة الثانية ، وفي هذا الاستقبال قلده درع التثبيت من يده الكريمة في خلال قداس احتفل به في معبده الخاص المجاور لغرفة نومه ، ثم بعد ان اختلى به حيناً خرج يبارك افراد الحاشية ، وامر بان تؤخذ له معهم عدة رسوم تذكاراً لهذه المقابلة .

البطريرك في المجمع المسكوني :

وفي صيف ١٩٦٢ سافر صاحب الغبطة الى الولايات المتحدة الاميركية اجابة لدعوة رسمية تلقاها من حكومتها ، وقد قوبل هناك بحفاوة بالغة ، ودعي الى مأدبة تكريم في البيت الابيض اقامها له الرئيس كندي . وبهذه المناسبة زار الجالية اللبنانية ولقي لديها حفاوات تفوق حد الوصف .

ومن هناك جاء الى رومية لحضور المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، الذي بدأ اعماله في ١١ تشرين الاول ١٩٦٢ ، فتلطف صاحب القداسة بعد ان احتفى بقدمه وعينه عضواً في لجنة الكنائس الشرقية التابعة للمجمع . وفي ١٦ كانون الاول من السنة نفسها عاد الى لبنان .

وفيما كان هناك وجّه الى ابنائه الموارنة المنتشرين في جميع اصقاع العالم رسالة بطريركية ، اذاعها له راديو الفاتيكان بمختلف اللغات مسجلة بصوته ، ونقلتها محطة الاذاعة اللبنانية في بيروت ، واذاعتها باللغة العربية .

وها نحن ننشر نص هذه الرسالة لما فيها من تعليمات مفيدة عن المجمع واخباره واهدافه ، يحفزنا بصورة خاصة على ذلك تلك المناسبة السعيدة التي وافقت بين نشر هذا البحث على مطابع الرسالة المخلصية المحترمة ، وانعقاد المجمع . قال صاحب الغبطة :

« حديث الناس في هذه الايام ، هو انعقاد المجمع المسكوني في عاصمة الكثلكة ، وقد بلغتكم ، ولا شك ، الاخبار عما رافق افتتاحه من احتفالات رائعة ، ومشاهد جميلة ، وحفلات وتعليقات شيقة ، وتجاوبت عندكم ايضاً اصوات السرور والامل المتصاعدة من صدور الالوف من المؤمنين المنتشرين في العالم .

عظمة المجمع

بكلمة واحدة صدرت من لم قداسة الحبر الاعظم ، بادر حوالي ثلاثة آلاف من الكرادلة والبطاركة والمطارنة ورؤساء الرهبانيات لحضور هذا المجمع ، وقد انضم اليهم عدد وفير من الخبراء والمراقبين ، فضلاً عن آلاف من الصحفيين والزائرين الآتين من اربعة اقطار العالم ، ومن مختلف الاديان والمذاهب والالوان ، ليمتعوا النظارهم بهذا المشهد التاريخي النادر ، ويزودوا بلادهم بصوره واخباره . وكل الدلائل تشير الى انه منذ فجر النصرانية الى الآن لم ير العالم ما يضاهي هذا المجمع المسكوني عدداً واتساعاً وعظمة ورونقاً .

والناس اليوم في حاجة اليه اكثر من اي عصر مضى ، وبالرغم من الاكتشافات الحديثة المدهشة التي حققوها في شتى الحقول ، فانهم يشعرون انه لا بد لهم من الاستعانة بالكنيسة المقدسة يقتبسون منها انوار الانجيل ويستقون من معينها الصافي التعاليم السامية والمبادىء السليمة ، فالكنيسة كانت وستبقى للبشرية بمثابة المعلم والمرشد ، والطبيب الشافي ، والضمير الموجه ، والدليل الهادي الى مواطن الحق والخلاص .

اهدافه

ان هدف المجمع هو المناداة بالحقائق الخالدة ، وتجديد الحياة المسيحية ، ونشر المثل الاعلى بايقاظ الايمان في القلوب ، ودرس المشاكل التي تجابه الناس في هذه الحقبة العصية التي يجتازونها ، والسعي الى ايجاد حلول تلائم حاجاتهم وتشفي او تلطف اسقامهم .

فعليكم ايها الابناء الاعزاء ان تسعوا الى ادراك هذه الامنية الغالية بكل ما لديكم من الوسائل ، وارفعوا الصلوات الى الله تعالى ليزيل العقبات التي تحول دون ذلك ، وان يلهم آباء المجمع اتخاذ التدابير التي تؤدي الى هذا الهدف ، فيتلاقى المسيحيون كافة والعالم اجمع على صعيد الاخوة والمحبة والسلام . »

من حديث البطريرك

وقد افضى صاحب الغبطة البطريرك بولس المعوشي بعد عودة الى لبنان الى الصحفي الاديب الاستاذ جورج عارج سعاده ، بحديث يلقي نوراً على بعض احداث رحلته ، وهذا بعضه : ان صاحب القداسة الحبر الاعظم يعطف كثيراً على بلادنا . وقد حدثني مطولاً عن لبنان وابناء لبنان ، فقال :

انه يكنّ لهذا البلد كل عطف ورعاية ويحفظ اجمل الذكريات عنه من يوم زاره في احتفالات المؤتمر المريمي عام ١٩٥٤ ، حيث انتدبه سلفه الطيب الذكر بيوس الثاني عشر ليمثله في هذا المؤتمر . وقال غبطة البطريرك

ان قداسته نظراً لما يكنه لوطن الارز من محبة ، منح بركته الرسولية لجميع اللبنانيين ، مباركاً وحدتهم ، داعياً الى التعايش السلمي بعضهم مع بعض .

ثم قال غبطته عن توحيد الكنيستين الكاثوليكية والارثوذكسية :

ان قداسته يسعى لهذا التقارب ، وخاصة بعد ان لمس حسن النية المتوفرة ، بدليل ان رجال الدين في اميركا بدأوا بالفعل يعملون لهذا التقارب واعادة وحدة الكنيسة .

ووصف غبطته قداسة البابا بانه ديمقراطي ويقوم بزيارات مفاجئة للسجون ومآوي العجزة ، بغية تقوية روح الايمان بالنفوس ، وللتدليل على ديمقراطية قداسته ، قال ان المطران بطرس صفير الماروني يقيم في الفاتيكان ، وقد طلب من قداسته حضور المناولة الاولى لفريق من الاطفال الذين يحتفلون باول قربانة ، فلم يتردد قداسته وحضر بالفعل هذه الحفلة .

ويروي غبطته قصة تقليده درع التثبيت - وهو تقليد يمنح لجميع البطاركة - بقوله انه من المألوف ان ترسل الدرع المذكورة الى البطاركة ، وانها بالفعل ارسلت اليه وتسلمها في بكركي قبل سفره الاخير ، الا ان قداسته رغبة منه في اظهار عطفه الخاص على غبطته ، اراد ان يقلده اياها شخصياً ، وكانت مفاجأة في اروقة الفاتيكان وعند الذين قالوا لقداسته ان الدرع ارسلت لبكركي ، فوافقهم قائلاً : ولكن سأقلده بنفسي الدرع ثانية ، وهكذا صار ، وبقي مع غبطته مدة طويلة ، وهي التفاتة كريمة قلما خص بها قداسته كبار زواره ، وتعتبر هذه اللفتة الاولى من نوعها في تاريخ تقليد التثبيت من يد قداسة البابا لغبطة البطريرك الماروني .

٨
بطريركية الروم الكاثوليك

من هم الروم الكاثوليك

هم مسيحيو بطريركيات الاسكندرية وانطاكية واورشليم، الذين قبلوا تحديدات مجمع خلقيدونية الملتئم سنة ٤٥١، فكانوا بذلك من اتباع الكنيسة الارثوذكسية الكاثوليكية، وبالتالي من اتباع ملوك القسطنطينية الروم. ولذلك سُمّوا ملكيين. وبقي لهم هذا الاسم في حكم كل الدول الاسلامية من القرن السابع الى اليوم؛ وقال المؤرخون والكتّاب المسلمون ان كبير الملكيين هو بابا رومية. اما من جهة العنصر الذي هم منه، فبينما يقول البعض انهم اراميون، يقول البعض الآخر انهم يونان. والحقيقة هي انهم من كلا العنصرين: فالاراميون هم اصل الاهالي والاكثر عدداً في بطريركيتي انطاكية واورشليم، كما ان الاقباط هم اصل الاهالي في بطريركية الاسكندرية؛ ولكن اليونانيين الذين حكموا الشرق الادنى منذ فتح الاسكندر المقدوني في القرن الرابع قبل المسيح، واثّروا في حضارة الروم (او الرومانيين) الفاتحين بعدهم، ثم عادوا فاستأثروا بالحكم على عهد المملكة الشرقية (البيزنطية او اليونانية)، قد خلّفوا في اثناء عشرة قرون في دائرة هذه البطريركيات الثلاث، مئات الالوف من جنودهم وموظفيهم وتجارهم وصنّاعهم ومزارعيهم الخ ... فالملكيون في سوريا ولبنان متحدرون اذن من الاراميين الذين تيونوا اي اخذوا ثقافة اليونان وعُرفوا بها، ومن اليونانيين الذين استوطنوا تلك البلاد وصاروا من اهلها.

اما طقوسهم فكانت في الاصل الطقوس التي وضعتها كلٌ من البطريركيات المذكورة للمؤمنين التابعين لها. وكانوا يقيمونها اما باليونانية واما بالسريانية

(وفي مصر بالقبطية) ، على حسب الاحوال الاجتماعية والاحتياجات المكانية . وبعد فتح الشام في القرن العاشر على يد ملكي القسطنطينية نيقيفورس الثاني فوكاس ويوحنا زيميسيس ، بدأ الملكيون يستعملون طقوس القسطنطينية ، اما باللغة اليونانية عادةً في المدن ، واما باللغة السريانية لاسيما في القلمون . ثم نسوا السريانية تدريجياً واستبدلوا بها اللغة العربية .

موقفهم التاريخي من البابوات

لا ريب في ان ملة الروم كانت قديماً في عهد قياصرة بيزنطية المسيحيين ، متحدة بالكنيسة الجامعة الكاثوليكية ، ولم تكن تختلف عنها الا في بعض اشياء عارضة لا يعتدّ بها ، ولكن بعد ان وقع الخلاف في عهد فوتيوس وكيرولاوس واحتلّ الصليبيون القسطنطينية ، اتسعت شقة التباعد بين الفريقين ، واخذ الروم في هذه البلاد يوثقون عرى اتحادهم بكنيسة القسطنطينية .

الا ان ذلك الانفصال استمر كثيرون من الروم لا يقرونه ، ايثاراً للوحدة المسيحية بين الشرق والغرب ، وقد قام من الجانبين مراراً من دعا الى الوئام والتفاهم ، فعقدت عدة مجامع لهذا الغرض أقرت العود الى بهاء الاتحاد ، ولكن قراراتها ظلت تُمنى بالفشل ، الى اوائل القرن الثامن عشر ، حيث قدّر الله لبعض الرؤساء الغيارى من طائفة الروم ، ان يجزموا امرهم ويجزموا في قضية الرجوع الى الاتصال بالبابا . وقد سهل الله سبلهم ومكّنهم من ان يجمعوا حولهم عدداً من ابناء رعاياهم ، ويكوّنوا منهم رويداً رويداً طائفة جديدة موحدة الصفوف ، مستقلة بقوانين وفرائض تتفق مع روح الكنيسة الرومانية ، وخاضعة لبطريرك واساقفة يرجعون في امورها المهمة الى البابا . وهذه الطائفة هي المقصودة في بحثنا هذا ، والتي ندعوها « طائفة الروم الكاثوليك الملكية » .

اتصالهم بالبابا قبل القرن الثامن عشر

وبين الروم الكاثوليك من يؤكد ان طائفتهم كانت تتصل بالبابا قبل

القرن الثامن عشر ، لأن الانفصال بين رومية والقسطنطينية كان غير صريح في اطواره الاولى ، ولم يبتّ فيه قطعاً ، وعلى ذلك ظلّ عدة بطاركة من الروم متحدين مع رومية ، ويواصلون الاتصال بها ، بما يمكّن من اعتبارهم نواة لتلك الطائفة ، وان تكن هذه النواة غير متصلة الحلقات .

اما الرعايا الذين كانوا يتابعون اولئك البطاركة في سياق الايام ، فقد ألمع اليهم الاب قسطنطين الباشا في كتابه : « تاريخ طائفة الروم الملكية المنشور بالطبع في مطبعة دير المخلص سنة ١٩٣٨ ، صفحة ٢٤ وما بعدها » فقال ما ملخّصه :

« ان طائفة الروم الملكيين الذين في البطريركية الانطاكية ، لم تكن تجاهر صريحاً منذ القدم باتباعها الشقاق ، ولم يكتب احد من اكليروسها شيئاً ضد تعليم الكنيسة الرومانية فيما يخص قضايا الخلاف المعروفة وهي خمس ، لكنها لم تكن تتحرّم الاشتراك بالقدسيّات مع من تشترك معهم في الاصل والجنس واللغة والطقس اليوناني ، فضلاً عن أن الاحبار الاعظمين لم يمنعوا الكاثوليك عن الاشتراك بالقدسيّات مع الروم بحتمٍ صريح ، الا في العقد الرابع من القرن الثامن عشر .

« ثم انه لم يكن سبيل للروم الكاثوليك ان يجاهروا في تركية باتباع الايمان الكاثوليكي ، دون ان يتعرضوا لعداوة بطاركة الروم الذين كانوا اصحاب نفوذ عظيم لدى السلاطين ، ودون ان يجروا عليهم سخط الاكثرية ، التي كانت تعتبر كل من يتبع البابا كبير ملوك الافرنج عدواً للبلاد والدولة مارقاً من الوطنية ، يستحق افدح العقوبات وشر الميتات .

« على ان الاحبار الاعظمين كانوا يعدون كل الروم في بلاد الشرق خارجين عن طاعتهم ، لانهم كانوا جميعاً يؤلفون كنيسة واحدة ، وطائفة واحدة ، وان كان افراد كثيرون منهم تابعين بكل بساطة الروح ايمان الكنيسة الكاثوليكية . وبهذا الاعتبار كان الاحبار الرومانيون يشترطون على من يريد ان يكون معتبراً رسمياً كاثوليكياً ان يمضي امام شهود ثقات صورة مطبوعة ، يعترف فيها بايمانه الكاثوليكي . وعلى ذلك كان منهم

كثيرون كاثوليكيين حقاً عند الله والناس ، ولو لم يتيسر لهم توقيع صورة الاعتراف بالايمان الكاثوليكي » .

من مراحل اتصالهم بالبابا

ومهما يكن من امر ، فالثابت المؤكد عند ايمة المؤرخين ، ان الروم الكاثوليك كانوا يتصلون بالبابا على مراحل ، اقدمها في القرن الحادي عشر على عهد البابا لاون التاسع (١٠٤٩ – ١٠٥٤) اذ أعلن البطريرك بطرس الثالث (١٠٥٢ – ١٠٥٧) اعتصامه بالعقيدة الكاثوليكية .

وكانت المرحلة الثانية الاتصال برومية في القرن الخامس عشر ، اذ وافق البطريرك دوروثاوس الاول (١٤٣٤ – ١٤٥١) على الاتحاد مع الكرسي الروماني المقدس ، وذلك على اثر المجمع الفلورنتيني المشهور الذي عقد سنة ١٤٣٩ ، وقد تمت فيه المصالحة بين الشرق والغرب ، ولكن تلك المصالحة لم تدم طويلاً لسوء الحظ ، وقد قدمنا ان مرقس الافسسي كان من الد الخصوم الذين هبوا لمعارضتها وضياع الاتعاب والنفقات الكبيرة التي كانت قد بذلت في سبيلها .

ومن المؤرخين من يؤكد ان المصالحة بين الشرق والغرب كانت ، من عهد فوتيوس حتى انعقاد المجمع الفلورنتيني ، قد حصلت نحواً من اربع عشرة مرة ، ولكنها كانت دائماً تبوء بالفشل ، ويعود الخلاف الى مثل ما كان عليه في ماضيات الايام بل الى ما هو اشدّ وادهى .

في عهد البطريرك كيرلس الخامس

وظلت الامور تجري على هذه الوتيرة ، الى ان قام على البطريركية الانطاكية كيرلس الخامس الحلبي الزعيم (١٦٧٢ – ١٦٨٢) مرة اولى ، و (١٦٨٢ – ١٦٨٥) مرة ثانية و (١٦٩٤ – ١٧٢٠) مرة ثالثة ، فاتصل هذا البطريرك واربعة من اساقفته ، بالبطريرك اسطفانوس الدويهي الماروني ، وأجرى معه جدالاً في امور الدين ، عاد بعده واياهم الى المذهب الكاثوليكي ،

وكوّنوا طائفة قائمة بذاتها ، واقاموا عليهم بطريركاً جديداً هو اثناسيوس الثالث الدباس ، ولكن هذا البطريرك عاد فتنازل عن منصبه للبطريرك كيرلس لقاء شروط . وفي تاريخ الاب الباشا صفحة ٣٠٩ ، صورة رسالة وجهها البطريرك كيرلس هذا الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر ، وقد صدرها بهذه العبارات الدالة على ما كان للبابوات لدى الشرقيين من عظيم الاحترام والاجلال ، قال :

« كيرلس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق .

« الى جناب حضرة الاخ الاقدس كير اكليمنضوس الحادي عشر ، مشرف كنيسة رومية القديمة العظمى . حرسه الله لنا زماناً طويلاً ،

« الى قداسة اب « ابي » الآباء وسيد السادات قابل النعمة ومعطي البركة ، رأس رؤساء الكهنة الابرار ، خليفة بطرس الرسول والاناء المختار ، فريد عصره ، الذائع ذكره في الاقطار ، قدوة النساك الاطهار ، وكنز التعليم ، وقطب الاربعة الاقاليم ، ابرهيم في سماحته ، واسحق في وداعته ، ويعقوب في طاعته ، ويوسف في عفته ، والياس النبي في غيرته ، واشعيا في فصاحته ، ودانيال في طهارته ، وسليمان في حكمته ، وزخريا في كهنوته ، ويوحنا الثاولوغوس في اقواله ، ويوحنا المعمدان في كرازته ، وفم الذهب في تفسيره وانذاره » .

وبعد ان يذكر البطريرك كيرلس الغرض من رسالته ، يوقعها كما يلي :
« من اخيكم بالمسيح - كيرلس - البطريرك الانطاكي وسائر المشرق » .

وينشر الكتاب نفسه في الصفحة ٣٢٩ منه ، جواب البابا على هذه الرسالة مؤرخاً في ٩ ك٢ ١٧١٧ ، ومعرّباً بقلم القس يوحنا العجيمي ، وفيه يعلن الحبر الاعظم قبول هذا البطريرك في حضن الكنيسة الكاثوليكية ، ويطلب منه الثبات على اتحاده بها بقلب صادق دون مراياة . وقد ارسله اليه برفقة بعض هدايا مقدسة عربون عطفه وحبه ، ولكنه لم يثبته ولم

يرسل اليه درعاً (*) . ويعقب الاب الباشا هذا الجواب بكلمة ثناء على البابا اكليمنضوس ، منوهاً بما امتاز به من اهتمام بالشرق والشرقيين ومن عناية بنمو وانتشار الايمان الكاثوليكي بين جميع الطوائف الشرقية ، قائلاً : ان كثيرين من بطاركة الشرق ومطارنته تمّ اتحادهم برومية في عهده ، مع ما نالهم في سبيل ذلك من البلاء والمظالم من بني جنسهم المخالفين لهم ومن رجال الحكومة الاتراك .

وعاد البطريرك كيرلس بعد ان بلغه جواب البابا فكتب دستور ايمانه وارسله الى الحبر الروماني مع عصاه الحبرية ، مبيناً له انه يجب تسلم هذه العصا من قداسته ، لانه راعي الرعاة وخليفة القديس بطرس رئيس الكنيسة كلها ؛ فسرّ الحبر الروماني بجوابه ، وطابت نفسه به ، وبعث اليه برسالة اخرى مؤرخة في ٣٠ ايار سنة ١٧١٨ ، يشكره فيها ويبين له مسرته من حسن تصرفه ، ولكنه لم يثبته ولم يوجه اليه درع الرئاسة المعتادة . وتوفي هذا البطريرك الى رحمة الله في ٥ ك ٢ سنة ١٧٢٠ (تاريخ سورية للدبس جزء ٨ صفحة ١٧٠) .

(*) ورد في هذه المقالة عدة مرات ذكر « الدرع » او « درع الرئاسة » . وقد ذكرنا في غير مكان من هذا الكتاب ما المقصود من هذه الدرع التي يقال لها باللغة اللاتينية « باليوم » Pallium ، وهي قطعة قماش رفيعة من صوف ابيض مطرز عليها صلبان باللون الاسود ، تلبس حول الرقبة على الكتفين مثل بطرشيل صغير . فالبابوات يلبسون الصوف الابيض المنسوج من شعر الحملان رمزاً الى الراعي الصالح الذي يحمل خراف الرعية على منكبيه . اما في الطقس البيزنطي فقطعة اللباس الكهنوتي التي ترمز الى الراعي الصالح هي الاوموفوريون ، الذي يضعه البطريرك وكل الاساقفة على اكتافهم في كل الحفلات الكنسية . وقد جرت العادة عند الغربيين على ان يرسل البابا هذا الباليوم الى البعض من كبار المطارنة ورؤساء الكنائس رمزاً الى مشاركتهم له في حمل مسؤولية الرعاية لقطيع المسيح . هذا هو اصل الباليوم . ثم صارت الدوائر الرومانية ومعلمو الحق القانوني وواضعو التشريع الوضعي يحملون هذا الرمز من المعاني ما يدل على ان استعمال بعض الحقوق منوط بالحصول اولاً على هذا الباليوم . وقد دخلت هذه العادة عند الشرقيين الكاثوليك في القرون الاخيرة ، بعد ان بدأ بطاركتهم يقبلون الباليوم من البابوات .

اثناسيوس الثالث الدباس

وحذا البطريرك اثناسيوس حذو زميله البطريرك كيرلس في الاتصال برومية ، موفراً بعمله مقدمات الاتحاد ، ولكن البطريركين كليهما اظهرا في تصرفاتهما كثيراً من التقلب في المسلك ، وقلة الاخلاص في الكلام ، وعدم الثبات في الايمان ، مما حدا برومية على التلكؤ عن تثبيتهما . ولا نرى بداً من ان نورد هنا مقطعاً من رسالة كتبها هذا البطريرك الدباس الى البابا اقليموس او اكليمنضوس الحادي عشر ، ووجهها صحبة الاب جبرائيل حوا الراهب الماروني ، حين سفره الى رومية ، ليكون كلامه فيها بمثابة شاهد على اقراره الصريح فيما يخص رئاسة الحبر الروماني ، على الكنيسة جمعاء ، غير مبالين بانقلابه بعد حين الى ما يخالف ذلك . قال في مستهل رسالته الآنفة الذكر ، نقلاً عن تاريخ المرحوم الاب الباشا صفحة ٢٩٤ :

« الى جناب حضرة اب (ابي) الآباء الكرام وراعي الرعاة العظام ، السيد البابا كيريوس اقليموس الحادي عشر ، الاب الاقدس المطوب بابا رومية العظمى وسائر المسكونة ، شمس الانام وهدى العالم ورئيس الرؤساء المتورعين ، نائب السيد المسيح بتمام سلطانه ، وخليفة القديس بطرس الرسول بكمال درجته ، المعصوم عن كل غلط وطغيان ، بقوة موهبة الرئاسة باتقان ، منبع جميع المراتب الكهنوتية ومصدرها ، ركن الايمان المستقيم والطرائق الحميدة ، صاحب الكرسي الرسولي اسمى الكراسي ومرشدها ، ووالي الكنيسة الرومانية ام البيَع ومهذبتها ، فخرنا وتاج رأسنا ، معلمنا وسيدنا ، دامت لنا ولكافة المسيحيين رئاسته ، واحسن الاله علينا اجمع بانعام التوفيق بصلاح قداسته آمين » .

ومما جاء عن اثناسيوس في تاريخ المرحوم الاب قسطنطين الباشا ، انه ولد كاثوليكياً وتلقى العلوم عند الرهبان الافرنج وحصلت له مساعدات هامة من كبار الكاثوليك في السلطنة العثمانية على الوصول الى كرسي البطريركية . وبعد رسالته الاولى السابقة الذكر الى الحبر الروماني ، وجه اليه رسالة اخرى مرفقة بصورة ايمانه الكاثوليكي . فأجابه البابا على هذه

الرسالة متمنياً له الثبات على عزمه ، ونجاح عمله ، بارجاع رعيته الى حضن الكنيسة الكاثوليكية ؛ وقد كان لتلك الرسالة اثر حسن وعاقبة حيدة للبطريرك المذكور ، اذ ضمنت له مساعدة جميع الكاثوليك في الشرق من الروم وسواهم .

ولم يثبت اثناسيوس الدباس هذا على الاتحاد ، لانه لم يلبث ان اخذ يتراخى في واجباته ، واخيراً قاده الضلال الى مناهضة الكنيسة الكاثوليكية ، بنشره كتاباً ضدها ، اسمه « صخرة الشك » ، طبع على نفقته سنة ١٧٢١ ، وبترجمته كتاب « غبريل الفيلادلفي » المشحون بالمطاعن ضد المعتقد الكاثوليكي ، هذا فضلاً عما قام به من اعمال اخرى تدلّ على تلوّنه في اعتقاده ، وقد استمر على حالته تلك الى ان وافته منيته اثر داء عياء في ٢٤ تموز من سنة ١٧٢٤ .

كيرلس طاناس

وكانت وسائل الاتحاد النهائي لدى الروم قد تكاملت عند وفاة اثناسيوس ، فهبّ الكاثوليك منهم الى انتخاب بطريرك خاص بهم ، هو البطريرك كيرلس طاناس ، والارثوذكس الى انتخاب آخر هو البطريرك سلفستروس القبرسي . وكان سلفستروس هذا عند انتخابه مقيماً في اسطنبول ، فسعى بنيل أمر من الباب العالي بواسطة سفير انكلترة ينفي بموجبه كيرلس . وحال وصوله الى دمشق ، طلب الى واليها ان ينفّذ ذلك الامر ففعل ، واضطر كيرلس وبعض الاساقفة المحازبين له ان يفرّوا الى لبنان سنة ١٧٢٥ ، فاستقبلهم بطريرك الموارنة يعقوب عواد واساقفته بكل ترحاب ، واحاطوهم بكل انواع الرعاية والحماية ؛ وحين رفع البطريرك كيرلس دستور ايمانه الى البابا بنادكتوس الرابع عشر (١٧٤٠ – ١٧٥٨) ، وجّهوا هم ايضاً (اي البطريرك والاساقفة الموارنة) رسائل توصية به الى سفير فرنسة لدى الباب العالي ، وقد وقعت تلك الرسائل بيد سلفستروس ، فوشى بالموارنة الى سليمان باشا العظم والي دمشق ، قائلاً : انهم يساعدون الملكية البابويين العصاة عليه وعلى الدولة ، فكان ان جهّز سليمان باشا

عسكراً وارسله الى دير قنوبين مقر بطريرك الموارنة ، ففرّ البطريرك ونهب العسكر الدير واعتقل بعض رهبانه ورهبان دير قزحيا ، وساق اخا البطريرك يعقوب الى سجن طرابلس ، ونهب قرى اكثر جبّة بشرّي ، وافتدى بعض اعيان الموارنة رهبانهم واخا بطريركهم بمبلغ كبير من المال .

وعقد البابا مجمعاً ثبّت فيه كيرلس المذكور ومنحه البراءة والدرع ، لانه قدم ادلة لا يشوبها ريب على صدقه وصحة ايمانه وطاعته للكرسي الرسولي ، وانفذهما اليه مع المطران عمنوئيل الكرملي اللاتيني اسقف بابل ، ولكن البطريرك لم يتشح بالدرع الا في السنة ١٧٤٤ .

وتنازل البطريرك كيرلس عن البطريركية في اواخر ايامه لابن بنت اخيه البطريرك اثناسيوس جوهر ، واعتزل العمل في دير الى ان توفي في اول ك١ من السنة ١٧٦٠ (راجع ما قلناه عن قصادة الاب دوروثاوس الكبوشي وعمنوئيل الكرملي في باب القصاد الاستثنائيين من هذا الكتاب) .

اثناسيوس جوهر

بعد قيام هذا البطريرك سنة ١٧٥٩ ، رفع اربعة من اساقفة الطائفة ، هم مطارنة بيروت وصيدا وبعلبك وحلب والرئيسان العامان على الرهبانيتين المخلصية والشويرية ، الى البابا اكليمنضوس الثالث عشر احتجاجاً على تنصيبه بالصورة الآنفة الذكر . فأنصت البابا الى ذلك الاحتجاج ، وأبطل بسلطانه الرسولي تنازل البطريرك كيرلس وانتخاب البطريرك اثناسيوس ، واقام مكسيموس حكيم مطران حلب بطريركاً عليهم سنة ١٧٦٠ ، وارسل اليهم الاب دومينيكوس لانزا او عبد الاحد دي لانسانس قاصداً رسولياً لينفذ قراره المذكور . ولم يعش البطريرك مكسيموس في البطريركية الا سنة وبضعة اشهر ، اذ توفي في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٧٦١ .

وبعد وفاته انتخب للبطريركية اثناسيوس دهان ودعي ثاودوسيوس ، وزاحمه على منصبه السيد اثناسيوس جوهر اذ سام مطرانين جديدين انتخباه بطريركاً ، وسافر الى رومية آملاً اثبات بطريركيته ، ولكن البابا اكليمنضوس الثالث عشر ثبت بطريركية ثاودوسيوس وأتحفه بدرع الرئاسة .

فعاد السيد جوهر من رومية مدحوراً كئيباً ، على أنه ما كاد يصل الى لبنان حتى حمل بعض الاساقفة على انتخابه بطريركاً ، وقد رفع الامر الى البابا ، فأصدر براءة مؤرخة في ١١ ايلول من سنة ١٧٦٥ ، وبّخ فيها السيد جوهر والاساقفة محازبيه ورشق بالحرم من قاموا بهذا الصنيع ، فلم يرَ عندئذ السيد جوهر والاساقفة انصاره مندوحة عن الخضوع للبطريرك الاصيل ، فحلوا من الحرم وبقي ثاودوسيوس الدهان على عرش البطريركية ، الى ان توفي في سنة ١٧٨٨ ، فانتخب بعده اثناسيوس جوهر انتخاباً قانونياً ، واذ ذاك نال التثبيت ودرع الرئاسة من الحبر الاعظم . ولم تطل مدة بطريركيته فقد قضى نحبه في دير مار الياس رشميا ، في ١١ تشرين الثاني من سنة ١٧٩١ (راجع ما كتبناه بهذا الشأن في كلامنا عن قصادة الاب عبد الاحد دي لانسالس في باب القصاد الاستثنائيين من هذا الكتاب) .

مكسيموس مظلوم

وخلف السيد اثناسيوس جوهر عدة بطاركة ، كان ابعدهم ذكراً واعلاهم قدراً البطريرك مكسيموس مظلوم . فانه بعد ان سيم مطراناً سافر الى تريستا لدعاوى خاصة بالكرسي الرسولي ، ومنها توجّه الى رومية فتضلّع فيها من اللغات والعلوم ، وسماه البابا رئيساً لاساقفة ميراليكا ، ثم رخّص له بالعودة الى لبنان ، حيث انتخب بطريركاً في ٢٤ اذار سنة ١٨٣٣ ، وهو اول بطريرك ملكي نال من لدن الكرسي الرسولي سنة ١٨٣٨ ، ان يكتب اسمه : « البطريرك الانطاكي والاسكندري والاورشليمي » . وترجم وانشأ مؤلفات عديدة في مواضيع دينية وشرعية وتاريخية الخ . وتاريخه حافل بجلائل الاعمال ، واهمها توصّله بعد جهود جبارة الى الحصول على الاستقلال المدني لطائفته ، ببراءة سلطانية صدرت في ٧ كانون الثاني ١٨٤٨ . وقد اضطرته الظروف الى لبس الصليب الصدري بدل الانكليون ولبس الخاتم ، وعنه اخذ ذلك اساقفته وخلفاؤهم والبطاركة الذين قاموا بعده . ولكنهم يعودون اليوم تدريجياً الى العادة

السابقة . وتاريخ علاقاته مع كرسي رومية الرسولي ، ولاسيما مع القصاد الرسوليين في الشرق ، تاريخ طويل شاقّ لا يمكن ان تتسع له مثل هذه العجالة .

اكليمنضوس بحوث

وبعد مكسيموس مظلوم قام البطريرك اكليمنضوس بحوث ، وثبّته البابا بيوس التاسع في ١٦ حزيران سنة ١٨٥٦ ، وفي سنة ١٨٥٧ اصدر امراً باتباع الحساب الغريغوري ، وبسبب ذلك نشأت في طائفته فتن دعته الى الاستقالة سنة ١٨٥٨ ، ولكن البابا لم يقبل استقالته ، فعاد الى مزاولة مهام البطريركية ، الى ان استقال نهائياً وبعد موافقة البابا في ٢٤ ايلول من سنة ١٨٦٤ .

غريغوريوس يوسف

وانتخب بعده البطريرك غريغوريوس يوسف من الرهبانية المخلصية . درس اللغات والعلوم اللاهوتية والفلسفية في مدرسة القديس اثناسيوس برومية العظمى ، ورُسم كاهناً سنة ١٨٥٢ واسقفاً سنة ١٨٥٩ ، وعيّنه الكرسي الرسولي زائراً رسولياً على رهبانيته ، وبعد صيرورته بطريركاً وردته درع الرئاسة مع براءة التثبيت من البابا بيوس التاسع ، في ٢٧ اذار سنة ١٨٦٥ ، وكان اول اهتمامه ازالة الخلاف من ملته في امر الحساب وردّ من شذّ منهم ؛ وفي عام ١٨٦٧ سافر الى رومية بدعوة من البابا بيوس التاسع ، لحضور الاحتفال بالعيد القرني التاسع عشر لاستشهاد الرسولين بطرس وبولس .

ثم سافر ثانية الى ام المدائن في العام التالي ١٨٦٩ ، لحضور المجمع الفاتيكاني ، والقى فيه خطبتين دافع فيهما عن حقوق الكنائس الشرقية وامتيازاتها . ثم امتنع عن الذهاب الى رومية حتى عام ١٨٩٤ ، فسافر اليها بناء على دعوة خاصة من البابا لاون الثالث عشر بعد انعقاد المجمع القرباني في القدس ، فتلقاه البابا لاون الثالث عشر باحتفالات تكريمية فوق العادة ، وعند عودته حمّله كتاب توصية الى السلطان عبد الحميد ،

كان سبباً في تخويله كثيراً من المنح السلطانية . ولاجل ارضائه ، اصدر في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٩٤ رسالته العامة التي مطلعها : « شرف الكنائس الشرقية » واعاد فيها الى الكنيسة الشرقية بعض حقوقها التي ما كان بعضهم يريد الاعتراف بها .

وتوفي هذا البطريرك يوم الثلاثاء ١٣ تموز ١٨٩٧ (مجموعة البشير عدد ١٧ تموز ١٨٩٧) .

بطرس الجريجيري

زحلي المولد ، تلقى علومه الابتدائية في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير ، ورسم كاهناً سنة ١٨٦٢ ، وبعد ١٢ سنة سافر الى فرنسة ودخل مدرسة بلوا ، وحصّل فيها جانباً من العلوم العالية ، ومنها شخص الى رومية ومثل امام البابا لاون الثالث عشر . وعاد الى لبنان حيث رسم مطراناً في سنة ١٨٨١ على ابرشية بانياس .

وفي سنة ١٨٨٧ سافر الى رومية وقابل البابا لاون الثالث عشر ، ونال منه مبلغاً من المال شيّد به كاتدرائية القديس بطرس في مرجعيون .

وفي سنة ١٨٩٣ حضر المجمع القرباني في القدس ، ومن هناك يمّم رومية ومثل امام البابا ، وحظي منه برعاية خاصة .

وانتخب بطريركاً في صربا لبنان برئاسة القاصد الرسولي كارلوس دوفال ، يوم الخميس ٢٤ شباط سنة ١٨٩٨ ، ونال درع الرئاسة وبراءة التثبيت عن يد قاصده رئيس المدرسة اليونانية في ٢٤ اذار من السنة نفسها .

وفي اواخر شهر ايلول سافر الى رومية وحظي بمقابلة البابا في ٧ تشرين الاول ، ونال منه صليباً مرصّعاً يحتوي على ذخائر من عود الصليب وعظام القديسين بطرس وبولس . وبعد عوده انصرف الى الجهاد في خير طائفته ، ولكن الله لم يفسح في اجله فتوفي في اوائل السنة ١٩٠٢ .

كيرلس جحا

وانتخب بعده كيرلس جحا بطريركاً في اواخر حزيران من سنة ١٩٠٢ ،

ونال درع الرئاسة وبراءة التثبيت على اثر انتخابه . وسافر الى رومية للاشتراك في الاحتفال التذكاري المئوي السادس عشر للقديس يوحنا فم الذهب . وبهذه المناسبة اقام قداساً في كنيسة القديس بطرس ، ترأسه البابا نفسه . وقد شاء رأس الكنيسة الاعلى ان يتلو فيه الصلوات مع البطريرك باللغة اليونانية ، ليعرب عن وفور محبته للطوائف الشرقية ، وليبرهن لها عن أنه ابٌ لكل كاثوليكي (مجموعة البشير عدد ١٦ اذار من سنة ١٩١٩) .

ديمتريوس القاضي

كلفه الكرسي الرسولي وهو كاهن اعداد مواد المجمع الطائفي الذي كان منويًّا عقده ، وانتخب مطراناً على حلب سنة ١٩٠٣ ، وبعد وفاة البطريرك جعله عينه الكرسي الرسولي نائباً رسولياً على طائفته في شهر شباط سنة ١٩١٦ .

ثم انتخب بطريركاً في اذار سنة ١٩١٩ ، ونال درع الرئاسة وبراءة التثبيت في ٣ حزيران من السنة نفسها . وفي ٦ حزيران من سنة ١٩٢٥ سافر الى رومية ترافقه حاشية كبيرة ، وحظي بمقابلة البابا بيوس الحادي عشر في ١٣ منه ، مقابلة خاصة دامت ٣٥ دقيقة ، وقدم له فيها البطريرك هدية جميلة ، هي خريطة لواجهة معبد القديس بولس الرسول في دمشق المبني في المكان الذي تدلى منه الرسول ، فسرّ البابا بها وامر بوضعها في معرض الرسالات . وقد عاد البطريرك من رومية في ٣ تموز ، وبعد ان تجول في لبنان توجه الى دمشق ، حيث توفي في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ .

كيرلس مغبغب

انتخب بطريركاً في اليوم الثامن من شهر كانون الاول سنة ١٩٢٥ ، وهو من مواليد عين زحلتا لبنان ومن طلبة مدرسة البروباغندا . بعد انتخابه سافر الى رومية في ٢٧ نيسان من سنة ١٩٢٦ ، ليطلب براءة التثبيت ودرع الرئاسة ، وعين صباح ٢١ حزيران موعد لحفلة منحه اياهما الحبر الاعظم في الفاتيكان . وكانت الحفلة جدّ شائقة ، اذ نقل البطريرك من حيث كان نازلاً على العربات البابوية ، يرافقه حاجب البابا الخاص وجمهور

الحاشية البطريركية ، وفي مقدمتهم المطرانان صائغ وحجار . فاستقبله جنود الفاتيكان بالتحية الرسمية ، وكان بانتظاره وفود المدعوين من نواب البطاركة الشرقيين ورؤساء المعاهد ورئيس التشريفات البابوي ، فادخلوه على الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر ، الذي كان جالساً على عرش مرتفع يحيط به يميناً وشمالاً مصف الكرادلة .

وبعد التحية المتعارفة تلا البطريرك قسم الاخلاص للكرسي الرسولي ، فاجابه الحبر الاعظم بخطاب مفعم حباً منحه فيه الباليوم واثبته على كراسي انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق . وختم كلامه قائلاً :

« اننا نصادق على انتخابكم من الاساقفة الاجلاء ، ونضم الى صدورنا كنيستكم الانطاكية ، ونبارك شعبكم الكريم » (مجموعة البشير عدد ٣ تموز ١٩٢٦) .

وبعد الحفلة اختلى البابا بالسيد البطريرك ، وقدّم له هديتين : الاولى صليب مرصع باللؤلؤ الصافي ، والاخرى رسمه الكريم باطار من فضة ، عليه كلمات الحب الابوي ، تذكاراً لذلك النهار التاريخي .

وفي حزيران ١٩٢٩ ، بمناسبة يوبيل البابا نفسه الذهبي الكهنوتي ، ارسل البطريرك الى رومية وفداً طائفياً برئاسة المطران كيرلس رزق ، يحمل معه تقدمة مالية كان غبطته امر بجمعها من كل ابرشيات الطائفة ، لتكون في مناسبة اليوبيل بمثابة فلس القديس بطرس . وقد قابل الوفد قداسته في تموز ، ولقي لديه كل ترحيب ، ولما عاد حمله البابا الى البطريرك رسالة من توقيعه السامي يشكر له فيها التقدمة المالية ، ويطلب له ولطائفته كل خير مفيضاً عليه وعليها بركته الرسولية .

وقد توفي هذا البطريرك في السنة ١٩٤٧ .

صاحب الغبطة مكسيموس صائغ البطريرك الحالي

هو صاحب الغبطة البطريرك مكسيموس الرابع الصائغ ، المتربع حالياً على عرش البطريركية بكل استحقاق . اتمّ علومه في الاكليريكية الصلاحية في القدس الشريف ، ورسم كاهناً سنة ١٩٠٥ ، وفي السنة التالية ضوى الى الجمعية البولسية ، وانتخب لها رئيساً سنة ١٩١٢ ، وسُقّف

على ابرشية صور سنة ١٩١٩ . وفي سنة ١٩٢١ عينه الحبر الاعظم رئيساً للزيارة الرسولية الموجهة الى رهبانية الروم الكاثوليك ، وزائراً رسولياً لجالياتهم في اميركا الشمالية .

وبعد وفاة البطريرك ديمتريوس قاضي اقامه نائباً بطريركياً ، ونقله سنة ١٩٣٣ ليتولى متروبوليتية بيروت ، فلبث يديرها بكل حزم ودراية ، الى ان انتخب بطريركاً في مجمع اسقفي عقد في عين تراز يوم ٣٠ تشرين الاول من سنة ١٩٤٧ .

وفي تشرين الثاني من سنة ١٩٤٨ ، سافر الى رومية لاداء واجب الزيارة للحبر الروماني ، وحظي بمقابلة صاحب القداسة بيوس الثاني عشر بقصره الصيفي بكاستل غندلفو ، يرافقه ثلاثة من السادة اساقفته ، ودامت المقابلة خمساً واربعين دقيقة اظهر فيها قداسته على الكنيسة الملكية بطريركها واساقفتها ومؤمنيها عطفاً جزيلاً ، وعانق السيد البطريرك ، وبشخصه الطائفة اربع مرات : عند دخوله وفي آخر حديثه وعند دخول حاشيته وبعد خطابه الخاص لدى الوداع .

وزار غبطته بعد ذلك الدوائر الفاتيكانية ، فلقي فيها حيثما حل كل ترحيب وحفاوة ، ورجع في ١٤ ك١ الى مقره في مصر .

ثم عاد السيد البطريرك فسافر الى رومية في تشرين الاول من سنة ١٩٥٠ المعلنة سنة مقدسة .

وفي يوم الاحد ٢٦ ت٢ ، عملاً برغبة الحبر الاعظم ، اقام السيد البطريرك ، في كنيسة القديس بطرس برومية ، قداساً حبرياً اشترك معه فيه خمسة عشر اسقفاً وثلاثون كاهناً ، واشترك فيه ابو المؤمنين اشتراكاً فعلياً ، بمنحه البركات وتلاوته بعض الاعلانات والابانا وقانون الايمان ، وغيرها من الصلوات باللغة اليونانية .

واستقبل الحبر الاعظم بعد ذلك (في ١٠ ك٢) السيد البطريرك وحاشيته ، وشكره على الحفلة التي اقامها ، وافاض بركته الرسولية على الطائفة الملكية صائغاً لها اجمل تمنياته ، واخيراً وزّع على رجال الحاشية البطريركية انواطاً تذكارية ، لاعلان عقيدة الانتقال ودعا لجميعهم بالسلامة والتوفيق .

٩

بطريركية السريان الكاثوليك

من هم السريان الكاثوليك

هم فئة من الآراميين السريان سكان سورية ولبنان ، نهج بطاركتهم في اتصالهم برومية نهج بطاركة الروم الكاثوليك ، فكانوا في اول امرهم يعتقدون ان للكنيسة الرومانية المقام الاول بين سائر الكنائس ، وينقادون لرئيسها ويراجعونه في امورهم الدينية ، الى ان تطرقت اليهم البدع ، اخصها بدعة اليعقوبية ، فانفرطت بينهم وبينها علائق الاتحاد والائتلاف ، وتشعّبوا الى ست بطريركيات (راجع المشرق ٢١ : ٤٩٤) .

ثم عاد فريق منهم فأبرم عهود الطاعة والوصال مع خلفاء بطرس ، من هؤلاء البطريرك اغناطيوس داود (١٢٢٢ - ١٢٥٣) ، الذي كتب اليه البابا غريغوريوس التاسع (١٢٢٧ – ١٢٤١) يطريه فضيلته ويضمه الى رهط احبار الكنيسة الكاثوليكية . وعلى كرور الاحقاب نهج ذلك النهج النواب الرسوليون السريان الذين تولوا رعاية السريان الكاثوليك ، واقاموا منذ صدر القرن الثامن عشر في دير مار افرام الرغم ، الواقع في لحف الشبانية من اعمال المتن في لبنان ، اذ كان هؤلاء يراسلون الكرسي الرسولي في شؤونهم ومسائل رعاياهم ، بدءاً من المطران غريغوريوس نعمة قدسي ، والمطران جبرائيل فيزون ، والمطران شكرالله جروه ، والمطران يوسف قدسي (عن معلومات لصديقنا العلامة الطبيب الاثر الخورفسقفوس اسحق ارملة المؤرخ السرياني الكاثوليكي المعروف ، اتحفنا بها قبل وفاته . رحمه الله) .

اتصالهم بالبابا منذ القرن السابع عشر

اغناطيوس اخيجيان

وقد توثقت صلات بطاركة السريان الكاثوليك الانطاكيين بالكرسي الروماني ، في عهد البطريرك اغناطيوس اندراوس اخيجيان (١٦٣٢ – ١٦٧٧) ، ويظهر بما كتبه الدبس في تاريخ سورية (جزء ٨ صفحة ٧١٣) ان هذا البطريرك كان في لبنان وهو شاب ، واتصل بالبطريرك يوسف العاقوري الماروني (١٦٤٤ – ١٦٤٨) ، فاعتنى هذا باجتذابه الى الايمان الكاثوليكي ، وارسله خلفه البطريرك يوحنا الصفراوي (١٦٤٨ – ١٦٥٦) الى مدرسة الموارنة برومية ، فتثقف بالعلوم ، ثم رسمه البطريرك نفسه كاهناً فاسقفاً سنة ١٦٥٦ ، وارسله الى حلب مصحوباً بالقس اسطفان الدويهي الشهير (الذي صار بعد حين بطريركاً) ، فردّا كثيرين من السريان اليعاقبة الى الكثلكة . ولما توفي اغناطيوس سمعان بطريرك اليعاقبة ، رقي المطران اغناطيوس اندراوس اخيجيان ، بمساعدة السيد فرنسوا بيكيت قنصل فرنسة هناك ، الى الكرامة البطريركية ، وذلك في آب من سنة ١٦٦٢ . وللحال ارسل البطريرك الجديد صورة ايمانه الكاثوليكي الى الكرسي الرسولي ، فثبته البابا اسكندر السابع بطريركاً على السريان الكاثوليك . وقد توفي هذا البطريرك في تموز من سنة ١٦٧٧ .

اغناطيوس شهبادين

وخلفه البطريرك اغناطيوس شهبادين سنة ١٦٧٨ ، ونال براءة التثبيت ودرع الرئاسة من البابا اينوشنسيوس الحادي عشر (١٦٧٦ – ١٦٨٩) ، على يد موفده الاب ميخايل نو سنة ١٦٧٩ ، على انه لم يلبث ان لاقى في حلب صنوف الاضطهادات ، فاضطر الى ان يسافر الى رومية عارضاً امره على البابا اينوشنسيوس الثاني عشر (١٦٩١ – ١٧٠٠) ، فاعاده الى اسطمبول مع كتاب توصية الى سفير فرنسة ، وبمساعدة السفير استحصل على فرمان تأييد من السلطان ، وعاد الى حلب . على انه ما كاد يطأها

حتى اعتقل سنة ١٧٠١ ، بحجة انه يذكر البابا في صلاته (عن رسالة قنصل حلب في محفوظات دير الكبوشيين في اسطمبول) ، ثم نفي الى قلعة اطنه مع بعض كهنته مقيداً بالاغلال ، واقام فيها يكابد صنوف العذابات ، الى أن توفي شهيداً في ٤ اذار من سنة ١٧٠٢ .

اغناطيوس مخايل جروه

وبعد وفاة هذا البطريرك لم يقم للسريان الكاثوليك بطريرك آخر الا في سنة ١٧٨٢ ، اذ اعتنق المطران ديونيسيوس مخايل جروه الايمان الكاثوليكي مع اربعة اساقفة آخرين ، ومن ثم عقد واياهم مجمعاً انتخب فيه بطريركاً بمساعدة القنصل الفرنسي باسم اغناطيوس ، واقام في دير الزعفران في ماردين سنة وسبعة اشهر ، ولكنه لم يقوَ على الثبات هناك لشدة ما لاقاه من اضطهاد ، فانهزم الى الموصل ثم الى بغداد ، ونزل في هذه الاخيرة بدار المرسلين الكرمليين تحت حماية قنصل فرنسة السيد روسو . ومن هذه الدار كتب الى رومية يطلب براءة التثبيت ودرع الرئاسة ، فقرر البابا بيوس السادس (١٧٧٥ - ١٧٩٩) منحه اياهما في ١٥ كانون الاول سنة ١٧٨٣ ، ولكنه لم يتمكن من ارسالهما اليه ، لوفرة اخطار الطرق في تلك الايام .

ولم يلبث البطريرك ان رأى الاضطهادات تتهدده من كل جانب في بغداد ، فقرر الانهزام الى لبنان معقل الحرية الدينية في ذلك العهد ، فسافر قاصداً ربوعه في ليل ٦ آذار من سنة ١٧٨٤ ، وهو مُتنكّر بزي درويش ، وكان وصوله اليه في ٣٠ من الشهر المذكور ، وحلّ اولاً في بلدة بيت شباب ، مقيماً في منزل يقع في قلب البلدة ، يعرف حتى اليوم ببيت البطرك ، ومنه انتقل بعد مدة الى دير مار انطونيوس النبع للرهبان اللبنانيين المراونة ، ومن هذا الدير رفع عريضة الى البابا بيوس السادس يخبره فيها بما حدث له من غوائل ، فأجابه الحبر الاعظم يهنئه بنجاته ، وبعث اليه بالدرع المقدسة ، فتوشح بها في ٢٥ نيسان من سنة ١٧٨٥ ، بعد ان انتقل الى دير الشرفة ؛ وكان الخوري يوسف ماورن

الطرابلسي قد بنى هذا الدير سنة ١٧٥٧ ، فلمّا حلّ البطريرك جروه في بيت شباب ، تقبله البطريرك الماروني وأعيان طائفته ولاسيا آل خازن بالاعزاز، وسلموه الدير المذكور في محلة الشرفة لسكناه (الدبس جزء ٨ صفحة ٥٩٩ و٧١٤) . وبعد ان رمّمه قضى فيه اكثر ايامه ، الى ان توفي في سنة ١٨٠٠.

اغناطيوس ضاهر

وبعد هذا البطريرك قام من السريان في لبنان عدة بطاركة على قاعدة الاتصال بالحبر الروماني ، نذكر منهم البطريرك اغناطيوس ضاهر . انتخب سنة ١٨٠٢ ، وثبته البابا بيوس السابع (١٨٠٠ – ١٨٢٣) في ٢٠ كانون الاول من سنة ١٨٠٣ ، واستقال من البطريركية سنة ١٨١٠ ، وبقي الكرسي بعده فارغاً زمناً .

غريغوريوس سمعان زورا الموصلي

كان مطراناً على اورشليم . انتخب بطريركاً باسم غريغوريوس سمعان الموصلي ، ولكنه استقال بتمام رضاه قبل ان يبلغه تثبيت الحبر الروماني ، كما يظهر من اوامر المجمع المقدس الصادرة بهذا الشأن ، في ٢٠ حزيران سنة ١٨١٨ (تاريخ الدبس جزء ٨ صفحة ٧١٥) .

اغناطيوس بطرس جروه

وبقي الكرسي فارغاً الى ان اجتمع الاساقفة في دير الشرفة ، وانتخبوا في ٢٥ شباط سنة ١٨٢٠ بطريركاً اغناطيوس بطرس جروه . وبعد انتخابه بعدة سنين سافر الى رومة فتقبل من يد الحبر الاعظم البابا لاون الثاني عشر (١٨٢٣ – ١٨٢٩) درع التثبيت في ٢٨ كانون الثاني من سنة ١٨٢٨ ، وبعد اقامته زمناً طويلاً في لبنان سافر الى حلب لتفقد شؤون رعيته ، فاعتدى عليه بعض الرعاع بالضرب ، واخذوا يجرونه على الحضيض ، وهو في الرابعة والسبعين من عمره ، الى ان خلصه من يدهم الحاج عثمان الحمصاني ، واخذه الى بيته ، فضمّد جروحهُ ، ثم نقل الى دار قنصلية

فرنسة . وقد مات بعد عام في مثل اليوم الذي اعتدي عليه فيه ، متأثراً من اوجاعه . وكان ذلك في السنة ١٨٥١ .

اغناطيوس بطرس جميري

انتخب في دير الشرفة بلبنان سنة ١٨٥٣ ، وارتحل الى رومية فرحب به الحبر الاعظم البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ – ١٨٧٨) ، وعانقه واصغى الى احاديثه ومطالبه بواسطة ترجمانه ، ووشحه صباح ٢ تموز ١٨٥٤ بالدرع المقدسة ، وكتب له رسائل توصية الى اقطاب الدولة الفرنسية ، اذ كان قد أخبره بانه سيسافر من رومة الى باريس ، ولما جاءها حظي بمقابلة نابليون الثالث والامبراطورة اوجيني ، ونال لديهما كثيراً من الحفاوة ، وعاد من باريس الى رومة فقابل البابا تكراراً ، ورجع الى الشرق معززاً ، وبنى داراً بطريركية في ماردين اقام فيها ، الى ان توفي في السنة ١٨٦٤ .

اغناطيوس الرحماني

وقام بعده بطاركة آخرون من السريان الكاثوليك سكنوا خارج لبنان ، فآثرنا اغفال ذكرهم . وفي رابع تشرين الاول سنة ١٨٩٨ ، انتخب بطريركاً اغناطيوس افرام الرحماني من تلاميذ مدرسة البروباغندا (او نشر الايمان) ، وبعد اثني عشر يوماً من انتخابه فاز ببراءة التثبيت ودرع الرئاسة من البابا لاون الثالث عشر على يد موفده الخورفسقفوس يوسف هبرا ، واستدراكاً لما قد يحصل من التقلبات والاعتداءات على كرسي البطريركية حيث كان سابقاً ، عوّل على نقله الى بيروت بالنظر الى ما كانت تتمتع به آنذاك من رقي وحضارة ، ولانها كانت على رمية حجر من لبنان معقل الحرية والاطمئنان .

وفي ٢٤ شباط من سنة ١٩٠٢ ، اقام مع حاشيته في الدار البطريركية المحاذية لكنيسة القديس جرجس السريانية شارع سورية ، وصرف فيها كل حياته ساعياً في تعزيز العقائد الدينية . وكان على أثر وفاة البطريرك

سلفه (السيد جهنام) سنة ١٨٩٧ قد زار الاعتاب الرسولية ، فأبدى له الاب الاقدس ارتياحه الى صيرورته بطريركاً .

وفي سنة ١٩٠٩ زار رومية ايضاً ومثل بين يدي البابا بيوس العاشر (١٩٠٣ - ١٩١٤) ، الذي اتحفه بخاتم حبري وصليب ذهبي ، وقدّم له الكردينال ماري دلفال كأساً ذهبية وآنية بيعية ، وسعى في سنة ١٩٢٠ لدى البابا بنادكتوس الخامس عشر (١٩١٤ - ١٩٢٢) في جعل مار افرام السرياني معلماً للكنيسة الجامعة ، فنجح في سعيه .

وفي سنة ١٩٢٧ زار البطريرك البابا بيوس الحادي عشر (١٩٢٢ - ١٩٢٧) ، وهنأه بيوبيل المدرسة الاووربانية ، فاحتفى به الحبر الاعظم ، ومما قاله له حين الوداع : « بلّغ اهل الشرق اني احبهم حبًّا جمًّا واهدِ اليهم جميعاً تحياتي الخاصة » . وقد توفي هذا البطريرك في ٧ ايار سنة ١٩٢٩ .
(مجلة الآثار الشرقية عدد حزيران وتموز ١٩٢٩) .

الكردينال اغناطيوس جبرائيل تبوني البطريرك الحالي

انتخب بطريركاً في حزيران من السنة نفسها ، وكان الكرسي الرسولي قد عينه نائباً ومدبراً للبطريركية منذ اشتدّ المرض على سلفه . وفي حال انتخابه طيّر الخبر الى الحبر الاعظم فأبرق اليه وزير خارجيته الكردينال غسباري يهنئه ويهدي اليه البركة .

وفي تموز سافر الى رومية ، فاستقبله البابا بعطف ابوي ، ومنحه براءة التثبيت في ١٥ تموز ، ووشحه بالدرع المقدسة بيده الكريمة صباح ٦ آب ، في حفلة شائقة اقيمت في قاعة الكونسرفاتوار ، وفي آخرها اذن الحبر الاعظم للمصوّر بان يأخذ رسمه مع البطريرك وحاشيته .

وفي آخر تشرين الثاني من سنة ١٩٣٥ وردت اليه بشرى من البابا بيوس الحادي عشر (١٩٢٢ - ١٩٣٧) ، بانه قد قرر ترقيته الى الرتبة الكردينالية السامية ، المعتبر حاملوها لدى الملوك والرؤساء بمثابة امير من امراء الاسر الملكية ؛ فسافر الكردينال الجديد الى المدينة الابدية من

بيروت يوم الخميس ٥ كانون الاول ، يرافقه المطرانان قليان وبخّاش والخورفسقفوس حلبية ، على باخرة ترفع العلم البابوي تكريماً . ولدى وصوله في ١٠ منه قوبل بحفاوة بالغة ونزل في الاكليريكية الفرنسية ، وفي اليوم الثاني قابل الاب الاقدس فتلقاه بعواطف الابتهاج ، واقيمت حفلة تسليمه بطاقة التعيين في صباح ١٦ منه في قصر المجمع الشرقي ، وقد حملها اليه ساع خاص من قبل الاب الاقدس ، وهي تحتوي على العبارة التالية : « ان الاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر قد اصطفاك لتكون كردينالاً ، لما توسمه فيك من الجدارة والصفات اللائقة بهذا المنصب السامي » .

وفي اليوم التالي التأم الكرادلة الجدد في الفاتيكان بحضرة البابا ، وتليت اسماؤهم ، فكان الكردينال تبوني الثاني منهم في العدد ، ثم وزعت عليهم القبعات الكردينالية الحمراء الصغيرة . وفي يوم آخر أهديت اليهم القبعات الكبرى ، وهذه تحفظ عادة في الكنيسة التي يعينها البابا لكل منهم ، وتعلق فوق ضريح الكردينال بعد موته .

وقد عيّن الحبر الاعظم للكردينال تبوني كنيسة خاصة به من كنائس رومية اسوة بغيره ، هي كنيسة الاثني عشر رسولاً . ويروى ان الاختيار وقع على هذه الكنيسة لانها تضم بين جدرانها ضريحاً لاول كردينال شرقي .

ومما يخلق ذكره ان الحبر الاعظم حين خطب في الكرادلة الجدد وهم في ذلك الاجتماع ، خصّ الكردينال تبوني وحده بينهم بكلمة ثناء ، ولم يذكر اسم احد منهم غير اسمه . ولهذه الظاهرة مغزاها الغني عن الايضاح .

وفي اواسط كانون الثاني من سنة ١٩٣٦ ، عاد الكردينال الجديد الى لبنان ، بعد ان عينه الحبر الاعظم عضواً في مجمع نشر الايمان وفي المجمع الشرقي وفي مجمع املاك الكنيسة الملكية للقديس بطرس .

ومنذ ذلك الحين حتى اليوم ، ما يزال صاحب النيافة الكردينال تبوني يوالي رحلاته الى رومية العظمى كلما دعاه الى ذلك داع ، فيقابل حيثما يحل

في كل رحلة من رحلاته بأعظم مظاهر الحفاوة والاجلال ورعاية الجانب ، ويصغى الى ما يبديه من رأي ومشورة .

وقد اسندت اليه بعد ذلك مهام اخرى ذات خطورة ، ولاسيما حين انعقاد المجمع المسكوني الحالي ، مما جاء دليلًا على ان الدوائر الفاتيكانية تقدر فضيلته وعلمه وسمو مداركه وما يزدان به من نباهة وحكمة .

وزبدة القول ، ان صاحب النيافة ما يزال منذ رقي الى منصبه السامي يعرب عن اخلص عواطف التعلق بالبابا والاخلاص للسدة الرسولية ، ويؤدي اجل الخدم للكنيسة ، محيطاً طائفته السريانية برعاية ابوية ، مفصحاً في مختلف الظروف عن حبه المكين للبنان ، ومساندته لاولياء امره في كل ما يرام يسعون اليه من توطيد استقلاله وتدعيم وحدته الوطنية واشاعة الامن والاستقرار في ربوعه .

اخذ الله بيده وامد بحياته !

١٠

بطريركية الارمن الكاثوليك

من هم الارمن

الارمن شعب معروف بنشاطه وصبره على المشقات ، نزح بعضهم من ارمينية والشمال الى لبنان في القرنين الثامن والتاسع ، هرباً من الجور ، واختلطوا بسكانه ولاسيما الموارنة ، وخفيت على الايام اصولهم .

امّا الذين هاجروا من تلك الجهات مع بعض اكليروسهم في العصور الاخيرة ، فقد استمرّوا يحافظون على طائفيتهم وطقوسهم ، ولكنهم اعتنقوا الجنسية اللبنانية واصبحوا لبنانيين لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ومن ثم لم نرَ بدءاً من تخصيصهم بهذا البحث .

الارمن في مواطنهم الاولى

كان اول من دعا الارمن الى الدين المسيحي القديس غريغوريوس المنوّر في العشر الاول من القرن الرابع ، فلبُّوا الدعوة مع ملكهم ورطاد ، وصار غريغوريوس اول بطريرك عليهم ، وظلّ خلفاؤه من بعده على اتصال بالكرسي الرسولي ، الى ان قام منهم البطريرك الحادي والعشرون ، وهو نرسيس اشداراغتي ، فاتبع بدعة اوطيخا وأنكر تحديدات المجمع الخلقيدوني وخرج عن طاعة الاحبار الاعاظم ، وكان ذلك في منتصف القرن السادس .

وبعد ما تقدّم تشعّبت البطريركية الارمنية الى خمس بطريركيات ،

وكانت كلٌّ منها تتقلب على الجنبين ، تارةً تخضع لرومية ، وطوراً تعصاها ، الى ان ملَّ البابوات تلك الحالة في اوائل القرن الثامن عشر ، فأمروا بفصل البطريركية الارمنية الكاثوليكية عن غيرها من الكراسي الباقية ، وعندئذٍ دخلت هذه الطائفة من حيث علاقتها بالكرسي الرسولي في طور جديد ، خاصةً بعد ان لجأ قسمٌ كبيرٌ منها الى لبنان ، وأصبح هؤلاء اللاجئون الى معقل الحرية بأمنٍ من الاضطهادات ، التي كانت تتتابعهم في مواطنهم الاولى (المشرق ٣ : ٩٢٦) .

الارمن في لبنان

واول من قدم الى لبنان من الاكليروس الارمني الكاثوليكي ، المطران يعقوب اسقف مرعش ، لجأ الى البطريرك الدويهي وأقام عنده في قنوبين عدّة سنين (تاريخ سورية للدبس مجلد ٨ صفحة ٧١٨) .

البطريرك ابرهيم ارزيفيان

وتبعه البطريرك الارمني الكاثوليكي ابرهيم ارزيفيان . ولد في عينتاب سنة ١٦٧٩ ودرس علومه اللاهوتية على الاسقف ملكون طازباز ، ويسميه آخرون (ملكيور طاسباس) تلميذ المدرسة الاوربانية برومية . ورقى ابرهيم الى الدرجة الاسقفية البطريرك بطرس بيساغ ، الذي كان منتمياً الى رومية ومطيعاً للبابا ، وعينه اسقفاً لحلب في سنة ١٧١٠ ، وهناك نالته محن كثيرة من قبل خصومه الغريغوريين ، الذين استعانوا عليه بالحكومة العثمانية ، اذ كان رجالها في تلك الايام يكرهون كل بابوي ، فنفي الى ارواد سنة ١٧٢٢ ، وتدخل بأمره سفير فرنسة لدى الباب العالي ، فأذن له بمغادرة منفاه ، على أن لا يعود الى حلب ، فقصد الى لبنان ولاذ بالبطريركية المارونية ، فأكرمت مثواه ، وحلّ في دير الكريم الذي كان وهب محله الشيخ صقر قانصو الخازن اربعة شبان من ارمن حلب ، فأنشأوا فيه ديراً على اسم المخلص سنة ١٧١٨ ، ومن ثمّ أخذ بعض

الاساقفة والكهنة من الارمن ينضمون الى الاسقف ابرهيم ويقيمون معه ، حتى بلغ عددهم في سنة ۱۷۲۸ خمسة وثلاثين شخصاً .

وفي سنة ۱۷۳۹ جاءته رسائل من حلب مآلها ان الاحوال فيها تغيّرت ، وأصبحت اكثر ملاءمة للكثلكة ، فسافر اليها ، وفي حال وصوله انتخبه بعض الاساقفة الارمن بطريركاً بدلاً من بطريرك سيس المتوفى .

وكان اول شيء فكّر فيه البطريرك ابرهيم بعد انتخابه ، السفر الى رومية ، ليقدّم للبابا فروض الطاعة ، ويطلب منه التثبيت والدرع . فتلقاه بندكتوس الرابع عشر (۱۷٤۰ – ۱۷٥۸) بمزيد الحفاوة والحب ، واثبت انتخابه في ٢٦ تشرين الاول من سنة ۱۷٤٢ ، وقلده الدرع المقدسة في ٨ كانون الاول من السنة نفسها ، وسلطه على كل ارمن المشرق ، واذن له بأن يدعى « بطريرك قيليقية والارمن » . وقد اراد البطريرك ابرهيم ان يعرب عن شكره للبابا ، فاضاف الى اسمه اسم « بطرس » تشبهاً بالبطريرك الماروني ، وحتم بأن يجري خلفاؤه على هذه الطريقة من بعده .

وعند عودته من رومية اصحبه البابا برسائل الى سفراء الدول الكاثوليكية في اسطمبول ، ليساعدوه على نيل الفرمان السلطاني ، ووجه معه الى البطريرك الماروني واساقفته وشعبه رسالة مؤرخة في ٢٥ نيسان من سنة ۱۷٤۳ ، يوصيهم فيها بمساعدته . وسار البطريرك الى حلب محاولاً الاقامة فيها قريباً من رعاياه ، ولكنه لم يقوَ على المكث هناك ، فعاد الى لبنان واقام في دير الكريم ، الى ان توفي في تشرين الاول من سنة ۱۷٤۹ ودفن فيه .

يعقوب بطرس

وانتخب بعده بطريركاً الاسقف يعقوب مطران حلب ، فبنى دير بزمار في محل وقفه للارمن الشيخ شرف دهام الخازن ، مشترطاً الرجوع عن وقفه فيما اذا ترك الارمن المعتقد الكاثوليكي . ووجه البطريرك وفداً الى رومية جاءه منها ببراءة التثبيت ودرع الرئاسة في ١٣ ايلول من سنة ۱۷٥۰ ، ولم يفسح الله في اجل هذا البطريرك فمات في سنة ۱۷٥۳ .

مخايل الثالث

وانتخب خلفاً له البطريرك مخايل الثالث مطران حلب ، فسافر الى رومية واحسن البابا بناديكتوس الرابع عشر وفادته ، ومنحه براءة التثبيت ودرع الرئاسة في ٦ اذار من سنة ١٧٥٤ ، وبعد عوده بنى كنيسة دير بزمار وتوفي سنة ١٧٨٠ .

بطاركة آخرون

وفي الربع الاخير من القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر ، توالى على الاومن في لبنان عدة بطاركة امتازوا بفضلهم وفضائلهم واحترامهم لرومية وتعلقهم بخليفة القديس بطرس ، وكان البابوات الذين عاصروهم يبذلون لهم المساعدات الادبية والمادية ، نذكر من هؤلاء البطاركة :

باسيليوس بطرس الرابع

احسن علاقاته بالكرسي الرسولي ، وبمعونته تمكن من تكبير المدرسة الاكليريكية التي كان قد اسسها سلفه البطريرك ميخائيل . وتوفي سنة ١٧٨٨ .

غريغوريوس بطرس الخامس

انتخب بطريركاً سنة ١٨١٢ ، وسار في طاعته للبابا على خطة اسلافه ، وامتاز بعلو همته ونشاطه ، ومات برائحة القداسة سنة ١٨٤٠ .

غريغوريوس بطرس السادس

امتاز هذا البطريرك بسعيه في سبيل ازدهار الرسالات الكاثوليكية ، والترغيب في الاقبال على الكثلكة في جميع ارجاء بطريركيته . وحذا حذوه البطريرك غريغوريوس بطرس الثامن (١٨٤٣ - ١٨٦٦) ، الذي كان احد اكابر البطاركة في التاريخ الارمني .

انطون حسون

وقام بعد هذا الاخير في سنة ١٨٦٦ البطريرك انطون حسون الشهير ،

فأثبته الكرسي الرسولي ومنحه درع الرئاسة ، ونقله في سنة ١٨٦٧ من بزمار الى اسطمبول ، لتعمّ هناك سلطته جميع الارمن الكاثوليك المنتشرين في ارجاء السلطنة العثمانية .

ولكن بعض اصحاب الفتن ابوا الخضوع له ، والتجأوا الى الدولة فأيّدتهم في عصيانهم ، وولّتهم على كنائس الطائفة واديرتها في ممالكها ، فكان لذلك اسوأ وقع لدى الارمن الذين استمروا على وفائهم للبطريرك . ومن ثم حصل شقاق في الطائفة ، اضطر الحبر الاعظم الى ان يرشق بالحرم رئيس العصاة المدعو جان كوبليان وانصاره . ودام ذلك الشقاق اثنتي عشرة سنة ، التجأ في اثنائها البطريرك حسون الى رومة ، واستمر مقيماً فيها الى أن خمدت تلك الفتنة بمساعي ممثلي الدولة الفرنسية حامية الكثلكة في الشرق ، لذلك العهد ، وعندئذٍ عاد البطريرك حسون الى كرسيه ، وجنح معظم المتمردين الى الطاعة .

وفي السنة ١٨٨٠ اراد البابا لاون الثالث عشر (١٨٧٨ - ١٩٠٣) ان يبدي عطفه على الارمن ، فاستدعى الى رومية البطريرك حسون ، وبعد أن اشار اليه بالتنزّل عن البطريركية ، رقّاه الى رتبة الكردينالية السامية ، وأبقاه في رومية يهتم ببعض الشؤون الدينية ، الى أن توفي في السنة الـ ١٨٨٤ .

اسطفان عازريان

وخلف الكردينال حسّون بعد تنزله البطريرك اسطفان عازريان ، بتاريخ ٢٤ حزيران من سنة ١٨٨١ . وكان من تلاميذ البروباغندا ، وممن عرفوا بين الاكليروس الارمني بعلو الهمة وحسن البصر والتعلق بالكرسي الرسولي . حضر سنة ١٨٨٧ حفلات اليوبيل الكهنوتي للبابا لاون الثالث عشر ، وكان السلطان عبد الحميد عند سفر البطريرك من اسطمبول لحضور هذه الحفلات ، قد حمّله رسالة بخط يده الى الحبر الاعظم مع بعض هدايا سلطانيّة ، وهناك حضر مداولات المجمع الفاتيكاني بالنيابة عن الاكليروس الأرمني ، وأهدى اليه البابا وسام القبر المقدس ، بعد أن اعلن تثبيته ووسمه بالدرع المقدسة ، واستمر يعنى برعيته بعين يقظى الى ان توفي في السنة ١٨٩٩ .

بولس عمانوئيليان

وقام بعده بولس بطرس عمانوئيليان في ٢٤ تموز من سنة ١٨٩٩ ، وكان من متخرجي جامعة نشر الايمان (البروباغندا) . وتقدّم من الكرسي الرسولي بطلب التثبيت مرسلاً اليه دستور ايمانه ، فاعلن البابا لاون الثالث عشر تثبيته في ٤ كانون الاول من سنة ١٨٩٩ ، عن يد المطران بونتي القاصد الرسولي في اسطمبول ، ثم منحه الدرع المقدسة فتوشح بها في ٢٠ شباط مـــن سنة ١٩٠٠ ، ولم يطل عهد بطريركيته لانه توفي في السنة ١٩٠٤ .

بولس صباغيان

وانتخب بعده البطريرك بولس صباغيان في ٤ آب من سنة ١٩٠٤ ، وبعد ان قدم دستور ايمانه للكرسي الرسولي ، أعلن تثبيته البابا بيوس العاشر (١٩٠٣ – ١٩١٤) في المجمع المقدس المنعقد في ١٤ تشرين الثاني من السنة نفسها . وقد اعتفى بملء رضاه من منصبه في سنة ١٩٠٩ .

بولس ترزيان

وخلفه البطريرك بولس ترزيان في ٢٣ نيسان سنة ١٩١٠ ، فثبته البابا بيوس العاشر في المجمع المقدس المنعقد في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩١١ ، وكان مقره في اسطمبول ، ولكنه لم يصادف من بعض رجال طائفته المساعدة التي كان ينتظرها لاتمام مشاريعه الصالحة ، فاضطر ايضاً الى اعتزال مهام الاعمال ، ولجأ الى رومية حيث وجد لدى الحبر الاعظم البابا بندكتوس الخامس عشر (١٩١٤ – ١٩٢٢) عزاءً وسلواناً .

وفي ايام البابا بيوس الحادي عشر (١٩٢٢ – ١٩٣٩) عقد احبار الارمن في رومية مجمعاً ، قرروا فيه تحرير البطريركية من سيطرة العلمانيين ، واتخاذ بيروت عاصمة لبنان مركزاً رسمياً لبطريركيتهم . فأثبت البابا بيوس الحادي عشر اعمال ذلك المجمع ، وجاء السيد ترزيان بيروت بعد ان قامت في لبنان حكومة جمهورية تعامل الاديان كلها على قدم المساواة ،

مؤدبة لرؤسائها الاحترام اللائق بمقامهم ، وسكن في الدار البطريركية المجاورة لكنيسة مار الياس خوكاز على طريق الشام .

وفي صيف ١٩٢٩ سافر الى رومية ، فهنأ البابا بيوس الحادي عشر بيوبيله الكهنوتي الذهبي ، وعاد في ٢٢ تشرين الاول من السنة نفسها .

ثم في السنة ١٩٣١ في اواخر ايلول ، اعتزل المنصب البطريركي وسافر الى رومية ليقضي فيها اواخر ايامه . وقد توفي هناك في آخر كانون الاول بعد وصوله ببضعة اشهر .

اوادیس اربیاریان

واجتمع المطارنة الارمن في بيروت في ٩ تشرين الاول من سنة ١٩٣١ ، وانتخبوا اوادیس اربیاریان بطريركاً ، ورفعت نتيجة الانتخاب الى الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر ، فأعلن تثبيت البطريرك الجديد في ١٦ من الشهر نفسه .

وفي السنة ١٩٣٣ سافر السيد اوادیس الى رومية ، وقابل الحبر الاعظم وتقبل من يده درع الرئاسة في ٢٠ اذار منها . وبعد عوده شيّد داراً للبطريركية على الطراز الحديث في محلة الاشرفية ، وفي حفلة تدشينها تلقى من الحبر الاعظم رقيماً من خطه الكريم أشاد فيه بمناقبه ، ذاكراً ما اتصف به من شجاعة في الدفاع عن حقوق الارمن ، ولاسيما في اثناء الحرب الكبرى . وقد توفي قبل ظهر الثلاثاء ٢٦ تشرين الاول من سنة ١٩٣٧ (مجموعة البشير سنة ١٩٣٧) .

غريغوريوس اغاجانيان

وخلفه صاحب النيافة الكردينال غريغوريوس اغاجانيان ، وهو من تلاميذ مدرسة نشر الايمان (البروباغندا) . انتخب بطريركاً في بيروت في ٣ تشرين الثاني من سنة ١٩٣٧ .

وفي كانون الثاني من سنة ١٩٣٨ زار رومية وقابل الحبر الاعظم

البابا بيوس الحادي عشر ، وتقبل من يده صك التثبيت ودرع الرئاسة في ١٣ من الشهر المذكور .

واراد الحبر الاعظم تقدير فضائل هذا البطريرك وعلمه وعطفه على الارمن ، فاستدعاه الى رومية ورقاه يوم الاثنين ١٨ شباط ١٩٤٦ الى الرتبة الكردينالية السامية ، وقدم له بيده الكرية القبعة الخاصة بهذه الرتبة خلال الحفلة المألوفة .

ومن علائق نيافة الكردينال اغاجانيان برومية اسفاره المتكررة اليها لزيارة الاعتاب الرسولية ، وللاعراب عن اخلاصه لابي المؤمنين .

منها سفره اليها في ت٢ من سنة ١٩٤٨ ، ليترأس عملاً برغبة الحبر الاعظم مؤتمراً كبيراً عُقد في بولونية من اعمال ايطالية الشمالية ، غايته البحث في اتحاد الكنائس .

وقد رفع باسم المؤتمر رسالة الى الحبر الروماني أعرب فيها عن رغبة المؤتمرين في ان يتحد المسيحيون قاطبةً ، وان لا يكون الا رعيةٌ واحدة لراعٍ واحد ، فأجاب قداسته ان تلك الاماني تتفق واماني بل هي اول اهداف عمله الرسولي .

وفي سنة ١٩٥١ سافر نيافته الى رومية وحضر فيها احتفالات التطويب لبيوس العاشر ، ثم سافر ثانيةً فترأس المؤتمر القرباني الوطني في مدينة « اسيز » ، ودورة « اسبوع الدروس المقدسة » ، والقى محاضرة موضوعها « ايمان الكنيسة الشرقية في سر الافخارستيا » .

ولمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية الخامسة عشرة لمجمع خلقيدونية المسكوني المعقود سنة ٤٥١ ، لتحديد عقيدة الطبيعتين في المسيح ، حضر الاحتفال المذكور بناءً على طلب البابا ، واقام قداساً حبرياً في كنيسة القديس يوحنا لاتران في ١٤ ت١ ، ثم القى في جلسة ٢٤ منه محاضرةً عن المجمع المذكور نالت اعجاب سامعيها .

وحين خلا المنصب البابوي بوفاة البابا الاسبق بيوس الثاني عشر ،

واجتمع الكرادلة لانتخاب خلفه ، كان الكردينال اغاجانيان بين من لهجت الصحف والالسنة باحتمال اجماع الكلمة على انتخابه لمقام البابوية السامي وذلك بالنسبة الى توافر مؤهلاته ومزاياه ، رغم انه شرقي .

وفي العام الفائت ١٩٦٢ عينه البابا يوحنا الثالث والعشرون رئيساً لمجمع نشر الايمان المقدس ، وان اسناد مثل هذا المقام الرفيع اليه ، لمدعاة فخر واعتزاز لا لطائفته الارمنية وحدها فحسب بل لابناء الشرق عامة من مختلف الطوائف والنزعات .

اغناطيوس بطرس باطانيان السادس عشر البطريرك الحالي

ويسير صاحب الغبطة اغناطيوس بطرس باطانيان السادس عشر البطريرك الحالي على خطى اسلافه الاجلاء ، في تعلقه برومية وحبه للبابا وتمسكه بالكثلكة وسعيه بتوطيد دعائمها في جميع ارجاء بطريركيته .

ولد اعزه الله في ماردين من اعمال تركية في ١٥ شباط من سنة ١٨٩٩ ، وحصَّل دروسه الابتدائية في مدارس وطنه .

في اكليريكية اسطنبول :

وبعد ان ترعرع رآه والداه يميل الى الحياة الفضلى فعملا على ادخاله اكليريكية القديس لويس الصغيرة التابعة للآباء الكبوشيين في اسطنبول ، فحصل فيها دروسه الثانوية مع بعض علوم اعدادية للدرجات المقدسة ، التي كان يؤهب نفسه لارتقائها في قابل ايامه .

في رومية العظمى :

وبعد ان اجتاز صفوف هذه الاكليريكية بنجاح ، انتقل منها الى الاكليريكية التابعة للمدرسة الارمنية الكبرى في رومية العظمى .

ومنها انتقل باهتمام رؤسائه الى مدرسة البروباغندا « نشر الايمان » ، حيث ظهرت مؤهلاته ، ولم يلبث ان نال فيها بتفوق شهادتي « دكتوراه » الواحدة في الفلسفة والثانية في اللاهوت .

الكاهن :

وفي ٢٩ حزيران من سنة ١٩٢١ ، رُقّي في رومية الى درجة الكهنوت المقدسة ، وعلى الاثر ارسل الى الابرشية الارمنية الكبرى في الاسكندرية من اعمال مصر ، ليتولى فيها مهام الوعظ والارشاد ورعاية النفوس .

وفي عام ١٩٢٩ نقل الى كرسي اسقفية ماردين في بغداد ، وعهد اليه في تنظيم شؤون هذا الكرسي الجديد ، تحت اشراف وليّه رئيس اساقفة الابرشية .

انتخابه مطراناً :

وفي ٥ آب من سنة ١٩٣١ ، انتخب مطراناً لابرشية ماردين ، وجرت حفلة تسقيفه في بيروت بتاريخ ٢١ تشرين الاول من تلك السنة بكثير من الحفاوة والتقدير لمواهبه والاعظام لما كان يعلق عليه من آمال .

نائب بطريركي عام لابرشية بيروت :

وفي تشرين الاول من سنة ١٩٣٨ ، استدعاه سلفه في البطريركية صاحب السيادة الكردينال اغاجانيان ، وعهد اليه في ان يتولى مهام نائب بطريركي عام بالوكالة لابرشية بيروت . ولم يلبث في عام ١٩٤٠ ان ثبت في هذا المنصب وجعل نائباً بطريركياً عاماً اصيلاً لهذه الابرشية ، وذلك لما ابداه فيه من حنكة ومقدرة وحسن ادارة .

مطران حلب وكولونيا وعوده لتولي شؤون البطريركية :

وفي ٦ كانون الاول من سنة ١٩٥٢ ، عين مطراناً لابرشية حلب على ان يظل محتفظاً بمهام النيابة البطريركية العامة لابرشية بيروت .

ثم في ٢٥ نيسان من سنة ١٩٥٩ ، اسندت اليه مهمة الرئاسة على ابرشية كولونيا من اعمال ارمينية ، ولكن لم يلبث ان اعيد نهائياً الى بيروت ليدير فيها شؤون البطريركية الارمنية الكاثوليكية نيابة عن صاحب

النيافة الكردينال غريغوريوس بطرس الخامس اغاجانيان ، بعد ان عينه الكرسي الرسولي رئيساً لمجمع نشر الايمان ، واضطر بسبب ذلك الى الاقامة الدائمة في رومية العظمى .

بطريرك قيليقية :

وفي اوائل آب من سنة ١٩٦٢ ، تم انتخابه بطريركاً لطائفة الارمن الكاثوليك خلفاً لصاحب النيافة الكردينال اغاجانيان .

وما هو ان طير نبأ انتخابه الى البابا الراحل الطيب الاثر يوحنا الثالث والعشرين ، حتى وجه اليه برقية تهنئة ابوية طافحة بعواطف الحب والتقدير هذه ترجمتها :

الى الاخ المحترم اغناطيوس بطرس السادس عشر باطانيان بطريرك قيليقية على الارمن الكاثوليك – بيروت .

وصلتنا البشرى الطيبة بانتخابكم بطريركاً لقيليقية على الارمن ، فتلقيناها بكل سرور ، وبادرنا الى اغتنام هذه الفرصة للاعراب لكم عن تمنياتنا القلبية الحارة ، والدعاء الى الله بان يكون اضطلاعكم بهذه المهمة الراعوية الجديدة مؤيداً بنعم سماوية مختارة ، ومخصباً بثمار روحية وافرة ، مستمطرين عليكم اغزر البركات المرفقة برعاية ومعونة السيدة العذراء مريم المجيدة . هذا وعربوناً لما نكنه لكم من عطف ، وحب ، وتقدير ، نمنحكم من صميم الفؤاد ايها الاخ المحترم انت ومصف مجمعكم الاسقفي وعامة الاكليروس والشعب المنتمين الى بطريركيتكم الارمنية العزيزة ، بركتنا الرسولية الملتمسة تكراراً .

البابا يوحنا الثالث والعشرون

حفلة التوبيج :

وقبل ظهر الاحد التالي اقيمت في الكاتدرائية الارمنية بساحة الدباس ، حفلة تويبج غبطته ، فغصت الكاتدرائية بالجماهير ، يتقدمها كبار الشخصيات الدينية والمدنية والسياسية ، وكان في مقدمة الحاضرين رئيس مجلس الوزراء الاستاذ رشيد كرامه ، ممثلاً رئيس الجمهورية ، وعدد من الوزراء والنواب واعضاء السلك السياسي .

في المجمع المسكوني :

وفي تشرين ١٩٦٢ سافر صاحب الغبطة ترافقه حاشية من كبار موظفي بطريركيته الى رومية العظمى لحضور المجمع المسكوني المقدس ، وهناك حظي بمقابلة ابي المؤمنين وتقبّل منه براءة التثبيت ودرع الرئاسة (الباليوم) ، ولم يلبث ان عين مع غيره من البطاركة الشرقيين في لجنة الكنائس الشرقية التابعة للمجمع .

هذا وقد قرأنا اخيراً في الصحف ان الحكومة الايطالية اهدت اليه اكبر اوسمتها ، وهذا يدل على ان له في الاوساط الدولية مقاماً رفيعاً مثل ما له من ذلك في الاوساط الدينية والشعبية .

زاده الله سؤدداً وامدّ بحياته !

١١

علاقات البابا بالارثوذكس

البابا يحب الشرقيين

للبابوات عطف خاص على الشرقيين من مختلف الطوائف والمعتقدات. وكثيراً ما قدموا ويقدمون الادلة المحسوسة على هذا العطف، في ما كانوا وما زالوا يبذلونه امس واليوم من مساعدات ادبية ومادية، لترقية ابناء الشرق وتحسين حالهم من الوجهتين الادبية والاجتماعية، خصوصاً بعد ان ابتعدت عنهم بعض الطوائف المسيحية بالانفصال المشؤوم.

ومعلوم ان هذا الانفصال يعود تاريخه الى اواخر القرن التاسع. فقد هبت يومئذ على الشرق عواصف المحن، وتوالت عليه الدواهي، وباعدت بينه وبين الغرب، مفرقة بين الأخ واخيه، منزلة بالوحدة المسيحية ضربة موجعة، ما زالت الكنيسة المقدسة تتحمل آثارها حتى اليوم.

ومن ذلك الحين نشط الاحبار الاعظمون الى لأم الصدع والعمل المتواصل على تلافي التفرقة وجمع الشمل، متوسلين الى ذلك تارة بالنصح والاقناع، وطوراً بالتذكير بما يجب ان يكون بين الاخوة من روابط التحاب والتعاطف، معربين في كل سانحة عما يكنون لهم من حب، ويريدون من خير، ويضمرون من رغبة في ان تظل هذه الجماعات الشرقية محتفظة بتراث مجدها العريق، وان تضيف آناً بعد آن الى ما عندها من سحر تاريخي فتان، كل جديد مستحدث من كشوف الرقي والحضارة والعرفان.

ومن راجع اعمال هؤلاء الاحبار من صدر الانفصال حتى اليوم في

سبيل الشرق والشرقيين ، رأى فيها آثاراً خالدة لما لهم علينا من اياد غرّ يستحقون عليها كل شكر .

ولعل تلك الايادي هي التي اهابت بجانب كبير ممن كانوا منهم قد ابتعدوا عن حظيرة الوحدة الى العود اليها ، وها انهم من كل طقس يؤلفون البطريركيات الزاهرة المطردة النمو والتقدم ، والبابوات لا يحصرون عنايتهم بهم وحدهم ، ولكنهم يشملون بها اولئك الذين ما زالوا متخلفين عن الارتباط بهم بوحدة العقيدة ، مجاهرين للملأ انهم المسيحيين عامة من كل طائفة وفي كل بلاد ، كما في الغرب كذلك في الشرق .

ويطيب لنا بهذه المناسبة ان نذكر كلمة وجهها الطيب الاثر البابا بيوس الحادي عشر الى المثلث الرحمة البطريرك تزيان الارمني الكاثوليكي ، في اثناء مثول هذا الاخير لديه بتاريخ ١٩٢٩ ، لانها احسن صورة تمثل حب الاحبار الاعظمين للشرق والشرقيين عامة على اختلاف المعتقدات والمذاهب ، قال البابا المذكور : « اذهبوا وقولوا لسائر اخوتكم الشرقيين من مختلف الطوائف ، ان البابا يحبهم ويريد رقيهم وخيرهم ويشتهي من كل قلبه ان تعود بلادهم الى سابق مجدها . وليثقوا بأنهم في قلب البابا وان قلب البابا لهم ، لا ينبض الا بحبهم ولا يختلج الا بالرغبة في ما فيه هناؤهم وسعادتهم » .

البابا يخص بحبه الارثوذكس

ويحيط البابا الطوائف الارثوذكسية برعاية خاصة ، لما هو معروف من ان الانفصال المحزن كان في اول امره سياسياً اكثر منه دينياً ، ولان كثيرين من اخواننا الارثوذكس يجرون في تشبثهم بالانفصال عن الكنيسة على ما توارثوه عن آبائهم بكل سلامة قلب وصفاء نية . ولطالما رأينا البابوات يواصلون السعي المتواصل في سبيل الاتحاد ، حتى لا تكون الكنيسة الا كما شاء السيد المسيح : « رعية واحدة لراع واحد » ، وعلى ذلك رأيناهم ، الفينة بعد الفينة ، يرسلون النداءات الابوية تكراراً الى زعماء هذه الطوائف الشقيقة ، متوسلين اليهم ان يبادروا الى حضور المجامع

المسكونية والخصوصية ، لبحث الخلاف ووقفه ، وازالة سوء التفاهم ومحو ما ولدته في النفوس بعض المآرب البشرية .

ما جرى في المجمع الفلورنتيني

ومن اخص ما قام به الاحبار الاعظمون من المساعي في هذا السبيل ازاء اخواننا الارثوذكس ، الدعوة التي وجهها البابا اوجين الرابع (١٤٣١ - ١٤٤٧) الى امبراطور بيزنطية يوحنا باليولوغ ، وبطاركة الروم الاربعة ، لحضور مجمع عام عُقد في فرّاري ثم في فلورنسة في عامَي ١٤٣٨ و ١٤٣٩ ، فلبّوا الدعوة ، واتخذ المجمع قراراً بالاتحاد مع الروم خاصة ، ومع سائر الكنائس المنفصلة الاخرى من يعاقبة وكلدان واقباط ويونان بوجه عام .

وقد وضعت وثيقة الاتحاد فوقّعها الامبراطور وممثلو السلطات الرومية واللاتينية ، وصرّح اساقفة الروم واللاتين الذين حضروا المجمع بالموافقة عليها ، واذاع البابا بشأنها رسالة عامة ضمّنها تحديد المجمع ، وقد بدأها بالعبارات المؤثرة التالية :

« لتبتهج السماوات ولتفرح الارض ! لأن الحاجز الذي كان يفصل الكنيستين الشرقية والغربية قد سقط ، وأعيد السلام والاتفاق ، وذلك ان حجر الزاوية الذي هو المسيح جعل الكنيستين كنيسة واحدة ، جامعاً بصلة لا تنفصم من المحبة والسلام بين الجدارين ، وحافظاً اياهما بوثائق الوحدة الدائمة ! » [1] .

البابوات يواصلون مساعيهم في سبيل الاتحاد

اجل ان الاتحاد الذي اتفق عليه في ذلك المجمع مُني بالفشل باستغواء

---

(١) راجع مقالاً للمؤلف في جريدة البشير عدد ٧٧٢٤ تاريخ ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٧ عنوانه : كيف تم الاتحاد بين الروم واللاتين في المجمع الفلورنتيني .

اسقف من الروم هو مرقس الافسسي ، ولكن البابوات ما لبثوا بعد اوجين الرابع يواصلون المساعي في سبيل العود الى التفاهم ، ونحن لا نعدّد كل ما بذلوه من جهد في هذا السبيل ، بل نقتصر على ما أتوه فقط لاجل تحقيق هذه الرغبة في الآونة الاخيرة :

١ - دعوة الارثوذكس لحضور المجمع الفاتيكاني

لما ارتقى البابا بيوس التاسع السدة الرسولية سنة ١٨٤٦ ، ونادى بعقد المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٦٩ ، أوفد رسالة مع مندوب بابوي خاص الى بطاركة الروم الاربعة ، ناشدهم فيها بالرب يسوع أن يقبلوا على هذا المجمع للتفاهم بروح الاخلاص والمحبة المسيحية . ولكن القيصر الروسي المالك يومئذ ظن ان الاتحاد سيضعف من سلطته الروحية على ابناء مذهبه ، فهب لمعاكسة رغبات البابا ، ومع ذلك عقد المجمع في رومية . وبينا كان الآباء يدرسون وينقّبون ويصدرون القرارات ، اكفهر جوّ اوروبة وتلبدت فيها غيوم الخصومات ، ونشبت بين المانية وفرنسة حرب اضطرت هذه الاخيرة الى سحب جنودها من الفاتيكان . وعندئذ اغتنمت ايطالية هذه الفرصة ، ونازعت البابا على ممتلكاته ، ووضعت يدها على رومية ، فألجىء البابا الى وقف اعمال المجمع وتسريح آبائه قبل ان ينجزوا ما عهد اليهم من درسه .

٢ - النظر في اسباب التباعد

وخلفه لاون الثالث عشر سنة ١٨٧٨ ، وجرى على خطة سلفائه في محبة الارثوذكس ، وبعث اليهم برسالة عامة دعاهم فيها الى النظر في اسباب التباعد والعمل على ازالتها ، معرباً في كل سطر من سطورها عن عنايته بالارثوذكس واحترامه للشرق والشرقيين .

٣ - فرض الصلوات لاجل الاتحاد

وفي سنة ١٩٠٣ ارتقى الى العرش الروماني البابا بيوس العاشر ، ولم

ينقل عن سالفه محبة للارثوذكس ، فاصدر امراً بالصلاة ليكون المسيحيون في ايامه واحداً ، ومهد لذلك السبيل بتشجيعه الجامعات والكليات الكاثوليكية ، على تلقين طلبتها العلوم ذات العلاقة بالكنيسة الارثوذكسية .

٤ – استقلال الكنائس الشرقية وجامعة لدروسها في رومية

وقام بعده البابا بندكتوس الخامس عشر سنة ١٩١٤ ، فأحبّ الارثوذكس والشرق حباً جماً ، واصدر أمره بان تكون الكنائس الشرقية مستقلة بادارتها عن الكنائس الغربية . وفي احرج الاوقات شيّد في رومية جامعة كبرى للدروس الشرقية ، غايتها التعاون والتحابّ بين الارثوذكس والكاثوليك ، فضلاً عما اتاه من المساعدات لروسية الارثوذكسية في سنة ١٩٢١ .

٥ – البابا يساعد روسية في محنتها

وفي سنة ١٩٢٢ جلس على العرش البطرسي البابا بيوس الحادي عشر ، فانفذ اللجان الى روسية تحمل الملايين من الليرات لانقاذ ارثوذكسها من مخالب الجوع ، ووجه اليها الاطباء والعلاجات والملابس ، فضلاً عن دعوته الارثوذكس الى عقد مجمع ينظر في امر الوحدة ، ولكنه اصطدم يومئذٍ بالرفض من قبلهم .

٦ – براءة بيوس الثاني عشر

وحين ارتقى الى السدة الحبرية البابا بيوس الثاني عشر ، اصدر براءة عامة دعا فيها المسيحيين قاطبة الى الصلاة لاجل الاتحاد بين الارثوذكس والكاثوليك ، والى اقامة التذكارات القرنية للمجمع الفلورنتيني الذي تم فيه الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية ، وعملاً بدعوته تلك اقيمت الصلوات والاحتفالات في بيروت ، وما زالت تقام فيها في كل عام ، وفي كل مرة تقابل بالابتهاج وينجم عنها منافع جلّى حتى في الاوساط الارثوذكسية نفسها.

في المجمع المسكوني الحالي

وحين عقد المجمع المسكوني الثاني الحالي في تشرين الاول ١٩٦٢ دعي اخواننا الارثوذكس اليه ، فلم يحضره منهم الا ممثلون عن بطريركية موسكو ، ونجم تخلف الآخرين عن ترابط عقد فيما بينهم على ان لا يذهبوا الى المجمع الا بالاتفاق الشامل ، حفاظاً على وحدة الصف الارثوذكسي ، على انهم جميعاً اظهروا مزيد الارتياح لانعقاد المجمع المذكور ، وباركوا اهدافه ولاسيما ما يدور فيه من مباحث حول عودة المسيحيين الى الوحدة .

وفي بيروت سمعنا شخصيات ارثوذكسية محترمة تستنكر احجام رؤسائها عن حضور المجمع ، وتتمنى لو قررت حضوره في مراحله الباقية ، علّ الله يلهم حاضريه بعد تبادل النقاش ، وضع حد للانفصال المشؤوم والعود الى جاه الوحدة ، والتعايش الاخوي بين الكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية .

نسأل الله من صميم القلب ان يمن بعودة الكنيستين الى الاتحاد ، لتفرح باتحادهما السماوات والارض ، كما قال البابا اوجين الرابع في مستهل منشوره التاريخي الخالد الآنف ذكره . حقق الله الآمال !

رسالة روم طرابلس الى البابا

ومن العلاقات التاريخية المأثورة بين الروم الارثوذكس اللبنانيين والكرسي البابوي ، رسالة انفذها وجهاء هذه الطائفة في طرابلس في ٢٦ ايلول من سنة ١٥٨٤ ، الى قداسة البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ — ١٥٨٥) ، مع الاسقف دون لاونردو ، الذي كان البابا الآنف الذكر قد وجهه الى الشرق برفقة ابوين يسوعيين ، ليزور الروم واليعاقبة والارمن ، ويجتهد في حملهم على الاتحاد مع الكنيسة الرومانية .

ويظهر ان هذا الاسقف زار طرابلس وكاشف الروم الارثوذكس فيها بمهمته ، فحمّلوه الى البابا هذه الرسالة المفصحة عن ميل الروم الارثوذكس

الى وحدة الايمان والاتصال بالكرسي الرسولي . وقد نشر هذه الرسالة الاب انطون رباط اليسوعي لاول مرة في مجلة المشرق (٩ : ٣٥٧) ، ونحن نلخصها هنا لما فيها من الملاءمة لموضوعنا ، وفي الوقت نفسه نحيل المطالع على تصفحها برمتها في المصدر الذي اخذناها عنه . وهذا ما عنّ لنا تلخيصه منها :

« الى حضرت ابي الاباء ورئيس الرؤساء وراعي الرعاة الاب الاقدس ، والاناء المقدس ، الاب البابا السيد اغريغوريس الثالث عشر ، باسمه المقدس خادم كرسي بطرس الرسول . ادام الله رئاسته وثبت كرسي قداسته آمين » .

وبعد ان يفتتح الكاتب الرسالة « بتقبيل الارض بين اليدين الطاهرة ، والقدمين الفاخرة ، ويطرح مطانيات عدة القدس الاب الالهاني ، والفاضل الروحاني ، حجر الماس ، الخالي من الادناس ، تاج بني المعمودية ، وفخر الملة المسيحية ، خلف بطرس الرسول السيد البابا الروماني الخ ... » يبين الغاية من الرسالة فيقول ما نصه :

« التلميذ ينهي ان موجب التجاسر بها على محل قدسه اولاً كثرة الشوق ومزيد التوق ... والذي يطالع به قدس سيدنا هو ان ... ابينا وسيدنا كير دون ناردو خبرنا عن جميع احسان قدسكم وحنوكم ومراحمكم ، والخير الذي تفعلوه مع سائر الطوائف المسيحيين ، وبالاكثر لطائفتنا عبيدك الملكية (كان اسم « الملكية » عهدئذ عاماً لطائفة الروم) وحمدنا الله تعالى على ما انعم علينا في زماننا هذا ببركة قدسك ورأفتك على سائر الشعب المسيحي . وبعده سافر من عندنا الاب السيد كير دوناردو المشار اليه من طرابلس الى حلب ، ثم رجع الى مدينة الشام ، واجتمع مع سيدنا وبطركنا كير يواكيم البطريرك الانطاكي ، بطريرك الملكية في قرية من قرا الشام تدعى عيثا ، واتفق معه انه يجتمع عندنا في طرابلس في بيت الحقير تلميذكم . وكان الاتفاق بين سيدنا البطريرك يواكيم وبين كير دوناردو ان يكون تمام المحبة والطاعة الى الكرسي البطرسي الروماني على ما رتبوه الآباء القديسين الثلاثمائة وثمان عشر في مدينة نيقية ، وايضاً على ما رتبوه الآباء القديسين في مدينة فرنسيا (يريد فلورنسا حيث التأم المجمع الفلورنتيني وتقرر فيه الاتحاد بين الروم واللاتين) وعلى ان الاتحـــاد يكون واحد ، والامانة واحدة ، وهي الامانة المستقيمة الكاثوليكية الارثوذكسية تكون واحدة والمحبة واحدة ، وايضاً خبّرونا عن سبب القاعدة الجديدة التي صارت في كنيسة روما المقدسة ، وهي قاعدة الاعياد والمواسم تكون عند جميع الطوائف » (يريد بها الحساب الغريغوري المنسوب الى البابا غريغوريوس الثالث عشر) .

« ولكن ما تمّ نصيب في الاجتماع في هذه المدة لكون ان سيدنا البطريرك كير يواكيم صار عليه قرض كثير وخصر خصائر (خسائر) كثير ، والدّين مبلغ له صورة وليس له قدرة على وفاء دينه ، وخشي من اصحاب الديون لا يحبسوه ، فما قدر يحضر الى طرابلس ، فنزل في البحر وسافر الى مدينة القسطنطينية ، يشكي حالته وضرورته الى اخوته الاساقفة والاواخنة

والكهنة ، لعل يجمعوا له شيء يوفي به دينه . وعن قريب ان شاء الله تعالى يحضر الى عندنا ونتكلم معه وتتم ما في خاطركم وما رسمتم به » .

واخيراً يصف كاتب الرسالة موقف الروم الارثوذكس في طرابلس من قاصد البابا دون لاونردو فيقول :

« والمشار اليه فيما رسمتم به كل يوم يحضر الى عندنا ونروح الى عنده ، ولا له فكر ولا شغل عندنا ، وعند المطارنة والاساقفة والكهنة الذي لنا ، الا تكميل الاتفاق والمحبة في استقامة الامانة الارثوذكسية الكاثوليكية ، وهو داعي لقدسكم وعبتكم وعنده العطف والمحبة والقداسة والاستقامة وحافظاً لاوامركم » .

ثم يختم الرسالة بالعبارات التالية :

« ونحن عبيد قدسكم سميعين مطيعين وخاضعين الى الكرسي البطرسي الرسولي والى قداستكم وبركتكم . ولاجل اشهاد وبرهنة هذه العبودية كتبنا هذه الاسطر الى حضرتكم ورقمنا خطوط ايدينا وختمنا حتى يطمئن خاطركم ولا تنسونا من صالح دعاكم » .

الخميس ٢٦ ايلول ١٥٨٤ مسيحية

واصحاب التواقيع بايجاز : وهبه كاتب الرسالة ، والذين حضروا تسطيرها : فرح وفضل‌الله وسليمان ابن تربيه ، ومخايل ويوحنا بن الياس النحوي ، ويوحنا بن نصرالله .

وهذا عنوان الرسالة :

« يصل ان شاء الله تعالى الى مدينة روما المعظمة المحروسة . يقدم الى حضرت قدس الاب المعظم والقديس المكرم ابينا وسيدنا البابا مار اغريغوس (كذا) الثالث عشر باسمه . ادام الرب الاله رياسته ويرحم ضعف التلميذ ببركات صلواته المقدسة ، آمين » .

رهبان من روم البلمند يكاتبون رومية

وهناك اثر آخر تاريخي يعود الى السنة ١٧٠٤ ، يدل على ان فريقاً من اخواننا الروم الارثوذكس في لبنان كانت قلوبهم مع رومية وقد سعوا في الاتصال بها . وهذا الاثر كتاب وجهه الى كرادلة المجمع المقدس لنشر الايمان خمسة رهبان من دير البلمند الواقع في اعمال الكورة ، عثر عليه المرحوم الخوري قسطنطين الباشا بين سجلات المجمع المذكور ، ونشره في المشرق (٢٨ : ٢١٥) ، وهذا نصه :

و الى حضرة الكرادلة اصحاب مجمع انتشار الايمان المقدس .

... نعرض لجلالتكم البهية اننا نحن عبيدكم مقدار خمسة انفار من ملة الروم العرب ، رهبان من طريقة القديس باسيليوس الكبير ، قد تربينا منذ صبانا في الديانة الكاثوليكية ، وخاضعين دائماً للحبر الاعظم الكلي قدسه ، الا اننا لم نجد في هذه الديرة اطلاق وعتق لتكميل السيرة لاجل خلاص النفس في مذهب الرهبانية ، لعدم تركين البلاد ولتسلط الامم عليها وعدم نظام احوال الاديرة والرهبان ، فاعرضنا حالنا على جلالتكم السنية حتى ان رحمتم تمنوا علينا وتأمرونا ان نحضر لعندكم لذلك الطرف ، ونلتمس فضلكم بأن تمنوا علينا من احسان الكنيسة المقدسة بمكان صغير نتأوى فيه وحدنا داخل رومية او خارجها ، وتتصدقوا علينا هناك بالقوت الضروري وثوب الزهد لكفاف الجسد ، حتى نخدم الله تعالى بمكنتنا على قدر الامكان وندعي لجلالتكم السامية البهية » .

سطر في دير البلمند من اعمال الكورة طرابلس في اول تشرين الثاني سنة ١٧٠٤ .

عبدكم الحقير	عبدكم الحقير	عبدكم الحقير
مكاريوس الكاهن	**نصرالله الكاهن**	**حنانيا الكاهن**
في الرهبان	في الرهبان	في الرهبان
عبدكم الحقير	عبدكم الحقير	
جرمانوس الكاهن	**جرجس الشماس**	
في الرهبان	في الرهبان	

علاقات الولاء بين الروم والكاثوليك في هذا العصر

ولكي نبين ما في لبنان لهذا العصر بين الروم والكاثوليك من علاقات ولاء وثيقة ، رأينا ان ننشر لفريق من ادباء الروم بعض مقاطع من مقالات لهم كتبوها في بعض المناسبات .

منها مقال كتبه الاديب الارثوذكسي الكبير المرحوم جرجي نقولا باز في احدى صحف بيروت يوم انتخب البابا يوحنا الثالث والعشرون . قال رحمه الله تحت عنوان : « بابانا اللبناني » :

تهلل الناس ، في جميع العالم ، لانتخاب قداسة البابا جان الثالث والعشرين . من يومين .

فكيف بنا نحن اللبنانيين ، المغمورين بعطفه . هنا ، وهنالك . وفي اية بقعة من بقاع الله .

من اولى منا بهذا الطرب ؟
تلبثن قداسته ، حباً بنا ، وتعزيزاً لنا ، وتمجيداً لأرزنا .
شرف لبناننا ، زائراً ، ثلاث مرات في خمسين عاماً
شرفنا ، كاهناً ، منسنيوراً ، كاردينالاً ، مرؤوساً ، رئيساً .
سنة ١٩٠٦ في مجيئه من عاصمة الكثلكة الى اورشليم ، حاجاً ، في اواخر ايلول .
عام ١٩٣٩ آتياً من القسطنطينية وهو القاصد الرسولي في تركيا : للاشتراك مع الكردينال تيسران في المؤتمر القرباني . في بيروتنا . في اوائل حزيران .
في تشرين الاول ١٩٥٤ ، من اربعة اعوام ، شرفنا رئيساً للمؤتمر المريمي في لبنان .
نزل هنا عندنا في « قصر الضيافة » كما اسموه يومئذ مؤقتاً .
صرح يوسف سرسق عميد البلد من خمسين سنة .
دار توليد الدكتور جوزف فغالي من قبل عشر سنين .
الى يساره مكتب جريدة « البيرق » العزيزة ، مستمداً بركاته اياماً .
تلبثن حينئذ قداسة حبرنا الاعظم ، فضلاً منه . وتكريماً لنا .
متنازلاً من لطفه ، عن ايطاليته ، ولو فترة ، لجبر خواطرنا وتعزيزنا .
ما اجمل . وما احلى . وما اعذب نغمة قداسته .
عندما قال في خطابه الرنان ، مفتتحاً مهرجان المؤتمر المريمي في لبنان في ٢٠ تشرين الاول ١٩٥٤ .
على سمع الالوف من الناس . وهو الايطالي الصميم :
اني من لبنان .
من حظنا تقبيله يد بطريركنا اللبناني ، عريضتنا ، قديسنا .
تقلده وشاح ارزنا . ارفع اوسمتنا . من يد فخامة رئيس جمهوريتنا . شمعوننا ، حبيبنا .
من وافر حظنا انتسابه الينا .
يا لله ما اعظم قوله :
اني من لبنان !

رأي للدكتور اسد رستم

في كيف يتم الاتحاد بين الارثوذكس والكاثوليك

الدكتور اسد رستم المؤرخ الارثوذكسي المعروف ، وضع كتاباً في تاريخ الكنيسة الشرقية ، عنوانه : « كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى » ، وقد وضع له مقدمة هي بمثابة دعوة للوحدة بين الكنيستين الشقيقتين المنفصلتين الارثوذكسية والكاثوليكية ، من مختلف الطوائف ، عن طريق التفاهم الاخوي والمحبة المسيحية والصلاة عن قلب طاهر . وها نحن نقتطف من هذه المقدمة ما نراه متلائماً مع هذا الموضوع . قال الاستاذ المؤرخ :

واذا ما طلبنا لوحدة الصفوف ، فانما نفعل ذلك لاجل متابعة العمل في حقل الرب بعد جمود دام طويلاً .

ان حقل الرب واسع جداً يشمل العالم بأسره ، والعمل فيه لا يثمر الا اذا اقترن بظروف صالحة معينة .

واهم هذه الظروف التجدد الداخلي ، الذي يتحلى بانكار الذات ، وانكار الذات يبدأ باعتراف داخلي بالعيوب وعدم الوصول الى الكمال ، ويفرض تنازلاً حقيقياً عما نسميه كرامة شخصية ، وهو يطلب استعداداً للتعاون مع الآخرين في سبيل مبدأ عام صحيح كلي المفعول .

والمبادىء الادبية الروحية كثيرة لا يخلو منها فؤاد ، ولكن المقصود هنا تلك التي يعترف جمهور المؤمنين بصحتها ، وتوجب الكنيسة الجامعة تطبيقها .

واذا كان الشرقيون منا قد اخطأوا في مجرد التمادي في التأمل والتعبد والمحافظة على قدسية الايمان ، فالغربيون منا اخطأوا ايضاً في التشديد على نواحٍ معينة من العمل ، واعطائها الرتبة الاولى .

وهكذا فانه يحق للارثوذكسي الشرقي ان يفاخر بشدة حرصه على استقامة الايمان ، ولكنه ينسى في بعض الاحيان قول الرسول بولس : « ولو كانت لي النبوة وكنت اعلم جميع الاسرار والعلم كله ، ولو كان لي الايمان كله حتى لأنقل الجبال ، ولم تكن فيّ المحبة ، فلست بشيء » .

ويحق للكاثوليكي ان يفاخر بدوره باعماله الكثيرة ، ولكنه ينسى في بعض الاحيان قول هذا الرسول نفسه : « ولو بذلت جميع اموالي احساناً ، ولو اسلمت جسدي لاحرق ، ولم تكن فيّ المحبة ، فلا انتفع شيئاً » . والواقع ان عيب الكاثوليكيين والارثوذكسيين كان ولا يزال ، منذ الانشقاق ، اغفال المحبة .

لقد ازمن الداء وتعسر برؤه. لكنه ليس من النوع الذي لا ينجع فيه دواء .

ورأينا ان نبتعد عن سياسة القسر والاكراه وان نقلع عن التشويق الى طقس معين ، ارثوذكسياً كان ام كاثوليكياً . فكنيسة المسيح غربية وشرقية في آن واحد . ويجب ان تظل هكذا ، لان السيد المخلص اله كامل في انسان كامل .

واذا تمت هذه المهادنة بيسوع ، وله تابعنا الصلاة المخلصة الحارة : « من اجل ثبات كنائس الله المقدسة واتحاد الجميع » ، زال من نفوسنا مركب الشقاق والانشقاق ، وحل محله مركب المحبة . وعندئذ نجلس معاً ونتبادل الرأي بالهام الروح القدس ، الى ما فيه مشيئة الله وخير البشرية .

القلوب بدأت تتحد

اجتماع فريد في نوعه من مختلف الطوائف المسيحية في الاسكندرية

ويبدو ان المساعي المختلفة في سبيل الوحدة المسيحية بدأت تعطي ثمارها ، واخذ المسيحيون في مختلف الانحاء يشعرون بوجوب اتحادهم قلباً وقالباً . ففي ١٢ شباط من عام ١٩٥٩ ، عقد لاول مرة في مدينة الاسكندرية اجتماع فريد في نوعه ضمّ مختلف الطوائف المسيحية من كاثوليكية وارثوذكسية ، في صلاة شاملة ومواعظ حول اتحاد الكنائس ، يرجى ان يكون فاتحة عهد جديد وسابقة يتمثل بها الآتون . وها نحن ننشر وصفاً لهذا الاجتماع نشرته مجلة الرسالة المخلصية في عدد آذار من السنة السادسة والعشرين صفحة ٢٣٩ ، بقلم الوكيل البطريركي في الاسكندرية للروم الكاثوليك الارشمندريت يوسف الطويل ، وهذا ملخص ما جاء فيه :

كان هذا الاجتماع ثمرة الاجتماعات الشهرية التي يعقدها بانتظام رؤساء الطوائف المسيحية . انقضى تقريباً ثلاثة اشهر ونحن نعد الاجتماع في نطاق اسبوع الصلاة لاجل اتحاد الكنائس . وقد وافق عليه سيادة المطران كايه وايده سيادة السفير البابوي .

عقدت النية في ابتداء الامر ان يكون الاجتماع في الكنيسة المرقسية للاقباط الارثوذكس ، ولكن اخواننا تمنعوا بسبب عدم وجود بطريرك يتخذ المسؤولية ، فتحول الى كنيسة البشارة للروم الارثوذكس ، بعد اخذ موافقة غبطة السيد البطريرك خريستوفورس .

وتم وضع البرنامج بحيث يكون الاحتفال للصلاة ولالقاء المواعظ الروحية في الوحدة المسيحية وبالتراتيل الكنسية المناسبة لكل طقس . وعقد الاجتماع يوم الخميس الموافق ١٢ شباط ، فامتلأت الكنيسة حتى لم يبقَ موضع لقدم ، وقدّر الجمهور بحوالي ١٥٠٠الى ٢٠٠٠ شخص . وحضر الاجتماع كل رؤساء الطوائف من كاثوليكية وارثوذكسية (يونانية وقبطية وارمنية) وبروتستانية . وكان على رأس الارثوذكس غبطة السيد البطريرك خريستوفورس يحيط به جميع اعضاء اكليروسه ، وعلى رأس الكاثوليك سيادة المطران كايه ثم باقي رؤساء الطوائف .

وقدّر عدد رجال الاكليروس الجالسين في صحن الكنيسة بحوالي مئة كاهن و٤٠ راهباً من الفرير وراهبات ايضاً ، وقدّم الاحتفال بأربع لغات الى الجمهور باليونانية والعربية والارمنية والفرنسية ، واستهل بقراءة الانجيل من يوحنا فصل ١٧ الدائر على الوحدة ، وقد قسم الى اقسام وقرأ كل قسم احد مندوبي الطوائف وهو لابس البطرشيل ، فكان الترتيب كما يلي : باللغات القبطية والعربية والارمنية واليونانية والفرنسية .

وتلا قراءة الاناجيل القاء المواعظ كل مندوب عن كنيسته .

وبعدها وقف الجميع صامتين دقيقة واحدة ، لتلاوة الصلاة الربية بصوت جهوري كل بلغته الخاصة .

ثم تقدم صاحب السيادة المطران كايه وحيا غبطته وتلاه رؤساء الطوائف .

وانفرط عقد الاجتماع بعد ان استغرق حوالي ساعتين ، وكان الناس من كل

الطقوس والمذاهب متأثرين للغاية ، يبادل بعضهم التحية كما لو كان عيد الفصح.

فكان لهذا الاجتماع الرائع الاول من نوعه الذي ضم الطوائف كلها ، اثر بليغ في النفوس ، واصبح موضوع الحديث في الاسكندرية وعلّقت عليه الصحف المصرية باسهاب .

وكم نتمنى ان ينسج على منواله في مختلف المدن .

جمع الله القلوب وقرّب ايام الاتحاد !

انه سميع مجيب .

البطريرك الارثوذكسي المسكوني يؤيد الوحدة

حين زار صاحب الغبطة البطريرك المسكوني الارثوذكسي اثيناغوراس لبنان لزمن غير بعيد ، حدّثه بعضهم عن مسعى البابا في سبيل الوحدة المسيحية ، فأجاب ما يلي :

اني سأعمل اولاً في سبيل توحيد الكنائس الارثوذكسية من مختلف الطوائف ، فاذا نجحت في مسعاي ، دعوت الارثوذكس والكاثوليك الى لبنان ، عارضاً عليهم الاتحاد ، وآمل ان تلاقي دعوتي نجاحاً .

وفي حال نجاحها ندعو قداسة الحبر الاعظم ليأتي لبنان ويترأس الاحتفال بولادة هذا الحدث السعيد ، ويتولى عمادته بيده ، وفي اعتقادي ان قداسته سيكون سعيداً بزيارة هذه البلاد ، المعتبرة مهداً للنصرانية في الشرق .

وسأله سائل : لمن ستكون الرئاسة العامة على الكنيسة بعد الوحدة ؟

اجاب : بعد ان تحصل بيننا المساواة ، تكون الرئاسة لرومة بالطبع .

وختم حديثه قائلاً :

لاول مرة في تاريخ البطريركية المسكونية ، يغادر بطريركها اسطنبول سعياً وراء تحقيق الوحدة المسيحية .

وقد قصدت اولاً انطاكية لهذه الغاية ، ثم جئت سورية وحللت اخيراً في لبنان .

اللبنانيون يرحبون بغبطته

ولوحظ ان اللبنانيين ولاسيما الموارنة رحبوا كثيراً لاول مرة بغبطته ، فان عدداً من احبارهم اشتركوا في استقباله ، ورحب به السفير البابوي والبطريرك المعوشي ، وسأل الله ان يأخذ بيده لما فيه جمع الشمل .

الارثوذكس يؤيدون

وكان صاحب القداسة الحبر الاعظم قد نقل موضوع الوحدة من الحقل الاستشاري الى الحقل العملي ، وامر بان توزع المناشير يدعى فيها الاحبار ورجال الدين المسيحيين في العالم كله ، لابداء الرأي في المشاكل التي يحسبونها جديرة بالبحث في اجتماعات المجمع ، وبان تنتخب لجان ومستشارون من مختلف الجنسيات لدرس الشؤون الممكن معالجتها .

فكان ان علقت الاوساط الارثوذكسية على هذا العمل بما يبعث على الارتياح . قال المطران انطونيوس بشير رئيس اساقفة نيويورك الارثوذكسي : اني ارحب باقتراح البابا في ان يتحد المسيحيون في كنيسة واحدة ، واناصر هذه الحركة مناصرة تامة ، لأني اومن باخلاص قداسته ، واذا عمل جميع الرؤساء بمثل هذه الروح ، كنا على يقين بعود وحدة الكنيسة بعد اجل غير بعيد .

وقال الوزير الدكتور شارل مالك :

ان الدعوة التي وجهها الحبر الاعظم لعقد مجمع مسكوني ، تعتبر حدثاً هاماً في تاريخ الكنيسة .

ان كنيسة المسيح هي بالفعل واحدة ، كما جاء في قانون الايمان ، وهذه الكنيسة هي جسم المسيح الحي على الارض وفي السماء ، فلا يجوز ان تنقسم لحظة على نفسها وان يتناثر اجزاؤها بعضها عن بعض .

وختم قائلاً :

اذا كانت ارادة المسيح الرجوع قريباً الى وحدة الروح والايمان ، وشاركنا جميعاً قداسة البابا الحالي في مساعيه وابتهالاته من اجل الوحدة ، فاننا سنشهد في هذا الجيل اعظم حدث روحي منذ مئات السنين ،

يفوق في خطورته جميع ما مرّ به من احداث .

فطوبى لمن يصلي ويعمل باخلاص وصمت من اجل الوحدة ، وطوبى لقداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين ، اذا كان السيد المسيح قد اختاره ليحقق هذه الوحدة في عهده .

ومن مقال للسيد غسان التويني :

ان دعوة قداسة البابا الى مجمع مسكوني ، يعبّر عن حقيقة عميقة تتململ بها نفوس كل المسيحيين في هذا الشرق .

ولي في هذا الموضوع كلمة قد لا يكون في وسعي قولها وهي : لو كنت هنا امثل الكنيسة الارثوذكسية ، لطلبت باديء بدء العمل على حسم خلافات بيزنطية كلها ...

يجب على الذين يريدون الوحدة ان يعملوا في سبيلها ، لا ان يبحثوا موضوعها ويتناقشوا فيه ويتجادلوا .

يجب ان ينسى المؤمنون الماضي لا ان يتذاكروه ويذكروه ، يجب ان يحبوا بكل معنى المحبة لا ان يحقدوا او يحسدوا .

وصرّح البطريرك اثناغوراس في ليلة عيد الميلاد ، بعد عوده من لبنان الى اسطنبول :

اني لمناسبة هذا العيد السعيد ، ادعو الى اعادة وحدة الكنيسة ، وحسم جميع الخلافات الشكلية بين جميع الكنائس ، تاييداً لمسعى قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين لاجل الوحدة ، ونتيجة لهذا الشعور سيلبي جميع الارثوذكس دعوتي ، وسيحضرون المؤتمر المسكوني في رودس ، بشكل مجمع يضم رؤساء جميع الكنائس الارثوذكسية .

وختم اخيراً :

اني على اتصال مستمر مع قداسة البابا حول هذا الموضوع ، وسازور عاصمة الكثلكة بعد انجاز مؤتمر رودس ، مصحوباً بنتائج المباحث بغية التداول فيها مع صاحب القداسة .

فعسى ان يسفر ذلك عن اتحاد الروم والكاثوليك ، وان تتم المعجزة في ايامنا فتكون اعظم المعجزات التي وقعت منذ صدر النصرانية حتى اليوم .

١٢

علاقات البابا بالمسلمين

اهتمّ الاحبار الاعظمون ، ولا سيما في هذه الآونة الاخيرة ، في ان تكون لهم صلات ولاء وتفاهم مع ملوك الدول الاسلامية ورؤسائها وكبار رجالاتها .

ولطالما رأيناهم يبادلونهم الهدايا والرسائل ، ويستقبلون المتوافدين منهم لزيارتهم في قصر الفاتيكان بكثير من الحفاوة والمحبة ، معربين لهم عن رغبتهم في ان يعيش معهم المسيحيون في هذا الشرق ، بالصفاء والمودة والتعاون في مواقفهم الوطنية على قدم المساواة والعدالة .

ومن حسن الحظ اخذت الهيآت الاسلامية في مختلف الاقطار ، تعرف ما للبابا من قوة ادبية في المعمور يمكن لكل متقرب اليه ان يستفيد منها ، فجعلت ترتاح الى ما يقوم به رجالاتها من الاتصال به ، وما تتبادله دولها والفاتيكان من تمثيل سياسي ، يعود على البلدان الاسلامية بالنفع الجزيل .

ولدينا دلائل كثيرة على ما هناك من رغبة مشتركة في تبادل التقارب والتعاون بين البابوية والهيآت الاسلامية ، نذكر منها :

١ – منبر في رومية لتعليم الاصول الاسلامية

حين جدد البابا بيوس الحادي عشر في السنة الـ ١٩٢٦ المعهد العلمي الشرقي ، أمر بأن يضاف اليه منبر لتعليم الاصول الاسلامية ، قاصداً بذلك ان يوسع آفاق التعارف بين النصارى والمسلمين ، ويمكّن ما

بينهم من روابط الوئام التي تضم بعضهم الى بعض ، وقد قال قداسته عن هذا المشروع : « انه فتح جديد في هذا الشأن ، لم يسمع بمثله من قبل في الجامعات الرومانية » .

٢ - تمثال للبابا في اسطنبول

وعندما وقعت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ ، وعمّ الضيق بسببها ارجاء الشرق ، أمر البابا بندكتوس الخامس عشر بتوزيع الحسنات على المحتاجين فيه ، من مختلف الاديان ، وفيهم كثيرون من اخواننا المسلمين ، فخفف عن عائلات اسلامية كثيرة اعباء البؤس ، لذلك فكرت اسطنبول عاصمة الخلافة في تلك الايام ، بأن تقيم له بعد موته تمثالاً يخلد فضله العظيم على منكوبيها . وقد كان المسلمون في طليعة من قاموا بنصب ذلك الاثر في احدى ساحاتها .

٣ - البابا يوصي بالتعايش الاخوي بين المسلمين والنصارى

ولقد اكد لنا ثقات ان الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر كان كلما زاره وفد من نصارى هذه البلاد ، يوصيهم قبل كل شيء بأن يكونوا في حياتهم الاجتماعية مثلاً اعلى للاخلاص والوفاء والتسامح ، والعمل على العيش مع اخوانهم المسلمين ضمن نطاق الوئام والتفاهم ، الامر الذي لا بد منه لكل بلاد تنشد بقاء مجتمعها على اساس متين من الراحة والاستقرار ، كما انه كان يكرر لفت انظارهم الى وجوب التعاون مع سائر الطوائف التي تؤمن بالله واليوم الآخر ، وفي مقدمتها الطائفة الاسلامية ، وذلك لكي يؤلفوا معها جبهة قوية تحارب الالحاد المنتشر في هذا العصر ، وتقضي على المبادىء الاباحية التي تهدد الاديان والمتدينين بشر مستطير ، فكان لنصائحه هذه الغالية الصدى المستطاب في اذهان سامعيها .

٤ - تحالف اسلامي كاثوليكي

وحينما كان الحبر الاعظم السابق الطيب الاثر البابا يوحنا الثالث والعشرون

قاصداً رسولياً في اسطنبول ، تعرف الى كثيرين من كبار رجال الاسلام ، وسعى في تمكين اواصر الولاء بين الطائفتين . وبعد وصوله الى سدة الحبرية العظمى ، أمر بتاسيس منظمة عالمية واسعة النطاق ، غايتها ايجاد تحالف اسلامي كاثوليكي لمكافحة الشيوعية والالحاد ، يكون مقر رئاستها رومية ، ويطلق على هذا المقر اسم « المركز الشرقي الغربي » .

ومما يذكر ان هذه المنظمة عقدت جلسة افتتاحية في مركزها ، حضرها عدد من رجال السلك الدبلوماسي التابعين للدول العربية ، مع ممثلي الدول الاسلامية من مثل ايران وباكستان واندونيسية ، وقد جلسوا الى جانب ممثلي الدول المسيحية في الفاتيكان كايطالية وفرنسة واسبانية والمانية الغربية وغيرها .

وافتتح مدير المركز نداءً دعا فيه الى جعل هذا التعاون سبيلاً الى تشكيل قوة حقيقية صادقة تهدف الى خدمة الدين والانسانية والسلام العالمي .

وما يزال الكرسي الرسولي يسعى في تقوية هذا الاتحاد بين المسلمين والكاثوليك ، آملاً ان يتمكن ذات يوم من هزم قوى الالحاد وتحطيمها ونشر راية السلام في المعمور .

٥ ـ الاستعانة بالبابا لحل مشكلة فلسطين

ومما يجدر ذكره هنا ، ان المسلمين العرب ما برحوا يلوذون في كل فرصة بالبابا ، ليكون لهم عوناً على حلّ مشكلة فلسطين بصورة عادلة تضمن حقوقهم . ففي سنة ١٩٣٦ سافر وفد فلسطيني الى رومية ، فحظي بمقابلة البابا وتحدث اليه بشأن تلك المشكلة ، وعاد من لدنه مسروراً .

وكان للحاج امين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر مساع بهذا الخصوص ، جعلته يتيقن مما لتدخل الكرسي الرسولي في مختلف المشاكل من أثر نافذ فعال . وحين تقرر تبادل التمثيل السياسي بين لبنان والكرسي الرسولي ، كتب الحاج امين الى رئيس الجمهورية اللبنانية يهنئه على ما حقق في ايامه من هذه الجهة ، شاكراً لبنان ، « لانه بذلك اتاح الفرصة

لصوت العرب ان يسمع في عاصمة الكثلكة ، بواسطة وزير لبنان المفوض في هذه العاصمة » .

٦ ـ نداء المفتي الى الدول الاسلامية

ولهذه المناسبة وجه المفتي نداءً الى الدول الاسلامية ، ناشدها فيه ان تقبل كلها على انشاء علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان ، « ولأنه مركز للقوى الروحية التي تسيطر على قسم كبير من العالم ، ولأن الاتصال بهذا المركز يغمر تلك الدول بفيض من فوائد جلّى لا يمكنها اغتنام مثلها في اي مركز آخر » .

٧ ـ البابا يساعد مشردي فلسطين

ومن مظاهر حب البابا للمسلمين ، واهتمامه في ان يساوي في عطفه بينهم وبين اخوانهم النصارى ، تلك البعثة البابوية التي وجهها الكرسي الرسولي الى لبنان تحت رئاسة المنسنيور توماس ماكاهون . وأسند اليها بذل المساعدات لمشردي العرب فيه ، ضحايا النزاع الدامي في فلسطين ، وجلّهم كما هو معروف من ابناء الطائفة الاسلامية .

وكانت هذه البعثة تستندي الاكف في اوربة واميركة ، وتنفق ما تجمعه ، وقد كان لا يقل سنوياً عن مليون ليرة لبنانية ، على اولئك الذين شُرّدوا من ديارهم ، واقاموا في مخيمات وضيعة يعانون فيها مختلف انواع المهانة والحرمان .

لقد زرت بنفسي مراراً ادارة هذه البعثة ، ووقفت على ما كانت تبذله من اسعافات ، طالما ضمنت الغذاء للجياع والاكسية للعراة والادوية للمرضى والمبيت لمن لا مأوى لهم ، دون اي تفريق بين المسيحي منهم والمسلم .

وعند كل عاقل ان هذه العاطفة النبيلة يظهرها الكرسي الرسولي ، نحو اولئك المشردين على اختلاف مذاهبهم ، يمكن اعتبارها من احدى

العوامل الواجب ان تؤدي الى شدّ اواصر الولاء والتعاون في هذه البلاد بين المسلمين والنصارى .

علاقات البابا بالهيآت الاسلامية الرسمية

نريد بالبابا هنا المقام البابوي دون تخصيص ، فقد قدمنا القول ان البابا ، او بالاحرى ان المقام البابوي ، اخذ في هذه الآونة الاخيرة يدعو الى اتباع سياسة جديدة في هذا الشرق ، هي سياسة التقرب من الهيآت الاسلامية الرسمية ، ملوكاً ورؤساء دول ، ويسعى في مبادلتها التمثيل الدبلوماسي ، حتى كادت جميع هذه الهيآت تكون ممثلة في الفاتيكان ، كما كاد الفاتيكان يكون ممثلاً في جميع عواصمها .

وها نحن نلمح بما امكن من ايجاز الى ما نعرفه عن العلاقات الوثقى بين البابا وكل من هذه الهيآت ، هيئةً بعد هيئة :

سلاطين آل عثمان

كان للمقام البابوي في عهد السلطنة العثمانية ، علاقات ولاء جدّ وثيقة باكثر سلاطين القرن التاسع عشر ، الذين كانوا اكثر بعداً من تقدموهم عن التعصب والعنجهية .

من تلك العلاقات ما رواه مرة شيخ الاسلام جمال الدين افندي ، وكان قد أحيل على التقاعد سنة ١٩١٣ فترك اسطنبول وجاء يقيم في مصر . فزاره ذات يوم ممثل لمجلة روز اليوسف المصرية ، وسأله حديثاً لمجلته عن اخص ذكرياته وهو في منصبه ، فكان في بعض ما قصه عليه حديث عن علاقة السلاطين بالبابوات ، هذا ما جاء فيه :

« لقد كنت في عهد عبد الحميد شيخاً للاسلام في اسطنبول طوال سبعة عشر عاماً . وقد كان مركزي ذاك يسهل امامي دخول اعلى المقامات ،

والاطلاع على كثير من الاخبار التي لا يسع غيري الوصول الى معرفتها .

« ومن اخص ذكرياتي عن ذلك العهد اني جئت مرة رومية ، وحظوت بمقابلة البابا ، وفي اثناء تحدثي اليه روى لي خبراً طريفاً عن علاقات البابوات بالسلاطين ، قال :

« لقد كانت علاقاتي بعبد الحميد وثيقة جداً ، كما كان لاسلافي علاقات ولاء باسلافه ، والآن ستدهش ولا ريب بما اطلعك عليه ، وهو ان الثوب هذا الذي يلبسه كبير احبار النصارى هو هدية من خليفة المسلمين . اجل ان ثوبي هذا هو بقية من قطعة قماش ثمينة ، اهداها احد سلاطين آل عثمان الى احد البابوات اسلافي ، فكانت عنواناً للعلاقات الطيبة التي تربط المقام البابوي بمركز الخلافة ، وهما المنصبان الاعليان للنصرانية والاسلام » . ثم اضاف : « الا ترى في ارتباط هذين المركزين مدعاة الى ارتباط النصارى والمسلمين بروابط المودة ، والوقوف صفاً واحداً لمحاربة ما نراه ينتشر من دعايات الكفر في هذا العصر » .

رسالة من السلطان عبد الحميد الى البابا لاون الثالث عشر

وقد عثرت في مجموعة البشير على صورة مكتوب وجهه السلطان عبد الحميد الى البابا لاون الثالث عشر ، جواباً على رسالة كان هذا البابا قد وجهها اليه ، ليشكره فيها على عنايته بازالة ما كان وقع من خلاف في طائفة الارمن الكاثوليك ، بسبب البطريرك حسون ، وامر هذا الخلاف مشهور في التاريخ .

وهذا اخص ما جاء في الرسالة الآنفة الذكر ، عربها البشير عن اللغة التركية ، وفيها ما يراه المطالع من ادلة على ما كان بين البابا والسلطان من علاقات ودّ وصداقة :

قال السلطان :

« وردتني الوكة المصافاة التي حسن لقداستكم ان توجهوها الي ، لتكاشفني

بما استشعرتموه من سرور على اثر اعترافي بغبطة السيد حسون بطريركاً على الارمن الكاثوليك .

وفيما اوضح لكم شكري على ما ابديتموه عند ذلك من اخلاص الصداقة وصفاء المودة ، يسرني ان اعلن ما لا انفك اتمناه لكم من مجد وسعادة . واني لواثق بان السيد حسون يلزم حق القيام باعباء منصبه ، لارتشاده بنيات قداستكم الخيرية .

ذلك وارجو ان تقبلوا استئناف ما ابديه لكم من عواطف صداقتي الخالصة ، وان تثابروا على مواصلتي باعلام مودتكم البارة العزيزة » .
عبد الحميد

البابا وتركية يتبادلان السفارة

ولم يكن بين تركية الحديثة والبابا اي تمثيل دبلوماسي حتى سنة ١٩٥٤ ، وفي ١٩٥٥ زار السيد عدنان مندريس رئيس الوزارة التركية قداسة البابا بيوس الثاني عشر في قصر الفاتيكان ، فاستقبل بحفاوة ، وفي اثناء تحدثه اليه اعرب له عن رغبته في كسب تأييد الفاتيكان ، لاقامة روابط وثيقة مع العالم المسيحي ، ومقابل هذا التأييد ستعترف تركية بمصالح الكنيسة الكاثوليكية في بلادها ، التي تضم الآن اكثر من ٣٠ الف كاثوليكي لهم كنائسهم ومدارسهم واملاكهم الخاصة .

ولم يكن للبابا في تركية بعد ان صارت جمهورية سنة ١٩٢٣ ، الا ممثل عادي غير رسمي . فاتفق الآن في هذه المقابلة على ان يرفع التمثيل الدبلوماسي بين الفاتيكان وتركية الى درجة سفارة .

البابا ودولة المماليك

ويعرف المتبحرون في التاريخ ، ان سلاطين المماليك في مصر كانوا يتصلون بالبابوات ويجاملونهم ، وفي سبيل كسب ودهم كانوا يحبون الاوقاف

للطوائف المسيحية ، ويبذلون قصارى جهدهم في الترفيه عن النصارى ومعاملتهم بما وسعهم من رفق وتسامح .

البابا والدولة العلوية المصرية

وكان للأسرة العلوية التي بقيت حاكمة في مصر من عهد محمد علي حتى آخر عهد فاروق ، علاقات ولاء مكينة بمرجع النصرانية الاعلى . ويؤكد المطلعون ان في خزائن الفاتيكان والقاهرة كثيراً من الكتابات والوثائق المشيرة الى وجود تلك العلاقات .

ولا ريب في ان الزيارة التي قام بها الملك فؤاد الاول للبابا سنة ١٩٢٧ ، قد اعطت تلك العلاقات رونقاً جديداً من حيث الابهة التي رافقتها ، لان الفاتيكان وضع لها بروتوكولاً خاصاً ، وكانت المقابلة جد ودية . واهدى البابا الى الملك فؤاد وسام « المهماز الذهبي » ، وهو ارفع اوسمة الفاتيكان . ولم يكن يومئذ بين الملوك من يحمله الا ملك مصر .

في عهد الملك فاروق

وفي عهد الملك فاروق انشئت علاقات دبلوماسية بين مصر والفاتيكان ، وكان الوزير المصري اول وزير مسلم ، يمثل دولة اسلامية كبيرة امام كبير احبار النصارى .

وفي الخطاب الذي القاه الوزير عند تقديمه اوراق اعتماده ، اتى على ذكر العلاقات الودية التي قامت في الماضي ، بين البابا غريغوريوس السادس عشر (١٨٣١ – ١٨٤١) ومحمد علي باشا الكبير ، جدّ الاسرة العلوية المالكة يومئذ في مصر .

واستطرد السفير يقول :

« ان مليكي المعظم ، مستنداً الى مبدأ المحبة المشترك بين المسيحية والاسلام ، لسعيد جداً بضم جهوده الى الجهود التي تبذلها قداستكم في

ميادين البر والاحسان التي تقرها الديانتان الاسلامية والمسيحية ، وذلك توطيداً للعدالة واقراراً للسلام في العالم » .

من جواب البـــابا :

وعلى الاثر اجاب صاحب القداسة بالفرنسية ، فأعرب عن ارتياحه لاستقبال ممثل مصر ، ومجّد بكلمات موجزة ماضي البلاد المصرية وحاضرها الى ان قال :

« لقد ساهمت المسيحية مساهمة فعّالة في رفع مقدرات مصر منذ القدم ، وذلك باعمالها الخيرية وحياتها الزاهرة والوجوه الكبرى التي خلّدت هذه الاعمال » .

وختم البابا خطابه بالعبارات التالية :

« ان مصر بوقوعها على شاطىء النيل ، كانت منذ العصور الاولى عقدة اتصال بين الشرق والغرب ، وقد اصبحت بعد شق ترعة السويس وفتح القـــارّة الافريقية ، ملتقى حضارات الشرق والمتوسط والبلدان الجنوبية والغربية .

« انا نتمنى لبلادكم العزيزة مستقبلاً باهراً وصفحة جديدة من المجد في تاريخها ، ونسأله تعالى ان يرعاها السلام داخلاً وخارجاً » .

السفارة البابوية في مصر

وعين الكرسي الرسولي وزيراً مفوضاً في مصر ، الطيب الاثر المنسنيور ارثر هيوز ، الذي قدم للملك فاروق اوراق اعتماده دون اي موكب تقليدي ، بسبب انتشار الهواء الاصفر عهدئذ في البلاد .

ولكن ما هو ان انتهى الوزير من القاء خطابه ، حتى بادرت وزارة الخارجية المصرية الى اذاعة بيان عن هذا الحادث السعيد ، منوهة بما تتمتع به دولة الفاتيكان من مكان مرموق ، راجية ان يكون انشاء هذه العلاقات بين مصر والكرسي الرسولي ، رابطة جديدة بين العالم الاسلامي وابناء الكنيسة الكاثوليكية قاطبة .

سورية بعد لبنان ومصر

ولم تلبث حكومة سورية الجمهورية في سنة ١٩٤٧ ، ان حذت حذو لبنان ومصر في انشاء علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان . واول وزير مفوض عينته لديه هو الاستاذ حيدر مردم ، فسافر الى رومية وقدم اوراق اعتماده لصاحب القداسة ، في حفلة روعيت فيها التقاليد المعتادة . واول من مثل الفاتيكان لدى سورية هو المرحوم المنسنيور مارونيا ، الذي لقي لدى حكومتها كل تفهم وتسهيل لمهمته الهادفة على الاخص الى الدفاع عن القيم الروحية والادبية ، وتقديم المساعدات للسوريين قاطبة ، دون ما تمييز بين الطوائف والاحزاب .

علاقات البابا بدولة ايران

وللبابا مع دولة ايران الاسلامية علاقات ولاء عريقة في القدم ، وعلى جانب كبير من المتانة والقوة ، يدل عليها رسائل وهدايا تبودلت بين احد شاهات ايران سنة ١٨٧٥ وقداسة البابا بيوس التاسع . وقد اطلعنا في مجموعة البشير الصادرة في تشرين الثاني سنة ١٨٧٥ ، على جواب الشاه عبد الكريم للبابا المذكور مع قائد عجمي هو الجنرال ناصر آغا ، ومن هذا الجواب الذي عربته البشير على قولها عن جريدة الاوسرفاتوري رومانو لسان حال الكرسي الرسولي ، يعرف كم كانت وثيقة تلك العلاقات ، وهذا نص الجواب :

من شاه ايران الى البابا :

« الى قداسة البابا الكلي الاحترام والجلال ، الموسوم بسمة المسيح ، المؤدب تأديب سكان العالم السماوي . ايده الله بنعمته !

« قد بلغنا نحن اصدقاءكم المخلصين رقيم قداستكم الحائزة مناقب الملائكة ، العزيز الكريم ، المسطر بوفور ودادكم ، وقد سُلّم ليد نيافة اغوسطوس رئيس اساقفة ارفليا الجزيل الاحترام ، موجهاً الينا من جهتكم ، مع هدايا وعهود كريمة وتذكارات جليلة معدة لتزيد فينا على الدوام داعي التواد والتحاب .

« فلكي تعلموا على وجه الخصوص اي مقام حاز كتابكم وهدايا قداستكم لدينا ، واعتبارنا لاغوسطوس رئيس الاساقفة ، قد قبلناها بذاتنا الشاهانية ، وتكلمنا بحضرة الجميع عما يليق بصداقتكم ووداكم لنا .

« وما عدا ذلك رأينا من الواجب ان نبعث اليكم بهذه الرسالة الناشرة عبير الوداد ، لنعبر بها عما طفح به فؤادنا من السرور وخلوص الرضى بشهادة المحبة والانعطاف ، التي بعثت الينا بها قداستكم ، ونؤكد لكم ان وكلاء الامة الكاثوليكية وجميع افراد هذه الطائفة ، يكونون كما كانوا في ما مضى موضوع التفاتنا الشاهاني ، طبق مشتهاكم ورغبتكم الودادية ، وعلى نوع ما ، نخبة رعايانا بعد وزراء سلطتنا العلية ، ويكونون في اعلى مقام اعزازنا وحمايتنا . وزيادة على انظارنا نحوهم ، غب توطيد هذه العلاقة الشهية فيما بيننا ، قد اصدرنا وبعثنا الى حكام الامصار اوامر جازمة بخصوص حقوق وصيانة وحرية الكاثوليك ، فيما يتعلق بمذهبهم الديني .

« وعلى يقين اننا نعتبر افراد هذه الطائفة الكاثوليكية رعايا سلطنة العجم بمنزلة وديعة ، ائتمنتنا قداستكم على حراستها . وبالطبع اننا نتكفل كفالة تامة بالوديعة المسلمة الينا من قداستكم ، لاننا نعتبر اقنومكم اعتبار اعظم تلاميذ المسيح عليه السلام ، ومن ثم نحقاً بجزيل الكرامة .

« واملنا بطهارة قلبكم ان لا نبرح من ادعيتكم وان تواصلونا باعلام قدسكم .

« حرر في قصرنا الملوكي بطهران في ربيع اول سنة ١٢٩٢ هجرية ، الموافق شهر ايار سنة ١٨٧٥ مسيحية » .

الجنرال ناصر آغا كاثوليكي

وقد وصل الجنرال ناصر آغا رسول الشاه الى رومية ، وقابل البابا يوم الخميس ٧ تشرين الاول ١٨٧٥ في قاعة العرش ، وحول قداسته رهط من الكرادلة واعيان البلاط . وبعد تبادل عبارات الولاء ، التمس الجنرال وأحد مرافقيه وكلاهما كاثوليكي من قداسته ، ان ينعم عليهما بحضور قداسه وتناول القربان المقدس من يده الكريمة ، فاذن لهما بذلك ، وفي مساء

ذلك النهار جاءا كلاهما الى الفاتيكان ، فتقدما من الاعتراف . وفي صباح اليوم التالي أخذا الى معبد البابا الخاص ، فحضرا قداسه وتناولا من يده القربان بشعائر العبادة والتقوى .

امبراطور ايران الحالي يزور البابا

واحياء لتلك العلائق القديمة بين ايران والبابا ، شاه جلالة الامبراطور الحالي محمد رضا خان بهلوي ، وقد سافر الى اوربة ومرّ بايطالية ، ان يزور صاحب القداسة البابا بيوس الثاني عشر ، فقصد الى قصره الصيفي في غاندولفو في صيف ١٩٤٨ ، وكان استقباله وديّاً جداً ، وجرت المحادثات باللغة الفرنسية ، فشكر البابا للامبراطور عطفه على الرعايا الايرانيين المسيحيين ، وناشده مواصلة حمايتهم ، واناط بصدره وسام المهماز الذهبي . ومما ردّ به جلالة الشاه : « انه باذل جهده في معاملة جميع رعاياه من اي مذهب كانوا على قدم المساواة » .

وامتدت المقابلة الى نحو ساعة ونصف الساعة ، اي انها تحولت عن استقبال رسمي الى ما يشبه محادثة خاصة بين حاكمين صديقين .

وقد تكررت زيارة جلالة الشاه للحبر الاعظم مرات . وفي رحلته الاخيرة الى اميركا واوربة ١٩٥٩ ، عاج برومية وزار صاحب القداسة البابا السابق يوحنا الثالث والعشرين ، ونعم لديه بكل عطف واجلال ومحبة .

وكانت حكومة ايران في سنة ١٩٥٤ قد اقرت بتبادل التمثيل الدبلوماسي مع الفاتيكان . واول سفير لها عينته لدى الكرسي الرسولي هو السيد حسن علي كمال هداين . فقدم اوراق اعتماده لقداسة البابا بيوس الثاني عشر في قاعة العرش بالفاتيكان ، ثم اجتمع قداسته بالسفير الجديد في المكتبة اجتماعاً خاصاً دام ١٥ دقيقة . (مجموعة جريدة البيرق ١٩٥٩)

بين الامير فيصل والبابا

ولمناسبة كلامنا عن زيارة الشاه للبابا ، تعود بنا الذكرى الى زيارة

قام بها الامير فيصل مؤسس عرش العراق الهاشمي للبابا بندكتوس الخامس عشر ، في ايار سنة ١٩١٩ .

كان يومئذ الامير فيصل في اوربة ، فكتب اليه والده الملك حسين بان يشخص الى رومية ويزور البابا ، ويبلغه رغبته في توثيق عرى الاخاء والتفاهم بين المسلمين والنصارى ، فصدع الامير فيصل بالامر ، وتلقاه قداسة البابا بالاجلال ، معتبراً اباه زعيماً للنهضة العربية في هذه البلاد . وفي اثناء المقابلة القى الامير فيصل امام قداسته خطاباً مما جاء فيه :

« ان صفحات التاريخ ستغدو وهي باسمة لكوني ربما كنت اول مسلم دخل الفاتيكان ، وخاطب قداسة البابا في تمكين عرى المودة بين الطوائف العيسوية والمحمدية . وانا كزعيم للنهضة العربية ، ارجو من قداستكم عدم السماح بتسليم فلسطين لليهود ، لان القدس كما انها قاعدة النصرانية ومنبت النور ومستودع الآثار المقدسة عند النصارى ، هي ايضاً عندنا بالمنزلة ذاتها ان لم يكن اسمى .

« هوذا قرآننا يشهد لنا بذلك ، وارى نفسي و ٣٥٠ مليون مسلم يقولون لي بحدة : يا فيصل لا تترك آثار بيت المقدس وقبر عيسى بن مريم وجامع عمر عرضة للاهانة .

« واني اسمع صوت العالم الاسلامي يقول لي : اياك والقبول ببيع الآثار الكريمة .

« ولهذا فاني ارجو من قداستكم مناصرتي بصوت النصرانية على دفع هذا الخطر البادي .

« ان التاريخ يشهد لنا بالعدل والمساواة ، وآثار واعمال هرون الرشيد ما زالت زاهرة ، وكل الاماكن التي نحكمها الآن هي براحة تامة . واذا كان ثمت من تعصب فهذا اوجده التركي . ونحن قد ازلناه من كل مكان يظلله حكمنا » .

وقد اجاب قداسته على كلام الامير بما معناه :

« اني مشعر بمثل هذه السعادة ايضاً ، واطلب من الله توثيق عرى الاخاء الديني في العالم كله . وقد صرحت قبلاً باسفي الشديد لترك الارض المقدسة عرضة للقلق والفوضى ، واظن ان هذا الامر لن يكون ابداً لمغايرته للنواميس الطبيعية والتاريخية والدينية » .

وقد اعتبرت هذه المقابلة السعيدة خطوة مباركة في تقريب القلوب بين الطائفتين الكبيرتين . وكما ادّى الامير فيصل خطوة المدنية ، كانت حفاوة الاب الاقدس به عملاً مبروراً ، دلّ على الرغبة في التسامح والتساهل وتوثيق عرى التعاون بين العنصرين المحمدي والمسيحي .

(مجموعة جريدة البشير سنة ١٩١٩)

الملك طلال يزور البابا

وفي ١٨ كانون الثاني من سنة ١٩٥٢ ، زار الملك طلال عاهل شرقي الاردن ، يصحبه ولي عهده الامير حسين ، البابا بيوس الثاني عشر ، فسر قداسته بهذه الزيارة واعرب لجلالة الملك عن تمنياته الخيرية للعائلة المالكة ، واوصى الملك برعاياه المسيحيين خيراً ، ودامت هذه المقابلة عشرين دقيقة ، خرج الملك وولي عهده بعدها يثنيان على ما لقياه لدى البابا من لطف وحفاوة .

والملك حسين ايضاً

وفي صيف ١٩٥٣ ، كان صاحب الجلالة الملك حسين قد سافر الى انكلترة وسويسرة للاستشفاء ، وفي عوده بطريق الجو ، عرج على رومية وزار صاحب القداسة البابا بيوس الثاني عشر يوم ٢٠ تشرين الاول ، وتحدث اليه نحواً من ربع ساعة . وبعد خروجه صدر بلاغ رسمي يقول : ان صاحب القداسة وصاحب الجلالة ، تباحثا خلال اجتماعهما في الحالة السياسية الراهنة في الشرق الاوسط ، وان قداسته زود جلالته ببركة خاصة لجميع

المسيحيين في شرق الاردن ، وشيّعه كما استقبله بالتجله والاكرام . ثم زار جلالته قداسة البابا مرة ثانية وثالثة لمناسبة مقدمه الى رومية في الرحلات التي قام بها الى اميركا واوربة .

البابا يستقبل رئيس وزراء الباكستان

وممن زاروا البابا من الشخصيات الاسلامية ، لياقات خان رئيس وزراء الباكستان ، ترافقه زوجته . فاستقبلها البابا بكل رعاية وحفاوة ، وتحدث البابا الى الوزير في مختلف الشؤون التي تهم الشرق ، وهنأه بالنتائج التي وصلت اليها بلاده ، وباركه ودعا له بالتوفيق ، وانتقل الى قضية اندونيسيا وموقف الدول الاوربية منها فقال : « لقد زال عهد الاستعمار ، فكل بلاد الشرق تبغي نيل الحرية التامة ، ولا يسع الدول الغربية ان تؤدي الخدمات لنفسها وللشرق ولسلام العالم بنوع خاص ، اذا اصرّت على التشبث بمبادىء الاستعمار » .

جبهة مسيحية اسلامية لمقاومة الكفر

ويطيب لنا اختتام هذا الموضوع بحركة مباركة ظهرت اخيراً في الفاتيكان والقاهرة ، مرماها تعاون الكثلكة والاسلام على مقاومة مبادىء الكفر واقرار السلام العام في المعمور .

فان وكالة برقيات فيدس المعبرة عن رأي الفاتيكان ، بحثت هذا الموضوع واطرأته ، واسترعت انظار الكاثوليك في اوربة الى قوة الاسلام ووجوب انشاء جبهة مشتركة في سبيل الله ، لمجابهة قوات الالحاد ، الى ان قالت : « ان الاحتكاك المستمر في العالم الجديد ، ادى الى قرب زوال العزلة التي ظل المسلمون طويلاً يحتفظون بها ، ولهذا يلاحظ ان الوقت الذي تتمكن فيه المسيحية والاسلام من التلاقي قد حان » .

ولاجل هذه الغاية قصد وزير مصر المفوض في الفاتيكان الى القاهرة ،

وباحث وزارة الخارجية المصرية في هذا الموضوع ، وعاد الى رومية حاملاً معه اقتراحات لتأليف جبهة مشتركة « يقف فيها المسلمون والكاثوليك صفاً واحداً للعناية بحفظ السلم ، وللذود عن حياض المعتقدات الدينية ضد ما يهددها من اضاليل الجحود ، ولمنع تلك الاضطهادات القاسية التي ينزلها الكافرون باصحاب المعتقدات الدينية ، وفي مقدمتهم المسلمون والنصارى .

ويبدو مما هناك من احداث ووقائع ، ان البابا والملوك والرؤساء والاعيان من الطائفتين ، قد تنبهوا للخطر المهدد ، فأخذوا يتقاربون مظهرين كثيراً من الرغبة المشتركة في الاستزادة من التقارب ، والتعاون على عضد الدين واثبات ما له من فائدة في خير المجموع .

(راجع مقالة للمؤلف في هذا الموضوع عنوانها « التعاون بين البابوية والاسلام » في جريدة الشراع عدد ١١ اذار ١٩٠١ صفحة ٢٨)

شخصيات اسلامية في مقابلة البابا

ومن علاقات مسلمي لبنان بالبابا ، تلك الزيارات التي قام بها فريق من اعيانهم لقداسته في عدة مناسبات ، وقد عادوا من لدنه معجبين بما لقوه لدى رئيس النصرانية الاعلى من عطف ابوي ، لا يقل ذرة عن ذلك العطف الذي يلقاه لديه اخوانهم النصارى ، ومكبرين ما وقفوا عليه في القصر البابوي من دقة نظام وعجائب فن وتحف اثرية وتاريخية ، لم يقفوا على مثلها في اعظم قصور العالم ومتاحفه ودور ملوكه ورؤساء دوله . وقد صرّح لنا بعضهم بأن ما شاهدوه في الفاتيكان من مجد وعظمة ، قد ترك في نفوسهم تأثيرات بالغة لا يمكن ان ينسوها طوال حياتهم . وهاك اخص الرجالات الذين قاموا بمثل هذه الزيارات :

الاستاذ رياض الصلح

بعد ان انشىء التمثيل الدبلوماسي بين لبنان والفاتيكان ، سافر المغفور له رياض الصلح الى اوربة ، وفي عوده عرّج على رومية وقابل الطيب الاثر البابا بيوس الثاني عشر مقابلة خاصة ، قبل ظهر السبت ١٩ كانون الاول من سنة ١٩٤٨ .

وسأل مندوب الاهرام رياضاً عن نتيجة تلك الزيارة ، فأدلى اليه بالتصريح التالي ، قال :

« ليس لديّ ما اضيفه الى الحديث الذي ادليت به قبل مغادرتي رومية الى مندوبي الصحف الايطالية ، وخلاصته : ان اثر مقابلتي لقداسة البابا سيبقى عالقاً في ذهني الى الابد ، لما ابداه قداسته نحو شخصي ونحو الشعب اللبناني من عواطف نبيلة . فقد ادركت من حديثي معه مدى اهتمامه بشؤون العالم والمامه بتطورات الحوادث في الشرق الاوسط خاصة فلسطين ، كما ادركت قوة اعتقاده عن حق بانه لا بد من ان يقوم السلام في العالم على اساس من المساواة والعدالة » .

السيد حسين العويني

وقام السيد حسين العويني بزيارة الفاتيكان مرتين ، الاولى للبابا بيوس الثاني عشر عهد كان وزيراً المال في اثناء رئاسة الشيخ بشاره الخوري، والثانية للبابا يوحنا الثالث والعشرين على رأس وفد رسمي يشترك في حفلة تتويجه ، وذلك في العهد الحالي .

وقد وصف الاستاذ شارل حلو ما جرى في الزيارة الاولى عهد كان وزيراً مفوضاً للبنـــان لدى الفاتيكان ، في كتاب بعث به الى الوزارة الخارجية اللبنانية ، هذا بعض ما قال فيه :

« جرت المقابلة في ٢ من شهر حزيران سنة ١٩٥٠ ، وكانت مناسبة تجلت فيها لقداسة البابا قوة التضامن الوطني في لبنان . واثيرت بعض القضايا المتعلقة بفلسطين واللاجئين الفلسطينيين والاماكن المقدسة . وقد اكد الحاج حسين لقداسته حرص لبنان والدول العربية على ان يعاد اللاجئون الى ديارهم ، وعلى ان تصان الاماكن المقدسة لدى المسيحيين والمسلمين على السواء من اي اعتداء من الجانب اليهودي . فاعرب له قداسته عن اهتمامه بالامر ، وذكر له مساعيه المستمرة في سبيل ايجاد حل عادل له ، وابدى عاطفته الخاصة نحو لبنان وابنائه على اختلاف طوائفه » .

صائب بك سلام

وفيما كان الاستاذ صائب بك سلام عائداً من فرنسة ، عرّج في طريقه على رومية ، وسعى في ان يقابل رئيس النصرانية الاعلى البابا بيوس الثاني عشر ، فأذن له ولقي لدى قداسته كل حفاوة ، وتزوّد منه البركة والدعاء له ولجميع اللبنانيين .

وبعد وفاة هذا البابا اقيمت له في لبنان حفلة تأبين اشترك فيها صائب بك ، وقد المع في الكلمة التي القاها الى تلك المقابلة والى ما تركته في نفسه من تأثير بالغ قال :

« لا يسعني في هذا الظرف العصيب الذي تمر به الملاقات الاسلامية

المسيحية بأعظم تجربة ، تعرّض لها ابناء هذا البلد الطيب (كان ذلك في اثناء حوادث ١٩٥٨) ، الا ان اذكر ذلك اليوم السعيد الذي تشرفت فيه بمقابلة شخصية مع الراحل الكريم ، اراد ان يخصني بها رغم مرضه واعتكافه ، ويحوطني برعاية ابوية خاصة نزلت في قلبي الى اعماقه ، ويبقى اثرها في نفسي لا يقوى على محوه كر الايام ولا توالي الاحداث » .

السيد جميل مكاوي

ومن زاروا الطيب الاثر البابا بيوس الثاني عشر من اخواننا المسلمين اللبنانيين السيد جميل مكاوي ، اذ كان وزيراً في عهد الرئيس شمعون .

وبعد عوده سئل الافصاح عما تركته تلك الزياره في نفسه من اثر ، فكان من بعض ما قاله :

« لقد خصني صاحب القداسة حبر النصرانية الاعلى بعطف ابوي قلبي ، وعندما تقدمت منه للاستئذان بالانصراف، طلب اليّ الاهتمام بأن يعيش اللبنانيون جميعاً من مختلف الطوائف والاديان بالاتحاد والتفاهم - مؤكداً لي بعبارات جازمة ، ان اتفاق النصرانية والاسلام في هذا الشرق لمما يعزز الدين ويضعف شوكة الكفر والالحاد .

« وبعد ان طفت في بعض معاهد الفاتيكان ، غادرته وانا معجب اعجاباً كبيراً بما شاهدت من تحف نادرة الوجود ، ومن بنايات شاهقة غاية في الفخامة ، طبعت في نفسي تأثيرات بالغة لا يمكن ان انساها طوال حياتي » .

الرئيس سامي الصلح واسرته

وفي كانون الثاني من سنة ١٩٥٩ ، جاء الاستاذ سامي بك الصلح رومية واستأذن في زيارة الطيب الاثر البابا يوحنا الثالث والعشرين ، فعين له موعد الزيارة في العاشر من الشهر المذكور .

وفي الوقت المعين ادخل الرئيس الصلح الى القاعة الحبرية يرافقه افراد اسرته ، فهنأ صاحب القداسة لمناسبة جلوسه على السدة الحبرية . وبعد ان

اجاب قداسته على بعض الاسئلة المتعلقة بحالة لبنان ، مؤكداً له انه قد استعاد ما كان عليه سابقاً من امن واستقرار ، استاذنه في ان يقدم لقداسته افراد اسرته ، وقد اشار اليه ان بينهم مسلمين ونصارى ، وهو يقول : هذا يا صاحب القداسة هو وجه لبنان بطوائفه المسيحية والاسلامية - واستطرد ان لبنان يا صاحب القداسة في ظروفه الحاضرة هو في اشد الحاجة الى صلواتك وادعيتك المستجابة ، ونحن نأمل ان يحل بعد اليوم الوئام محل الخصام والمحبة محل الضغينة ، وان نترفع جميعاً عن الصغائر وننسى الاحقاد .

فأجاب صاحب القداسة بأنه عرف لبنان لاول مرة سنة ١٩٠٦ ، اذ مر ببيروت في طريقه الى القدس . وفي المرة الثانية في المؤتمر القرباني ، وفي المرة الثالثة عندما استقبله الاستاذ سامي الصلح في بيروت وهو رئيس للوزارة ، وذلك لمناسبة انعقاد المؤتمر المريمي ، ثم قال :

« واني لسعيد جداً بان اسمع مسلماً مسؤولاً صاحب قلب كبير ، يسألني الصلوات والادعية لجميع افراد الاسرة اللبنانية من مسلمين ومسيحيين دون تفرقة » .

ثم قال قداسته :

« اني في صلواتي لاجل لبنان ما كنت لأميز بين فئة واخرى من سكانه ، بل اني اوجه ادعيتي لسعادة جميع افراد الشعب اللبناني الذي اكن له كل عطف ومحبة » .

واخيراً اذن صاحب القداسة بأن تؤخذ له صورة والاستاذ سامي الصلح الى جانبه .

واستأذن الرئيس اخيراً بالانصراف فشيع كما استقبل بمجالي المودة والعطف .

البابا يشكر عمر الداعوق

في سنة ١٩٣٩ احتفل في بيروت بالمؤتمر القرباني . وقرر المحتفلون ان تقام هياكل نقالة ، يعرض فيها القربان الاقدس ، والى جانبها مراكز للمؤتمرين الذين جاءوا من جميع جوانب الشرق للاشتراك بالمؤتمر (ويقال

ان عددهم كان يزيد على مئة الف نسمة) ، في قطعة ارض واسعة هي من املاك المرحوم عمر بك الداعوق ، احد كبار اعيان المسلمين في بيروت ورئيس غرفة التجارة ، ورئيس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية . فلما خوطب في ذلك هش لاجابة الطلب بكل ارتياح ، معرباً عن استعداده لاي خدمة يمكنه تقديمها لانجاح المؤتمر وراحة القائمين به .

وحين اتصل خبر هذه المكرمة بصاحب القداسة الحبر الاعظم المالك يومئذ البابا بيوس الحادي عشر ، وجه الى عمر بك رسالة شكر وتقدير مع الدعاء الى الله بان يسبغ عليه اغزر النعم والبركات ، ويسربله مع اسرته الكريمة بحلل الرفاه والتوفيق .

***

وهناك آخرون من وجهاء المسلمين اللبنانيين لم تتصل بناء اسماؤهم ، قاموا ايضاً بمثل هذه الزيارات ولاقوا لدى البابوات كثيراً من العطف والرعاية ، وذلك لان الفاتيكان ما زال من عهد عهيد يبدي رغبة اكيدة في ربط النصرانية والاسلام برباط الاخاء والتفاهم ، رجاء ان تؤلفا معاً سداً منيعاً في وجه الكفر الذي بدأ يستفحل في هذا العصر ، بل هو لا يبرح ينادي بوجوب انسجام الناس طراً من وجهتي الدين والسياسة ، تحقيقاً لسيادة السلم والمساواة والعدالة الاجتماعية في المعمور .

الاستاذ عفيف الطيبي

ولعل الاستاذ عفيف الطيبي نقيب الصحافة اللبنانية ، هو بين اخواننا المسلمين اللبنانيين اول من قام بزيارة الحبر الاعظم الحالي البابا بولس السادس .

عرفنا ذلك من نبأ هاتفي طالعتنا به صحف اليوم ، وقد جاء فيه ان الاستاذ النقيب حظي بهذه المقابلة وهو برفقة صاحب السمو الشيخ عبد الله المبارك ، وان صاحب القداسة قد خصها بانعطاف ابوي سام وبارك الصحافة اللبنانية والقائمين بها ، وتمنى للنقيب الاديب وللشعب اللبناني عامة وفور التقدم والازدهار .

١٣
علاقات البابا بالدروز

تعود اولى هذه العلاقات ، بين البابا والدروز ، الى عهد اميرهم امير لبنان الامير فخر الدين الثاني الكبير ، الذي كان يعرف في اول عهده بامير الدروز ، او بامير جبل الدروز المراد به « الشوف » الذي كان يتسع ويضيق وفقاً للظروف والاحداث .

كان هذا الامير من نوابغ الرجال ، تألق نجمه في الآفاق ، وقويت شكيمته ، فوحّد كلمة اللبنانيين ، ووسّع تخوم لبنان ، وطمح الى ان يجعل منه دولة واسعة الارجاء ، يتسلطن عليها ويتركها من بعده لسلالته .

ولكنه على الرغم مما وصل اليه من بسطة نفوذ ، ظل يخشى جانب الدولة العثمانية ، التي جارت على قومه ، فنكبتهم نكبة اليمة سنة ١٥٨٥ ، وفتكت بستين الف منهم ، ثم غدرت في صوفر بستمئة من عقالهم وذبحتهم ذبح النعاج ، وبعد ذلك أماتت والده الامير قرقماز في قلعة شقيف ارنون ، وبعد كل هذه الكوارث لم يرَ الامير بدّاً من الاستعانة على تلك الدولة العاتية بملوك اوربة . واذ كان يسمع أن للبابا عليهم كثيراً من النفوذ سعى في الالتجاء اليه متخذاً اياه وسيلة للتعرف اليهم وحملهم على مساعدته . ومن ثم اخذ يكاتبه بواسطة كبراء رجال الدين من النصارى اللبنانيين ويبذل له الوعود اخصهـــا وعده باعتناقه النصرانية مع جميع قومه ، وبتسهيل زيارة الاراضي المقدسة على الحجاج الغربيين ، وذلك شرط ان

يمده بالذخائر ومختلف الاعانات الحربية البرية وباسطول يحمي ثغوره ، وبكل ما يؤمن امارته اللبنانية من الخطر العثماني .

ومن غريب ما فعله ذلك الامير توثيقاً لعلاقته بالبابا ولكسب رضى الدول الغربية عنه ، واقناعها بسهولة تحوله وقومه الى النصرانية ادعاؤه بانه متحدر عن "جدّ" هو الملك غودفروا دي بويون ، وبان الدروز هم من بقايا الصليبيين الذين فتحوا الارض المقدسة ، بقيادة جده الآنف الذكر ، حتى اذا خرجت تلك الارض من ايديهم فيما بعد ، لجأوا الى الجبال ، وتناسوا فيها على توالي السنين دين آبائهم واعتنقوا دينهم هذا الجديد . (راجع تاريخ الامير فخر الدين الثاني للخوراسقف قرألي صفحة ٢٠٦) .

وللامير فخر الدين علاقات مشهورة في التاريخ مع البابوات اكليمنضوس الثامن (١٥٩١ – ١٦٠٥) والبابا بولس الخامس (١٦٠٥ – ١٦٢٣) واوربانوس الثامن (١٦٢٣ – ١٦٤٤) وله مع كل منهم مراسلات متبادلة معروفة يدل مجملها على ما كان بينه وبين المقام البابوي من اواصر ولاء وثيقة العرى ، وقد سعى البابوات الثلاثة هؤلاء بكل محبة واخلاص في اناله طلبه ، ولكن الحروب التي نشبت آنئذ في اوربة حالت دون ذلك .

ثم لم يلبث موقف الامير ان تحرج بما رفع عليه الى الدولة من وشايات وشكاوى . وكانت هذه الدولة قد عرفت ان الدول الغربية متشاغلة عنه بمشاكلها الداخلية ، فساقت عليه حملة قوية لم يوفق الامير لسوء آراء معاونيه الى الانتصار عليها كما كانت عادته في جميع حروبه ، فاضطر الى الاستسلام واقتيد مع اسرته واولاده الى الاستانة حيث لاقوا حتفهم جميعاً . وقد خسر لبنان بموتهم خسارة لا تعوض .

البقية من امراء الاسرة المعنية

ومشى خلفاء الامير فخر الدين الثاني الامراء ملحم وقرقماز وأحمد على آثار جدهم في علاقتهم بالبابا ، ومواصلة تحدثهم عن علاقات الولاء التي كانت تربطه بالكرسي الرسولي ، وبامراء توسكانا ، ودولتي فرنسة واسبانية على الخصوص .

ومن الاسرة الشهابية

وقد كانت للامراء الحكام من الشهابيين بعد وراثتهم حكم لبنان عن اسلافهم المعنيين اتصالات وثيقة بالبابا . (وهو ما سنفصله في باب علاقات البابا بحكام لبنان) .

آل جنبلاط

ومن الاسر الدرزية الكريمة التي عرفت باتصالاتها بالبابا الاسرة الجنبلاطية الكريمة ، فان في تاريخها ما ينبيء بان المشايخ علياً وقاسماً وبشيراً قد وردت الى كل منهم كتابات بابوية ، تشكر لهم ميزاتهم وحسن رعايتهم ان كانوا في اقطاعهم من النصارى ، ولا سيما لتفضل احدهم الشيخ علي بقطعة ارض من املاكه بنى فيها الرهبان الروم الكاثوليك ديرهم الشهير المعروف « بدير المخلص » .

زيارة كمال بك لبيوس الثاني عشر وكلمته في تأبينه

ومن سلالة هؤلاء المشايخ الزعيم الدرزي المعروف معالي وزير الداخلية كمال بك جنبلاط ، فقد امّ رومية منذ سنين وحظي بزيارة البابا الطيب الاثر بيوس الثاني عشر ولاقى لديه عطفاً خاصاً ورعاية ابوية . وبعد رجوعه الى لبنان ووفاة البابا المذكور عاودته ذكريات تلك الزيارة ، وكان ان اوحت اليه بالكلمة التالية التي القاها في حفلة تابينه في بيروت ، ومنها يستدل على ما كان لتلك الذكريات في نفسه من بالغ الوقع وجميل الاثر قال :

« ادرك البابا بيوس الثاني عشر في بصيرته الناضجة المتطلعة الى المستقبل القريب والبعيد مشاكل القومية والدين وخاصة في العالم العربي ، وان زمن التناحر الطائفي قد انقضى ، وان للنصرانية دوراً عظيماً يجب ان تلعبه في الشرق ، وانها من هذا الباب وديعة الاسلام ، كما أن الاسلام في هذا المعنى الرفيع وديعة النصرانية » . ثم قال :

« وتنبه بيوس الثاني عشر الى خطر التعصب الطائفي والاخذ بالنظريات القومية الطائفية اسلامية كانت ام مسيحية ، فكان موقفه من الحركات العربية والوطنية موقف المتفهم الذي شهدناه . وافضل مثال على الروح المقامية التي شاء ان تتجسد فيها الوطنية في لبنان ، هو ذلك المشهد الرائع الذي لا يمحى من ذاكرة التاريخ : مشايخ من الدين الحنفي الاسلامي الصائمين يركعون ويصلون في صرح بكركي امام صورة الحبر الاعظم للنصرانية ، بينما كانت الشمس تضيع في مهمه الافق البعيد ، واجراس الكنائس في مرتفعات واغوار كسروان تقرع ثلاثاً داعية سكانه المسيحيين الى صلاة التبشير » .

الامير فؤاد ارسلان

المرحوم الامير فؤاد ارسلان نائب جبل لبنان وسليل الامرة الارسلانية الدرزية النبيلة قد قام قبل غيره بزيارة الفاتيكان ، وقابل البابا بيوس الحادي عشر ، وكنت يومئذ محرراً في جريدة البشير فزرته بعد عوده باسم الجريدة ، وسألته عما يحمله في نفسه من تأثيرات لتلك الزيارة . فكان مما قاله لي :

« ان ما رايته من عظمة البابوية في هذه الزيارة قد ترك في نفسي تاثيرات عميقة لا يمكن ان تمحى ، ما حييت . لقد دخلت كنيسة القديس بطرس وطفت في دوائر الفاتيكان والدهشة لا تفارقني، لاني كنت كلما وقفت على رائعة لا البث ان اقع على غيرها اروع منها ، وجل ما يمكن قوله : ان للبابا مقاماً ادبياً في العالم لا يتمتع رئيس آخر بمثله ، وفي الفاتيكان من الامجاد والروائع والعظمات ما لا يمكن ان تعثر على مثله في اي مكان آخر في المعمور » .

١٤
البابا والبيوتات اللبنانية

ولأكثر البيوتات اللبنانية النبيلة علاقات ولاء بالبابا ، واذ كان المجال لا يتسع لذكرها جميعاً ، فرأينا الاقتصار على قسم منها ليتخذه المطالعون مقياساً لغيره . وهذا ما نحن ذاكروه في هذا الباب .

علاقات بيت الخازن

بيت الخازن من كرائم الاسر المارونية في لبنان . يقال ان اصلهم من القبائل الحورانية الغسانية ، جاءوا من اذرع الى نحلة في بـــلاد بعلبك ، وانتقل جدهم الياس الخازن الى جاج سنة ١٤٧٥ ، وارتحل ولده سركيس الى البوار ثم برحها الى بلونة وتوفي سنة ١٥٨٥ ، وله ولدان ابو صقر ابرهيم وابو صافي رباح .

فعند هذين الشيخين تخبأ الامير فخر الدين الثاني الكبير ، حتى اذا استعاد ولايته على الشوف دعاهما لخدمته ، فتعاظم شأنهما وعين الشيخ رباح ابو صافي حاكماً على جبة بشري . ولعل هذا الشيخ هو اول من كتب الى البابا اوربانوس الثامن ، وسالته التي ارسلها مع الخوري يوحنا قرباقوس الحصروني عند سفره الى رومية ، برفقة الطلبة الموارنة الاثني عشر الذين وجههم معه البطريرك يوحنا مخلوف الى المدرسة المارونية . ومما جاء فيها :

استمد بركة قداستك لاسير انا ورعاياي في سبيل خدمته تعالى وخدمة قداستك ، آملين ان لا نبرح من ذهنك الخ ... والتاريخ : « ٢٣ ت١ ١٦٢٤ » (قرألي في تاريخه الامير فخر الدين الثاني صفحة ٢٧١) .

ونصّب الامير فخر الدين الشيخ خازناً ابا نادر الخازن قائداً عاماً لجيشه، ومنحه لقب «امير جبل لبنان». واتصل خبر القائد بالبابا ادريانوس الثامن، فارسل اليه كتابين ١٦٢٩ و ١٦٣١ يوصيه فيهما بالآباء الكبوشيين، ونزولاً على طلب المطران جرجس الاهدني سفير البطريرك الماروني في اوروبة، وجه البابا اوربانس الثامن كتابين الى كل من الشيخين خازن ابي نادر الخازن ويونس ابي ضاهر حبيش، وارفقهما بدرع وسيف للاول، وبسيف للثاني، وبكتاب الى البطريرك، يثني فيه عليهما ويطلب منه ان يسلمهما بيده المباركة الاسلحة التي وجهها اليهما.

ولما اعتقل الامير فخر الدين اعتقل معه ابو نادر واخذ معه الى دمشق وقيل الى حلب، ففر من هذه بحيلة، وقيل بل كفله الامير علي علم الدين في دمشق، ومنها عاد الى لبنان وفرّ مع ولده نادر واخيه رحال ابي خاطر الى رومية، وفيها حصل على التفات الكردينال بربريني وبمساعدته مثل امام البابا اوربانوس الثامن الذي تلقاه بالحفاوة والاعزاز، وبعد عوده كتب رسالة الى الكردينال بربريني بالعربية نشرها قرألي في كتابه: «فخر الدين المعني صفحة ٣٥٩»، مما جاء فيها:

«اين ما كنا تحت نضر سيدنا البابا المكرم ونضركم الشريف. الله تعالى يرزقنا من بركت صلاتكم ودعاكم الصالح لنا ولجميع النصاره».

وبعد ختام الرسالة علق عليها حاشية قال فيها:

«ومن العبد تقبيل تراب اقدام سيدنا البابا المكرم حفظه الله تعالى وابقاه لسائر النصاره، آمين يا رب العالمين». وعاد ابو نادر الى خدمة الامير ملحم، فلما توفي سنة ١٦٤٧ خلفه ابنه نادر ابو نوفل، وكان له ثمانية اولاد قسم ما بينهم مقاطعته كسروان في اواخر ايامه. وفي سنة ١٦٥٦ اكرم عليه البابا اسكندر السابع (١٦٥٦ — ١٦٦٧) بكاقليارية رومية، وبأن يتقلد طوقاً وسيفاً ويستعمل مهاميز من ذهب، مكافأة لما ابداه من غيرة في المحاماة عن حقوق النصرانية، والقيام بفروضها في مقاطعته كسروان وغيرها بكامل الحرية.

وبمثل هذا اللقب انعم على ولديه فياض ابي قانصوه ونوفل ابي نصيف ، وتوفي الشيخ ابو نوفل نادر في شهر آب سنة ١٦٧٩ (الدويهي من صفحة ٢٢٢ حتى صفحة ٢٤٧) .

وفي سنة ١٦٥٧ ، بعث البابا اسكندر السابع الى الشيخ حيدر الخازن برسالة مؤرخة في ١٦ آب دعاه فيها « امير عجلتون » ، منوهاً بشهامة نفسه ودلائل ايمانه وتقواه ، وما يبديه من حب واخلاص للكرسي الرسولي ، وجعله واقامه بسلطانه الرسولي كافلياراً من الشرطة الذهبية البابوية ، وخوله الحق باستعمال قلادة ومهاميز من ذهب ، والتمتع بجميع ما يتمتع به اصحاب هذه الشرطة ، وبما يمكن ان يتمتعوا به من النعم والاعفاءات التي يبيحها القانون او العادة . وقد ترجمت صورة هذه الرسالة عن اصلها المحفوظ عند الشيخ بطرس كنعان الخازن (الدويهي صفحة ٢٣١) .

وأرسل البابا اكليمنضوس العاشر (١٦٧٠ - ١٦٧٩) مع القس يوسف الحصروني ، الذي عاد من رومية حاملاً درع التثبيت للبطريرك اسطفان الدويهي في سنة ١٦٧٣ ، رسالة الى الشيخ نوفل الخازن « يحرّضه فيها على السعي دون انقطاع في نشر الايمان الكاثوليكي ، جرياً على آثار اجداده ، معرباً له عن انعطافه وقدر اجلاله لما يبديه من شهامة نفس في الاعمال التقوية ويباركه ويتمنى له النجاح » .

(عن رسالة البابا المحفوظة عند الشيخ بطرس كنعان الخازن)

وفي ٢٠ ايار من السنة نفسها اي الـ ١٦٧٣ ، ارسل البابا اكليمنضوس العاشر رسالة حبرية مع القس يوسف الحصروني الآنف الذكر الى الشيخ فياض الخازن « الامير الغسطاوي » ، يمتدح فيها غيرته المشتهرة التي اظهرها ضد تعاليم كوسوين الكلية القساوة ، والمحاماة عن الديانة الكاثوليكية في هذه الجهات ، مما جلب له محبة الحبر الاعظم ، منوهاً بان ما قدمه من خدمة للطائفة المارونية العزيزة جداً على قلب قداسته يعتبر كأنه راجع لشخص البابا » .

(اخذنا ملخص هذه الرسالة عن الاصل المصون عند نائب كسروان

الشيخ سليم الخازن ، والمترجم عن اللاتينية بقلم القس يوسف معمار باشي تلميذ المجمع المقدس) .

وفي سنة ١٧٠٥ سمّى البابا اكليمنضوس الحادي عشر (١٧٠٠ – ١٧٢١) الشيخ قبساً بن ابي نوفل والشيخ خالداً بن ابي نصيف والشيخ طربيه بن يعقوب فرساناً في حرمه .

وفي سنة ١٧٢٦ كتب البابا بندكتوس الثالث عشر (١٧٢٤ – ١٧٣٠) الى الملوك المسيحيين ، يوصيهم بالشيخ صالح الخازن المتوجه الى بلادهم .

وفي كتاب بصائر الزمان (صفحة ٨٠) نص رسالة وجهها سبعة وثلاثون شيخاً من آل خازن في سنة ١٧٧٩ الى الكردينال رئيس المجمع ، يؤكدون فيها خضوع البطريرك يوسف اسطفان للاوامر التي كانت وردت اليه من رومية على اثر حوادث هندية المشهورة ، وان امراضه وحدها منعته عن السفر ، بعد ان كان قد بدأه غير عابىء بالاخطار .

وفي الكتاب نفسه صفحة ٨٧ ما يفيد ان المشايخ آل خازن وجهوا رسالة الى الحبر الاعظم بيوس السادس ، يقولون فيها : « انهم وبطريركهم لم يتخلفوا طرفة عين عن الاذعان لأوامر الكرسي الرسولي حال ورودها ، والعمل بها بأخلص الخضوع والطاعة » .

وما زال المشايخ آل خازن يعربون في كل فرصة عن عواطف تعلقهم بالاحبار الاعاظم ، ويتلقون منهم شارات الرعاية والتقدير . وممن كانت لهم اخيراً علاقات بالكرسي الرسولي المشايخ التالية اسماؤهم :

الشيخ حصن فونسيس الخازن ، نال من البابا لاون الثالث عشر في ١٦ كانون الاول من سنة ١٨٩٠ لقب كونت روماني لا ينتقل الى ذريته ، وهو غير الشيخ حصن فياض ابي قانصوه قنصل فرنسة ، الذي كان عائشاً في العقد الثاني من القرن السابع عشر .

الشيخ قعدان الخازن الذي انعم عليه البابا بيوس التاسع بلقب كافليار روماني من الطبقة الاولى ، وقد توفي في ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٧٠ (مذكرات هند صفحة ١٠) .

والشيخ رشيد كنعان الخازن، الذي اهدى اليه البابا لاون الثالث عشر وسام بيوس التاسع من رتبة فارس، ووسامي القديس سلفسترس والقبر المقدس من رتبة فارس (مذكرات هند صفحة ٨٢).

والشيخ فريد قعدان (الشهيد) الذي سافر الى رومية مع البطريرك الحويك سنة ١٩٠٥، وقابل البابا لاون الثالث عشر، وفاز منه بالبركة الرسولية، وبلقب حاجب سري من ذوي المهاز والسيف (مذكرات هند صفحة ٥٤).

والشيخ كسروان الخازن (متصرف جبل لبنان سابقاً) اهدى اليه البابا بيوس الحادي عشر وسام القديس غريغوريوس الكبير، مكافأة له على خدماته للدين والطائفة (صديقة ومحامية للخوري بطرس غالب صفحة ٢٥٠).

علاقات بيت السعد

ينتسب آل السعد الى جدهم الشيخ سعد الخوري « الكاخية »، او المدبر الاول للامير يوسف شهاب، حاكم لبنان من عام ١٧٦٢ حتى عام ١٧٨٨ . وكان الشيخ سعد لا يكبر عليه كبير في لبنان، لما امتاز به من حنكة وحكمة وصدق مبدأ واندفاع في عمل الخير والمحافظة على الدين والاخلاق. وقد نشأت له مع رأس الكنيسة علائق ولاء متينة، فكتب اليه مراراً، والى بعض الكرادلة والمجامع المقدسة في ما كان يطرأ في لبنان من شؤون، وتلقى على رسائله اجوبة طافحة بعبارات الود، مترجمة عما كان له في عاصمة الكثلكة من مقام رفيع، ومن عواطف اجلال وتقدير.

واقدم هذه العلائق رسالة أنفذها الى الشيخ سعد رئيس المجمع المقدس، وأرفقها بهدية جليلة، وفيها يوصيه بحماية القاصد الرسولي الاب دي مورتا الموجه الى لبنان للنظر في قضية البطريرك يوسف اسطفان، المتفرعة عن حادث الراهبة حنة عجيمي المعروفة بهندية، ولم نعثر على نص هذه الرسالة، وانما استدللنا عليها من جواب للشيخ سعد، وقفنا

عليه في دفتر عائلي محفوظ لدى امين بك السعد ، وهو بخط عمه المرحوم نجيب بك ، نقله عن محررات بكركي بتاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٨٩٩ ، بشهادة المطرانين يوسف نجم ويوسف دريان . والجواب بدون تاريخ والارجح انه كتب بعد وصول الاب دي مورتا في مطلع سنة ١٧٧٥ الى لبنان في رحلته الاولى ، لانه في الرحلة الثانية جاءه وهو اسقف باسم المطران كرافري اسقف انوش . وهذا بعض ما قاله الشيخ سعد في جوابه :

« انه في ابرك وقت وصلت لنا مشرفتكم عن يد حضرة قاصدكم المحترم دي مورتا ، وصحبتها الهدية الجليلة التي تكرمتم بها على ولدكم . نشكر فضلكم على ذلك ، سيما لاجل بيان ردكم واعتباركم لنا من غير استحقاق ... ثم توصونا بحماية وتأييد حضرة قاصدكم المذكور ، واجراء مراسمكم المقدسة السابقة واللاحقة ، فامتثالاً لامركم الجليل ولخاطركم العزيز جداً ، بذلنا كل مجهودنا عند جناب سعادة افندينا الامير يوسف المحترم ، ادام الله تعالى عزه ونصره ، بصلواتكم المقبولة ، في قضاء الامرين المذكورين ، وبنعمة الله تعالى وبصفو خاطركم ونظر افندينا السعيد قد تم كل شيء الآن باحسن الامكان ، كما تطلعوا من جوابات سعادته الواصلة طيه » . الى ان قال : « ونحن بكل حال ملتزمين في طاعة وخدمة هذا الكرسي المقدس في كل شيء بكل عزمنا وقوتنا ، ولو كان بذهاب كل مالنا حتى وبسفك دمنا ، بعون الله تعالى ، مستعدين لذلك دائماً ، لأنه فرض علينا وعلى كل مسيحي كاثوليكي حقيقي .

« اما من جهة القاصد المحترم فمن حين وصوله الى طرفنا الى الآن ، ما اهملنا قط حمايته والانتصار له بكل ما يتصل بنيافتكم لاجل خاطركم وطاعتكم . وربما ان الوقاية والرعاية والمجابرة التي صارت له من قبل حلم افندينا ما صارت لغيره من القصاد قبله ، حسب تسهيل الاوقات ، وحضرته اهل لذلك ... »

رسالة من الشيخ سعد الى الحبر الاعظم

وتطورت قضية البطريرك يوسف اسطفان والراهبة هندية وتكاثرت الشكاوى بشأنها الى الكرسي الرسولي ، وحامت حولها شبهات حملت البابا

بيوس السادس على اصدار امره بالغاء رهبانية هندية ، وبحط البطريرك عن سلطانه البطريركي والاسقفي ، واستدعائه الى رومية لتبرئة نفسه ، فأطاع البطريرك للحال واتجه الى حيفا يريد ركوب البحر منها ، ولكن اشتدت عليه اسقام اضطرته الى الوقوف في جبل الكرمل ذليلاً منبوذاً .

وكانت الطائفة ازاء هذا الحادث ، يتنازعها عاملان : عامل الخضوع للكرسي الرسولي حفاظاً على ايمانها الكاثوليكي ورعاية لتقاليدها وعادات اجدادها ، وعامل الانتصار لكرامة بطريركها الذي كان يؤمن كثيرون ببراءته مما قرّف به ؛ والتوجع لما عزي اليها من العصيان لاوامر الكرسي الرسولي بشايعة هندية ، رغم مبادرتها الى العمل بتلك الاوامر حال صدورها . وكان الشيخ سعد اول من اهتم لتلك الشؤون لعظم رغبته بابقاء علاقات طائفته برومية ، على متانتها المعتادة منذ القدم ، ولاجل اصلاح الحال عقد مؤتمراً في بكركي حضره اساقفة الطائفة واعيانها ، وتقرر فيه ايفاد الخوري يوسف التيان (البطريرك بعدئذ) الى رومية بمثابة قاصد عن الطائفة ، يبين للبابا افتراء خصومها عليها ، ويلتمس منه اعادة البطريرك الى ولايته ، حاملاً اليه والى المجمع المقدس بهذا المعنى رسائل كان اكثرها من الشيخ سعد المذكور . وهذا هو نص كتابه الى الاب الاقدس : « غب تقبيل مواطىء اقدامكم الرسولية ... اعرض بكل تواضع بان واصل مع القس يوسف تيان القاصد عنا ، مكتوبان من سعادة افندينا الامير يوسف الشهابي المحترم ، فالواحد لقداستكم والثاني الى مجمعكم انتشار الايمان المقدس ، مترجياً بها رجوع سيدنا البطرك ماري يوسف اسطفان الى كرسيه البطريركي ، فالمرجو من مراحمكم يا ايها الاب الاقدس بان تقبلوا رجا افندينا المشار اليه وطلبة عبدكم ، لان هذا هو عين الراحة للطائفة المارونية . فهذا ما ارجوه من عواطف حلمكم مقبلاً اقدامكم ملتمساً صالح دعاكم » .

حرر في مدينة جبيل في ١٥ اذار ١٧٨٤

عبدكم
سعد الخوري

(سلسلة بطاركة الطائفة المارونية لرشيد الشرتوني صفحة ٧٢)

عليه في دفتر عائلي محفوظ لدى امين بك السعد ، وهو بخط عمه المرحوم نجيب بك ، نقله عن محررات بكركي بتاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٨٩٩ ، بشهادة المطرانين يوسف نجم ويوسف دريان . والجواب بدون تاريخ والارجح انه كتب بعد وصول الاب دي مورتا في مطلع سنة ١٧٧٥ الى لبنان في رحلته الاولى ، لانه في الرحلة الثانية جاءه وهو اسقف باسم المطران كرافري اسقف انوش . وهذا بعض ما قاله الشيخ سعد في جوابه :

« انه في ابرك وقت وصلت لنا مشرفتكم عن يد حضرة قاصدكم المحترم دي مورتا ، وصحبتها المدية الجليلة التي تكرمتم بها على ولدكم . نشكر فضلكم على ذلك ، سيما لاجل بيان ردكم واعتباركم لنا من غير استحقاق ... ثم توصونا بحماية وتأييد حضرة قاصدكم المذكور ، واجراء مراسمكم المقدسة السابقة واللاحقة ، فامتثالاً لامركم الجليل ولخاطركم العزيز جداً ، بذلنا كل مجهودنا عند جناب سعادة افندينا الامير يوسف المحترم ، ادام الله تعالى عزه ونصره ، بصلواتكم المقبولة ، في قضاء الامرين المذكورين ، وبنعمة الله تعالى وبصفو خاطركم ونظر افندينا السعيد قد تم كل شيء الآن باحسن الامكان ، كما تطلعوا من جوابات سعادته الواصلة طيه » . الى ان قال : « ونحن بكل حال ملتزمين في طاعة وخدمة هذا الكرسي المقدس في كل شيء بكل عزمنا وقوتنا ، ولو كان بذهاب كل مالنا حتى وبسفك دمنا ، بعون الله تعالى ، مستعدين لذلك دائماً ، لأنه فرض علينا وعلى كل مسيحي كاثوليكي حقيقي .

« اما من جهة القاصد المحترم فمن حين وصوله الى طرفنا الى الآن ، ما اهملنا قط حمايته والانتصار له بكل ما يتصل بنيافتكم لاجل خاطركم وطاعتكم . وربما ان الوقاية والرعاية والمجابرة التي صارت له من قبل حلم افندينا ما صارت لغيره من القصاد قبله ، حسب تسهيل الاوقات ، وحضرته اهل لذلك ... »

رسالة من الشيخ سعد الى الحبر الاعظم

وتطورت قضية البطريرك يوسف اسطفان والراهبة هندية وتكاثرت الشكاوى بشأنها الى الكرسي الرسولي ، وحامت حولها شبهات حملت البابا

بيوس السادس على اصدار امره بالغاء رهبانية هندية ، وبحط البطريرك عن سلطانه البطريركي والاسقفي ، واستدعائه الى رومية لتبرئة نفسه ، فأطاع البطريرك للحال واتجه الى حيفا يريد ركوب البحر منها ، ولكن اشتدت عليه اسقام اضطرته الى الوقوف في جبل الكرمل ذليلاً منبوذاً .

وكانت الطائفة ازاء هذا الحادث ، يتنازعها عاملان : عامل الخضوع للكرسي الرسولي حفاظاً على ايمانها الكاثوليكي ورعاية لتقاليدها وعادات اجدادها ، وعامل الانتصار لكرامة بطريركها الذي كان يؤمن كثيرون ببراءته مما قرّف به ؛ والتوجع لما عزي اليها من العصيان لاوامر الكرسي الرسولي بشايعة هندية ، رغم مبادرتها الى العمل بتلك الاوامر حال صدورها . وكان الشيخ سعد اول من اهتم لتلك الشؤون لعظم رغبته بابقاء علاقات طائفته برومية ، على متانتها المعتادة منذ القدم ، ولاجل اصلاح الحال عقد مؤتمراً في بكركي حضره اساقفة الطائفة واعيانها ، وتقرر فيه ايفاد الخوري يوسف التيان (البطريرك بعدئذ) الى رومية بمثابة قاصد عن الطائفة ، يبين للبابا افتراء خصومها عليها ، ويلتمس منه اعادة البطريرك الى ولايته ، حاملاً اليه والى المجمع المقدس بهذا المعنى رسائل كان اكثرها من الشيخ سعد المذكور . وهذا هو نص كتابه الى الاب الاقدس : « غب تقبيل مواطىء اقدامكم الرسولية ... اعرض بكل تواضع بان واصل مع القس يوسف تيان القاصد عنا ، مكتوبان من سعادة افندينا الامير يوسف الشهابي المحترم ، فالواحد لقداستكم والثاني الى مجمعكم انتشار الايمان المقدس ، متوجباً بها رجوع سيدنا البطرك ماري يوسف اسطفان الى كرسيه البطريركي ، فالمرجو من مراحمكم يا ايها الاب الاقدس بان تقبلوا رجا افندينا المشار اليه وطلبة عبدكم ، لان هذا هو عين الراحة للطائفة المارونية . فهذا ما ارجوه من عواطف حلمكم مقبلاً اقدامكم ملتمساً صالح دعاكم » .

حرر في مدينة جبيل في ١٥ اذار ١٧٨٤

عبدكم
سعد الخوري

(سلسلة بطاركة الطائفة المارونية لرشيد الشرتوني صفحة ٧٢)

من الشيخ سعد الى رئيس المجمع

ومن كتاب للشيخ سعد الخوري الى رئيس المجمع المقدس مع القاصد التيان ، وفيه من آيات الاخلاص ما يدل على تعلق الموارنة الشديد بالكرسي الرسولي ، وتاريخ الكتاب ١٥ اذار ١٧٨٤ :

« ان الاب القس يوسف تيان المكرم تلميذ رومية سلمنا البراءة ، بالحالة تركنا كافة مهماتنا وتوجهنا الى بكركي . وهناك اجتمعنا مع ساداتنا المطارنة ورؤساء الرهبنات والبعض من المرسلين من ابناء طائفتنا ، والبعض من المشايخ الموارنة المحترمين ، ووضعنا الاجتهاد الكلي بالفحص والتفتيش مدققين عن كل ما هو مذكور بالبراءة ، فلم كنا نجد آثار في جميع الطائفة الى ما هو محرر بها ، فلازم ان الجميع حرروا عروضات لقدسه (الحبر الاعظم) ولمجمعكم بايضاح كافي في بطلان هذه التهم ... لقد تحقق عندنا بأن مجمعكم يقبل بنا الشكايات الكاذبة من الاخصام ، خلافاً لما كنا نؤمله من مراحمكم ... لاننا نحن الذين بسيف سعادة الامير يوسف المحترم حرسه الله تعالى قد نجزنا كل امر من غير واسطة احد ، ووضعنا الطائفة بكل راحة بسهرنا ... ونحقق ان غيرنا لن يفعل شيئاً ولو ان الامر يرجع الى رأي من كان مقلداً وظيفة القصادة (الاب دي مورتا) فالى الآن لم يكن نجز أمراً ... اعرضنا لدى نيافتكم بان سيدنا البطريرك لم يلتجيء الى احد من الحكام ، وانه بالحقيقة رافض كل امر مختص بهندية المغشوشة ، وانه خضع لامركم بكلي وجزئي ... فقد استغربنا كيف حتى ان استقامتكم وفطنتكم قد قبلت شكايات مثل هذه ضد السيد البطريرك التي ليس لها حقيقة فقط بل ولا اثر كلياً ... وبما انه لا يليق بنا ولا يحق لنا ان نتكلم مع نيافتكم الا بنوع الرجاء والتوسل ، فلذلك نتوسل الى مراحمكم بان تسرعوا لنا بارسال التصريف الى بطركنا مع الاب القس يوسف تيان الراجع لعند حنوكم ، قاصداً عنا وعن الطائفة كافة ، وأن تردوا السيد البطريرك الى كرسيه بالاكرام » .

(عن بصائر الزمان صفحة ١٨٥ وسلسلة البطاركة صفحة ٧٥)

وسائل اخرى للشيخ السعد الى المجمع المقدس وبعض الكرادلة وغيرهم

وكتب الشيخ سعد مع القس يوسف التيان بالتاريخ نفسه ، عدة رسائل وجهها الى الكردينال ديبرنس ممثل فرنسة لدى الكرسي الرسولي ، والكردينال كرسيني ، والمجمع المقدس ، يبرىء فيها البطريرك يوسف اسطفان ، طالباً ارجاعه الى كرسيه . وقد خص المجمع المقدس برسالتين : الاولى باسم المطارنة وقعها معه السادة مخايل الخازن ، وارسانيوس شكري ، وجبرائيل مبارك ، وميخائيل فاضل ؛ والاخرى باسم الطائفة ، وقعها معه الاساقفة ورؤساء الرهبانيات وتلاميذ رومية وبعض المرسلين والاعيان من أمر خازن وحبيش والدحداح والرزي . وهذا ملخص الرسالة الاولى :

« لا يسعنا الا ان نبين لنيافتكم ان صبرنا قد نفد ، ويوجعنا اكثر من كل شيء ان اتعابنا وطاعتنا كوفئت بالخط الحبري الذي جرح افئدتنا وخيّب املنا (خط سنة ١٧٧٩) ...

لم تألف طائفتنا ان تسمع من جانب الكرسي الرسولي ... الا تقاريظ الاحبار الاعظمين ... لانها حفظت ايمانها سالماً نقياً قروناً عديدة ... فنسأل نيافتكم ان تبينوا لنا ما فعلنا حتى استحققنا هذه الخطوط ؟ ... اذا كان البطريرك يوسف والراهبة هندية ارتكبا بعض هفوات ، فقد اقتصصتم منهما ، ونحن الذين انفذوا احكامكم ، أهكذا نعامل ونكافأ ؟ ...

ان الكرسي الرسولي ومجمعكم المقدس لا يهملاننا لانه لا شيء يفصلنا عنهما او يخفف من طاعتنا لهما ... ولو قُدّر ان امم الارض كلها وممالكها جميعها حتى ايطالية نفسها ، لا سمح الله ، نبذت طاعة الكرسي الرسولي ، فنحن الموارنة ثابتون فيها لا نميل عنها ، ولو بقينا وحدنا وهرقنا دماء المهج في سبيلها ...

اذا كان الكرسي الرسولي ومجمعكم المقدس يريدان ان يراسلانا بواسطة الغير ، وأن ينيطا امورنا بأشخاص آخرين اياً كانوا ، فنحن لا نريد أن تكون امورنا منوطة الا بالكرسي الرسولي وبنيافتكم ولا نطيع سواكم ... بحيث لا نفقد حريتنا الكنسية ، وعاداتنا القديمة المثبتة من

الكنيسة المقدسة ، بل نرجو ان الحبر الاعظم ومجمعكم المقدس يزيدان ويؤيدان حريتنا وعاداتنا المذكورة » .

وهذا موجز الرسالة الثانية :

بعد ان اشارت هذه الرسالة الى تضحية الموارنة براهبات هندية ، وهن بناتهم ومن لحمهم ودمهم ، وبسلخهن عن ديرهن والغاء قانونهن ، وببطريركهم الذي هو شرف رأسهم وكرسيهم الانطاكي ، وذلك ليعربوا عن طاعتهم للكرسي الرسولي ، غير آبهين لسخرية الاجانب بهم ، واصلت القول بلسان موقعيها :

« آه كيف جرحت افئدتنا ... على ان طاعتنا للكنيسة المقدسة والكرسي الرسولي المعروفة منذ عهد الرسل جعلتنا نحتمل ذلك بخضوع مسيحي ... اين اتعاب آبائنا من القديم الى الآن ؟ اين شرف طائفتنا التي حفظت منذ نشأتها الايمان الكاثوليكي في الشرق ، وهرقت دماءها في سبيل صيانته سالماً نقياً ، لا وصمة فيه ، وسلمته الى باقي الطوائف ، الطائفة المارونية هذه الشجرة الكاثوليكية الثابتة اصولها على الرسل في الايمان الحق ، أيكافئها اليوم المجمع المقدس هذه المكافأة ؟ ...

اننا نلتمس منكم الحلم والمكافأة الواجبة لطائفتنا ، ونبتهل اليكم ... بألاّ تثقوا بما يردكم في المستقبل من الرسائل التي تكون ضدنا ، قبل أن تبحثوا عما فيها وتتيقنوا صدقه ... وان تجودوا علينا بتوسيع حريتنا القديمة ، كماً لافواه اعدائنا . وفي الختام بينما نتوقع ان يؤاسي الكرسي الرسولي جراحنا نسأله تعالى ان يصون مجمعكم المقدس ويؤيده بيمينه القادرة ويسعده بنعمه الخاصة » . (بصائر الزمان صفة ١٨٩)

جواب الحبر الاعظم الى الشيخ سعد الخوري

وقد لاقت هذه الرسائل حسن القبول في رومية ، ووردت الاجوبة السارة عليها ، مع القس يوسف التيان . وها نحن ننشر مقتطفات من الجواب البابوي الموجه الى الشيخ سعد (نقلاً عن سلسلة البطاركة صفحة ٨٧) :

« البابا بيوس السادس

« الى الابن الحبيب والرجل الشريف الحبيب السلام والبركة الرسولية

« لم يطرأ على فكرنا قط ارتياب في اهتمامك بصيانة الديانة الكاثوليكية من كل انثلام ، بل اننا نقرظك بجزيل المدح ، ونقر بان اطفاء تلك النيران البركانية قد كان خاصة باعتنائك ، ونشهد بأنه ينبغي ان ينسب اليك تخميد ذلك الاضطراب هناك بواسطة المراسيم الرسولية الصادرة سنة ١٧٧٩ ...

« وقد شملنا مزيد الحبور منذ تقدم لنا من البطريرك يوسف اسطفان علائم الخضوع ، وغنمه السماح عما مضى وسلام الكرسي الرسولي ...

« ومن ثم فوضنا الى اخينا المحترم اسقف انوش قاصدنا الرسولي ان يحضر الى كسروان ، وبالسلطان الرسولي يرد البطريرك الى كرسيه وحقوقه .

« فمن هنا تفهم الطائفة المارونية كلها كيف هو قلبنا لنحوها ، وكيف اننا مستعدون لان نهبها كل دلائل استمالتنا الابوية وانشراح خاطرنا ، واننا لا نشاء ان يفوق علينا بمحبتها احد اسلافنا الذين ابدوا نحوها استمالة واعتباراً فريدين ، من حيث اننا لم نزل نشاهد كل يوم ونتحقق بزيادة عدم انثلام ايمانها وثباته الدائم لاحترامها وخضوعها لكاتدرا الطوباوي بطرس ، اذ نحتسبها دائماً بمنزلة الابنة المحبوبة جداً والكلية التعلق بنا بين طوائف المشرق جميعها ...

« ثم ان ولدنا الحبيب الخوري يوسف التيان الذي اتى بكتاباتكم الينا ، وهو راجع برسالتنا هذه اليك ، وحيث انه قد تم لدينا ذلك الامر الذي تقلده من طرفكم بنوع يستحق المدح الجزيل ، فلهذا نراه أهلاً لتوصيتنا لكم به ولا نرتاب انها تكون لديكم بغاية الاعتبار والاحترام .

« اعطي في رومية حذاء كنيسة مريم الكبرى تحت ختم الصياد في ٢٨ ايلول سنة ١٧٨٤ وهي السنة العاشرة لحبريتنا » .

وقد احترمت وصية البابا فرقي الكاهن المشار اليه الى درجة الاسقفية ثم الى المقام البطريركي .

الكومي الرسولي يعزّي بالشيخ سعد

وبعد مدة توفي الشيخ سعد (١٧٨٥) فحزن عليه كثيراً الامير يوسف واللبنانيون ، وبلغ منعاه الى رومية ، فبعث الكردينال انطونللي رئيس المجمع المقدس وقتئذٍ برسالة الى البطريرك يوسف اسطفان يعزيه وطائفته به ، ومما جاء في تلك الرسالة :

« ورد الينا النبأ المحزن بانتقال الشيخ سعد الخوري من هذه الحياة . فحقاً انها لخسارة مفجعة أولت حزناً شديداً هذا المجمع المقدس ، وعليه فاني اعزي سيادتكم وتلك الطائفة المحبوبة بفقدكم محامياً غيوراً جداً ، وسنداً وطيداً لدى شخص الامير . وقد كان حزننا ازداد او لم تكن آمالنا معقودة على ان الشيخ غندور ولده سيخلفه في الخدمة ، وهو على ما نعلم رجل ذو استحقاق عظيم وذو غيرة لا تقل عن غيرة ابيه الكلي الاستحقاق . فعندما يكاف تدبير اعمال الامير نؤمل من سيادتكم ان تقدموا له التهانيء القلبية من قبل هذا المجمع المقدس ، وان تحرضوه باسمنا على اقتفاء آثار والده الممدوحة ، خاصة في ما يتعلق بحماية وتعزيز ديانتنا المقدسة » ...

لقب كونت روماني لغندور بك السعد

وفي شهر اذار من سنة ١٨٩٨ انعم الطيب الذكر البابا لاون الثالث عشر على المرحوم غندور بك السعد بلقب كونت روماني ، وذلك مكافأة له على ما كان يقوم به من المبرات ، وتقديراً لبيته الرفيع القدر القديم الجاه ، وصاحب الخدم الكثيرة للطائفة والدين ، وذلك بموجب براءة حبرية باللغة اللاتينية ما تزال محفوظة في دار حفيده امين بك السعد ، ضمن اطار ، وهذه ترجمتها :

« البابا لاون الثالث عشر

« الى حضرة ابننا الحبيب السلام والبركة الرسولية

اعتدنا ان نرفع الى مرتبة شرف سامية ، طبقاً لعادات ومقررات الاحبار الرومانيين ، الرجال العظام الذين يجهدون النفس في المحافظة على

شرف الحسب والنسب الموروث عن الاجداد ، ليس بمزاولة المناصب فقط ، بل بالتزين ببهاء التقوى والفضيلة .

« ولاجل ذلك وبما انك عنوان التقوى والايمان المقرونين بالعمل والغيرة نحو شخصنا والكرسي الرسولي كأولئك الرجال العظام ، ارتأينا ان نوفعك الى مرتبة شرف سامية تكون برهاناً دائماً على انعطافنا الخاص عليك وعلى آلك . ولما كنا نروم ان يشمل انعطافنا هذا كل من توجّه اليهم رسالتنا اجمالاً واقراراً ، فبعد حلّ الجميع من كل حرم وقطع ، ومن سائر الاحكام والتأديبات والعقوبات الكنسية التي لعلكم تكونون قد سقطتم فيها ، ومع اليقين بأنكم ستُحَلّون منها لاجراء النعمة الحاضرة ، نقلدك ايها الابن العزيز بمرسومنا هذا وبقوة سلطاننا رتبة « كونت » ، فنقيمك ونعلنك بها مع ابكار أسرتك الذكور ، يتوارثونها عنك بطريق التسلسل كابراً عن كابر ، بشرط ان يولدوا عن زواج شرعي ، ويعتصموا بعرى الديانة الكاثوليكية ، ويثابروا على اداء الاكرام لهذا الكرسي المقدس .

وعليه نسمح لك ايها الابن العزيز ولاعقابك المشار اليهم ان تتخذوا هذا اللقب ، بحيث يمكنكم ان تستعملوه شرعياً ، وتتمتعوا بكل اصناف الشرف والامتيازات والانعامات التي يستعملها ويتمتع بها حائزو هذه الرتبة الشريفة ، او عسام يحوزونها فيما بعد ، فتستطيعون وسوف تستطيعون استعمالها مع التمتع بها في الكتابات العامة والخاصة والمدنية وفي مراسلاتكم الى الكرسي الرسولي .

« ثم اننا نقضي بان منطوق هذه البراءة ثابت وشرعي وفعال في الحال والاستقبال ، وانه نافذ بجزئياته وكلياته ، وشامل بامتيازاته المذكورة كلها من انيط وسيناط بهم الامر كافة . هكذا يحتم ان يجري ذلك ويعمل به جميع القضاة ، سواء كانوا نواباً ام رؤساء ذوي سلطة ثابتة ، بحيث ان كل من يخالف الاحكام المذكورة يعد عمله باطلاً وملغى ، ونبطل كل ما هو مخالف لاوامرنا هذه .

« اعطي في رومية بالقرب من القديس بطرس ، تحت ختم الصياد ، في ٢٦ اذار سنة ١٨٩٨ وهي السنة الحادية والعشرون لحبريتنا » .

وفي الوقت نفسه انعم البابا لاون الثالث عشر على المرحوم حبيب باشا السعد بوسام رفيع الشان (راجع جريدة البشير عدد ١٤ اذار ١٨٩٨) . وقد افادنا امين بك السعد ابن اخيه ان الوسام المذكور هو وسام القديس غريغوريوس الكبير من رتبة فارس .

علاقات آل جنبلاط

ينتسب آل جنبلاط الى جدهم جانبولاد الكردي الايوبي الذي تولى كلس سنة ١٥٧٢ وخلفه ابنه حسين باشا في الولاية ، وامتد حكمه الى حلب ، ثم اشتهر من احفاده مصطفى باشا وعلي باشا ، وتعرف هذا الاخير الى الامير فخر الدين الثاني الكبير وعاونه في حروبه مع آل سيفا وتقرب مثله من الحبر الاعظم ، على امل ان يعاونها بواسطته ملوك اوربة على التخلص من حكم الاتراك ، ولكن السلطان وجه الى علي باشا جيشاً بقيادة مراد باشا الصدر الاعظم أنزل به نكبة اليمة وهزمه بعد ان قتل كثيرين من اعوانه .

الجنبلاطيون في لبنان

ولاذ بلبنان بعد تلك النكبة من هذه الاسرة جانبولاد بن سعيد ابن عم علي باشا سنة ١٦٣٠ مع ولده رباح ، ونزلا اولاً في مزرعة الشوف حيث حُرّف اسم جانبولاد الى جنبلاط وشيّخ الامير فخر الدين جنبلاط وعينه محافظاً على قلعة شقيف ارنون وقائداً لحاميتها البالغة خمسين جندياً .

وكان الشيخ ابو نادر الخازن قائداً عاماً لجيش الامير فأحب جنبلاط ، وكانت تلك المحبة فاتحة العلائق الودية التي ما زالت اسرتا جنبلاط والخازن ترتبطان بها حتى اليوم .

ومات الشيخ جنبلاط في القلعة الآنفة الذكر سنة ١٦٤٠ فسكن

ولده رباح بعذران وتزوج بنت قاض من آل تنوخ اسمه الشيخ قبلان كان شيخاً لمشايخ الدروز وكانت زوجته وحيدة، فلما مات ابوها سنة ١٧١٢ انتقلت الى زوجها املاكه ورتبته بعد ان دفع عنها للحاكم الامير حيدر شهاب الضريبة المترتبة عليها وقدرها ٢٥ الف غرش.

وقام بعد رباح ابنه الشيخ علي في المختارة، فأحب النصارى واتخذ منهم اكثر اعوانه ووهب الرهبان قطع ارض من املاكه وساعد قرى مسيحية اخرى على بناء الكنائس، فجاءته كتابات شكر من رومية على مبراته وحسن سلوكه، ولم يقع في يدنا من تلك الرسالات الا واحدة وجهها اليه البابا اكليمنضوس الثالث عشر مؤرخة في ١١ ايلول من سنة ١٧٦٥، وقد توجها بالعبارات التالية قال:

«الى الرجل النبيل المقتدر الشيخ علي جنبلاط.

«من البابا اكليمنضوس الثالث عشر.

«انه بعد ان انتظمت قضايا البطريركية الانطاكية وارتفعت من الوسط جميع المخاصمات التي كانت قسمت الى فرقتين الاكليروس والشعب الروم الملكي المتحد مع هذا الكرسي الرسولي، كنا نظن انه لم يبقَ مكان للمخاصمات والمضادات.

«ولكن قد خيب ظننا هذا حالاً وبغتة اغناطيوس جوهر اسقف صيدا الذي لكونه مساق من كبرياء وقحة قد اقام ذاته من جديد بطريركاً دخيلاً، ولم يتوقف عن ان يجدد الشقاق الشنيع جداً ولم يرهبه الخطأ النفاقي هذا، بعد ان وعد وعاهد بالقول والكتابة وأكد وعده بالقسم بأنه لا يتطلب المقام البطريركي اصلاً، نكث اخيراً بوعده بوقاحة فظيعة.

«واذ بلغتنا هذه الاخبار ازعجتنا جداً فرأينا ان نسلك الطريق التي بها تخمد جسارة انسان مجنون، ويلجم جميع اولئك الذين اتخذهم سعلته ورفقة جنونه. ولهذا فبسلطاننا الرسولي قد اشهرنا اغناطيوس ورفاقه ومساعديه والمشتركين بانتخابه انهم مرتبطون بعقاب الحرم، ومفروزون من محفل المؤمنين. وامرنا ايضاً جميع الروم الملكية افراداً واجمالاً التابعين ايمان

الكنيسة الرومانية الارثوذكسي ان يمتنعوا عن مخالطة المذكورين ، وان يتحدوا مع بطريركهم الحقيقي والشرعي اخينا الموقر ثاودوسيوس فقط .

ولكن لكي تكمل هذه الاوامر فيفيد في ذلك كثيراً جداً سلطانك ايها الرجل النبيل والمقتدر ، ولهذا نضرع اليك بكل انصباب كي ترتضي بأن تشمل بعنايتك المقتدرة ثاودوسيوس البطريرك الشرعي ، وان تمنع اغناطيوس البطريرك الدخيل عن ان يتجاسر في ان يؤذي حقوقه ، او ان يبلبل سلام وهدؤ الشعب . واننا لواثقون بانك تفعل ذلك بطيبة خاطر كما يقتضي لطفك السامي ، وغيرتك نحو العدل الذي نعرف انك متمسك به وممدوح لاجله مدحاً بليغاً . هذا واننا نعدك بالقيام بجميع الاشياء التي نعرف انها مرضية ومقبولة لديك ، ثم اننا نلتمس لك من ابي الانوار السماوي معرفة السعادة الحقيقية ونوالها .

اعطي برومية بجذاء كنيسة القديسة مريم الملقبة بالكبرى في اليوم الحادي عشر من ايلول ١٧٦٥ وهي السنة الثامنة من حبريتنا .

(نقلًا عن الصفحة ٤٢٢ من الاصول التاريخية للاب بولس مسعد والشيخ نسيب وهيبة الخازن) .

وتولى اقطاع الشيخ علي من بعده ابنه الشيخ قاسم ، ونهج نهجه في تقريب المسيحيين اليه والاحسان الى رهبانهم وكهنتهم ، مما جعل البابوات الذين كانوا في تلك الايام يتحفونه بعلامات الرضى (راجع ما كتبه طنوس الشدياق في تاريخ الاعيان عن آل جنبلاط) .

عمود الفلك

وورثه من بعده ابنه الشيخ بشير جنبلاط الكبير الملقب عند الدروز بـ (عمود الفلك) . وكان من اخص حسنات هذا الشيخ للنصارى ، انه ساعد سنة ١٧٩٩ على تجديد بناء دير مشموشة للرهبان المراونة ، فبلغ ذلك بابا رومية فأرسل اليه مرسوماً يتضمن مزيد الامتنان منه . وقد ذكر توجيه هذا المرسوم تاريخ الاعيان لطنوس الشدياق في الصفحة ١٤٢ ،

وتاريخ القس ووفائيل كرامة الذي نشره المطران باسيليوس قطان باسم « مصادر تاريخية » في تاريخ السنة الـ ١٧٩٩ ، ولكننا لم نعثر على نص هذا المرسوم رغم ما قمنا به من بحث وتنقيب ، ولعله ضاع في اثناء الفتن التي نشبت في الشوف خلال القرنين الفائتين .

ومن سلالة الشيخ بشير جنبلاط معالي الاستاذ كمال جنبلاط النائب ووزير الداخلية ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، المعروف بتسامحه وتجرده عن النعرات الطائفية ، وبما له من علائق ولاء مكينة مع كثيرين من النصارى ، وبما ورثه عن اسلافه العظام من امجاد ومكرمات واخلاق رفيعة احاطته بهالة من المحبة والتقدير .

علائق الاسرة الحبيشية

الاسرة الحبيشية اصلها من قرية يانوح ، هاجر جدها حبيش شيخ يانوح مع اولاده الثلاثة وبعض قومه اثر عداوة وقعت بينهم وبين اهالي المافورة ، وحلوا في غزير في اوائل القرن السادس عشر ، وكانوا فخام الجثث طوال القامات حصفاء الرأي حسني التدبير ، فقربهم الامراء آل عساف اليهم واستعانوا بهم في ادارة الاحكام في كسروان وجبيل ، فكبر شأنهم .

وظل نفوذ آل حبيش يتعاظم بما ادوه من خدمات لآل عساف ، وبما نشروه من حماية على ابناء ملتهم الموارنة ، حتى اتصل امرهم برومية ، فكتب الكردينال كرافا نصير الموارنة فيها سنة ١٥٨٠ عدة رسائل الى عميدهم الشيخ ابو منصور يوسف حبيش ، يشكره باسم البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ - ١٥٨٥) ، وقد قال عنه الاب اليانو القاصد الرسولي حين مجيئه الى لبنان سنة ١٥٧٨ : « انه يمثل هنا (اي في لبنان) الدور الذي كان يمثله يوسف الصديق في مصر ، وذلك لما له من المقام الرفيع لدى الاتراك » .

ولما عاد الاب اليانو الى لبنان في قصادته الثانية سنة ١٥٨٠ ، ووصل الى طرابلس في ٢٩ حزيران من السنة المذكورة ، لاقاه الشيخ يوسف ابو منصور حبيش اليها ، وساعده على المرور في ديوان الجمرك دون انزعاج ، وأنقذ أمتعته من النهب (لبنان للخوراسقف داغر صفحة ٣٢٢) .

وكان اليانو قد جاء برسالة من الكردينال كرافا وببعض هدايا للشيخ ، فسرّ بها وافرغ كنانة جهده في حماية القاصد ورفيقه حيث حلاً ، اذ كان يبعث برجل من اعوانه ليرافقهما في تجوالهما ويحميهما من اي اعتداء .

وكان الموارنة الذين يسكنون بجوار المسلمين في تلك الايام ، يكتمون نصرانيتهم خوفاً ويتعممون بعمامة بيضاء متظاهرين بالاسلامية ، وقد لقبوا بسبب ذلك بالموارنة البيض . فجمعهم الاب اليانو وافهمهم ان الرئاء في الدين لا يجوز ، وطلب من الشيخ يوسف ابي منصور حبيش ان يسعى لدى الامراء بني العساف وساسة الترك في اطلاق الحرية لهؤلاء الموارنة ، بان يجهروا بدينهم دون خوف ففعل ووفق في مسعاه (المشرق ١٨ : ٩٧٥ ولبنان للخوراسقف داغر صفحة ٣٣٤) . وينسب المطران يوسف الدبس في كتابه الجامع المفصل صفحة ٢٩٩ الى البطريرك يوسف الرزي النجاح في هذا المسعى ، لقاء مبلغ كبير من المال دفعه لآل سيفا .

ومن الحبيشيين الذين استحقوا عطف الحبر الاعظم البابا اوربانوس الثامن (١٦٢٣ – ١٦٤٤) الشيخ يونس ابو ضاهر ، فهو الذي قلنا في كلامنا سابقاً عن علائق الاسرة الخازنية بالكرسي الرسولي ، ان هذا البابا ارسل اليه والى الشيخ ابي نادر الخازن كتابين وخصهما ببعض الاسلحة ، منها سيف للاول ودرع وسيف للآخر .

ولم نعثر على نص الرسالتين البابويتين المنفذتين الى الشيخين المذكورين ، ولكننا قرأنا رسالة انفذها البابا اوربانوس الثامن الى البطريرك يوحنا مخلوف بهذا المعنى ، وقد جاء فيها بخصوصهما الكلمة التالية :

« ولما علمنا ان ولدينا العزيزين خازن قائد الجيوش وحبيش امين الخزنة المتمتعين بنفوذ كبير لدى الامير ، يستحقان عطفنا ، رغبنا اليك في ان

تسلمها بيدك السلحة المباركة التي اهديناها اليها ، ويمكنك ان تؤكد لبقية الاعيان حبنا لهم وان تمنحهم عنا البركة الرسولية » .

وتحمل هذه الرسالة تاريخ ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٦٢٨ .

وقد اجابه السيد البطريرك على رسالته هذه ، بكتاب أنفذه الى القيم البابوي السيد فوستو ، وهذا ما جاء في الجواب بشأن الشيخين :

« وصلوا الحوايج التي بعثتوهم ... وفيهم سيفين ملبسين كمخ اصفار (اصفر) ، الواحد ليونس حبيش خذو تذكار الامير ، والآخر للخازن مع درع لقبطان كل العساكر . هولاي اكابر طائفتنا وآصال اب عن جد » (قرألي في تاريخ فخر الدين الثاني صفحة ٣٤٨) .

في القرن الثامن عشر

وفي سنة ١٧١٧ ضرب واليا صيدا ودمشق بلدة غزير ، فالتجأ اهلها الى ملك فرنسة ، وأرفدا الشيخين قنصو بن عساف وباز بن طالب شديد حبيش الى فرنسة للسعي لديه في امر حمايتهم ، فمرّ الشيخان برومية وطلبا من الكرسي الرسولي ان يكتب الى السفير البابوي في باريس ، ليوصي الملك بهما ، ففعل وكتب ايضاً الى البلاط الملكي كي يظلل بحمايته الطائفة المارونية .

وفي بصائر الزمان ، ان الكردينال كاستللي كتب الى المشايخ آل حبيش بمناسبة وقوع حوادث هندية والبطريرك يوسف اسطفان ، يحضهم فيها على العمل باوامر رومية ، كما كتب الى غيرهم من اعيان الطائفة واكابر اللبنانيين في ذلك العهد بالمعنى نفسه .

علاقات آل طرازي

آل طرازي اسرة حلبية الاصل ، قدم جدها انطون طرازي المعروف بالمقدسي الى بيروت عام ١٨٠٨ ، فاشترى قيصرية في سوق البازركان وفتح فيها محلاً تجارياً ، ثم شيد داراً واسعة لسكنه في محلة « الخندق الغميق » ،

وتوفي سنة ١٨٥٥ بعد ان قام بخدمات جليلة في سبيل طائفته السريانية ، فكان ينزل رؤساءها الروحيين بداره ، ويسعى في جمع شمل افرادها ، ويدافع عنهم ويقدم لهم المساعدات ، وهو مع اولاده نصرالله ونعمة الله وفتح الله واسعد يوسف الذين شاركوا على بناء اول كنيسة للسريان في بيروت ، وهذه الكنيسة هي المعروفة الآن بكاتدرائية القديس جرجس في شارع سورية ، وبذلوا على بنائها وتزيينها المال الوفير .

وكانت للمرحوم انطون وللطيبي الاثر اولاده علاقات مكينة بالكرسي الرسولي ، فسافر الاول (انطون) الى عاصمة الكثلكة عام ١٨٢٩ ، وحظي فيها بمقابلة البابا بيوس الثامن (١٨٢٩ – ١٨٣٠) وكان مريضاً ، فأمر البابا طبيبه الخاص بمعالجته وفوّض اليه تعليم اللغة السريانية في مدرسة نشر الايمان ، وتدريس بعض المخطوطات السريانية في المكتبة الفاتيكانية ، وترجمة بعضها الآخر ريثما حصل على الشفاء ، فعاد الى بيروت حاملاً هدايا نفيسة انعم بها عليه الحبر الروماني .

وفي ٢٠ شباط من سنة ١٨٨٠ ، اهدى الحبر الاعظم البابا لاون الثالث عشر وسام القديس سلفسترس الى المرحوم نصر الله طرازي شارة رضى وتقدير . ثم عاد في سنة ١٨٩٤ فأهدى اليه رتبة « كونت روماني » تتسلسل في اعقابه الذكور كابراً عن كابر ، بموجب براءة حبرية مؤرخة في ١٦ ت٢ من تلك السنة .

ولما اشتد المرض بالكونت نصر الله وبلغ ذلك مسامع البابا ، اوعز الى وزير دولته الكردينال رمبولا بتطيير برقية افتقاد اليه في ٢٢ تشرين الثاني من سنة ١٨٩٥ .

وعلى الاثر رفع الكونت المريض الى صاحب القداسة عريضة امتنان وشكر ، « مجدداً للكرسي الرسولي عهود الولاء والاخلاص والانتماء ، مستمداً صلوات البابا له ولاولاده واحفاده المتمسكين بعرى الامانة للسدة البابوية » .

ومات الكونت نصر الله في ١٠ كانون الاول من تلك السنة ، وطير

نعيه الى الكرسي الرسولي ، فأظهر الحبر الاعظم الاسف على فقده ، وفوض الى وزير خارجيته الكردينال رمپولا تقديم التعازي باسمه الى اسرة طرازي .

ونهج ابناء الكونت نصر الله نهج ابيهم في الاخلاص للكرسي الرسولي ، فتشرف منهم الكونت انطون بزيارة البابا لاون الثالث عشر عام ١٨٩٣ ، لتهنئته ببلوغه السنة الخمسين من اسقفيته ، وحظي الفيكونت سليم بالمثول لدى البابا نفسه مرتين ١٨٩٥ و١٩٠٠ ، ونال منه وسام القديس غريغوريوس الكبير ووسام التذكار المئوي للقرن العشرين (وثائق خطية عن علائق آل طرازي بالملة السريانية للخوراسقف اسحق ارملة من صفحة ١٣٢ حتى الصفحة ١٤١) .

علائق المشايخ الدحادحة

اصل المشايخ آل دحداح من العاقورة . اتصلوا بآل حماده فاقطعوهم ارضاً في الفتوح ، واشتهر منهم في القرن الثامن عشر يوسف كاتب الامير حسين حرفوش ، وخدم ابنه موسى الامير منصور شهاب الحاكم ، وتقرب بعد ذلك الدحادحة من الامراء الشهابيين وقاموا باعباء اعمالهم ومهامهم ، وبعُد صيت احدهم الشيخ سلوم كاتب الامير بشير الثاني الكبير ، وقد سافر معه الى مصر سنة ١٨٢٠ وعلق اخبار رحلته اليها في مقال نشر في مجلة الشرق (١٨ : ٦٨٧ و ٧٣٢ و ٨٨٩) .

وفي سنة ١٨٤١ وقعت معركة دامية بين الدحادحة والحبيشيين ، ادت الى وقوع بعض القتلى ، واتصلت بالكرسي الرسولي اخبار تلك المعركة وما نجم عنها من عداء مستحكم الحلقات بين اسرتين كريمتين ادّتا للدين والوطن كثيراً من الخدمات الطيبة ، فاصدر امره الى القاصد الرسولي آنئذ في لبنان والى المطران انطون الخازن ، بأن يعملا على عقد راية الصلح بينهما واعادة مياه الوفاق الى مجاريها .

وفي اواسط القرن الفائت لمع من آل الدحداح الشيخ رشيد بن غالب بن سلوم ، وسافر الى اوروبة واشتغل بالتجارة والآداب ونال شهرة واسعة ،

فأنعم عليه البابا بيوس التاسع سنة ١٨٦٧ بلقب « كونت روماني » ، مكافأة له على اعماله المبرورة وخلوص خدمته للكنيسة والوطن معاً . وفي الوقت نفسه شمل بذلك الانعام بكر انجاله ثم جميع اولاده وذريتهم من بعدهم ، وكتب بتلك المناسبة رئيس المجمع الشرقي المقدس الى وزير خارجية فرنسة في باريس ، يطلب منه ان يأمر قنصل دولته في بيروت بحماية املاك الكونت رشيد الدحداح في لبنان ، والاهتمام بمصالح اقاربه ورفع التعديات عنهم .

وفي سنة ١٨٨٧ ، ترأس المطران نعمة الله الدحداح وفداً مارونياً توجه الى رومية لتهنئة الطيب الاثر البابا لاون الثالث عشر بيوبيله الكهنوتي ، وفي المقابلة الحبرية التي اذن بها للوفد نال رئيسه المطران نعمة الله من البابا التفاتاً خاصاً . ويروى انه هو اول من فاتحه بامر تجديد المدرسة المارونية في رومية فلقي طلبه لديه قبولاً .

علاقات افرادية مع شتى الاسر

وهناك علاقات اخرى بين الكرسي الرسولي وبعض افراد من مختلف الاسر اللبنانية ، بعُدتْ شهرتهم في عمل الخير وخدمة الدين والوطن ، واتصل خبرهم بالأحبار الاعاظم بواسطة ممثليهم من قصاد وبطاركة واساقفة ، فجادوا عليهم بالبركات والاوسمة والرتب ، مرفقة احياناً برسائل الثناء والرضى تنشيطاً وتقديراً ، ومنهم من جاء رومية لزيارة الاعتاب الرسولية وحظي بالمثول لدى خليفة بطرس ، وعاد من لدنه يطفح قلبه سروراً لما صادفه عنده من ادلة عطف ابوي ومحبة سخية .

وهذه اسماء بعض هؤلاء ممن وعينا ذكرهم في ذهننا او عثرنا على اخبارهم في بعض الكتب والجرائد ، فعلقناها على عادتنا في اضباراتنا نوردها مثالاً لغيرها ممّ لم يتيسر لنا الحصول عليه :

الذين حصلوا على لقب كونت روماني

الكونت رشيد غالب الدحداح ـ الكونت غندور السعد ـ الكونت

نصر الله طرازي – الكونت حصن فرنسيس الخازن – الكونت سليم شديد – الكونت خليل صعب .

الذين حصلوا على بعض الالقاب والرتب البابوية من رجال الاكليروس

البطريرك بولس مسعد (وسام القبر المقدس) – المطران اغوسطين البستاني (جليس لدى العرش البابوي) – المنسنيور لويس زوين (مؤسس مدرسة المزار غزير) – الخوراسقف طوبيا يونس من تنورين – المنسنيور بطرس اوسانيوس من كور رئيس مدرسة مار يوحنا مارون – العلامة المنسنيور يوسف السمعاني المشهور – المنسنيور بطرس مراد – المنسنيور نعمة الله عاد – الاباتي جبرائيل المشقوني – الخوراسقف يوسف اسطمبولي – الخوراسقف يوحنا ذيب – الخوري يوحنا عون – الخوري بطرس روفائيل – المنسنيور بولس السمعاني – المنسنيور بطرس حبيقة بسكنتا – الاباتي يوسف حبيقة (اخوه) – الخوراسقف يوسف الحايك – المنسنيور يوسف شرف الخازن – المنسنيور شكر الله صفير – المنسنيور بطرس عطا الله – الخوراسقف بطرس مبارك بذاذون رئيس مدرسة الحكمة – الاباتي باسيل غانم .

الذين حصلوا على القاب ورتب بابوية من العلمانيين

المشايخ : ابو نادر وفياض ونوفل وحيدر وقيس وحصن وقعدان ورشيد وفريد وكسروان الخازن – الامير افندي شهاب – مسعد مسعد – الياس ابرهيم غانم – الامير يوسف اسمعيل بللمع – داود القرم – يوسف خطار غانم – صالح نعمه ايوب واولاده نعمه ونعمان وسليمان – عبود بك ابو راشد – بشاره الخوري (الصراف من صور) – يوركي مخايل مجلق – فؤاد افرام البستاني – الدكتور مرشد خاطر – الياس الشيان – ادمون كسبار – الدكتور كوميدس – لحود كيروز – البر خياط – شارل ابيلا – فريد الحاج – لويس سليم الفاخوري – الامير جميل شهاب – شكري القرداحي – جورج فارس – الدكتور شاكر الخوري – المركيزة دي فريج – السيدة عقيلة خليل ورده – السيدة عقيلة بشاره طباع – انطون مسعود رزق (حمانا) – الدكتور سليم الجرماني .

١٥
علاقات البابا بالحكام والرؤساء اللبنانيين

وللبابا علاقات ولاء بالحكام والرؤساء اللبنانيين على توالي العصور واختلاف الطوائف ، من عهد المقدمين حتى اليوم .

في عهد المقدمين

المقدمية اسلوب حكومي اقطاعي اخذه اللبنانيون عن الافرنج في العهد الصليبي . واكثر ما نشأت المقدميات في الشمال في بشري واهدن وحقد والعاقورة وغيرها . وكان لمقدم بشري الاولوية عـــلى غيره من المقدمين .

واقدم البابوات الذين اتصلوا بالمقدمين ، على ما نعلم ، البابا لاون العاشر (١٥١٣ – ١٥٢١) . فقد جاء في تاريخ الدويهي الشرتوني ص ٤٨ ، انه وجّه في ١٥ آب من سنة ١٥١٥ كتاباً الى المقدم الياس بن جمال الدين يوسف البشراني حاكم الموارنة يومئذ ، يوصيه فيه بالغيرة على شؤون الدين ، وبالاجتهاد في انجاح سياسة الشعب الماروني ، والمحافظة على آدابه واخلاقه .

وقد عثرنا على بعض فقرات من هذا الكتاب في مجموعة المخطوط الحبيرية الى الطائفة المارونية ، مترجمة بقلم الطيب الاثر المطران يوسف دريان

عن اللاتينية ، ومنشورة في كتابه « نبذة تاريخية عن اصل الطائفة المارونية » فآثرنا نشرها ، وهي هذه :

« الى الابن الحبيب الياس الشريف سيد الموارنة الزمني

... وبعد فاننا نحرضك ايها الابن الحبيب ، بحرمة هذا الكرسي الرسولي ، على ان تواصل تقديم الاحترام الواجب من قبلك ومن قبل رعيتك – كما بلغنا بكل سرور انك عامل حتى الآن – الى البطريرك شمعون بطرس (هو البطريرك سمعان الحدثي الذي جلس على الكرسي البطريركي الماروني سنة ١٥١٤) ، والمطارين والاساقفة والكهنة وسائر الاكليروس ، كاناس يرعون نفوسكم حتى تفلحوا بمعونة الله في كل أعمالكم وافكاركم ، وتقووا على التخلص من عبودية غير المؤمنين .

« اخيراً ولكي تعلم اننا نتخذك كولدنا العزيز بنوع خاص في احشاء المحبة الحنون ، نهدي اليك مع رسول البطريرك بطرس نفسه بزتين لتلبسهما متى شئت تذكاراً لنا .

« وكان بودنا ان نرسل اليك هدايا اخرى عن طيبة خاطر لو عرفنا انها تصل دون خطر . ١٥ – آب ١٥١٥ » .

البابا يخاطب حكام الموارنة

وفي السنة نفسها ارسل البابا المذكور كتاباً الى حكام الموارنة ، وقد كانوا يومئذ من رتبة المقدمين ، يأمرهم فيه بان تكون كنيسة مار يوحنا التي في ارض افقسية وسائر اوقاف الطائفة المارونية في جزيرة قبرس ، تحت تدبير البطريرك ، ويتوعد من يخالف ذلك بالحرم القاطع (الدويهي الشرتوني صفحة ١٤٨) .

وفي السنة ١٥٤٣ ارسل البابا بولس الثالث (١٥٣٤ – ١٥٤٩) رسالة الى المقدم عبد المنعم حنا البشراوي ، وبرسالة اخرى الى الرؤساء وسائر الشعب الماروني ، يحثهم فيها « على ملازمة الطاعة للكنيسة وقبول المشقات بفرح للحظوة بالخيرات الموعود بها لصانعي البر (الدويهي للشرتوني صفحة ١٦٣) .

وفي ١٦ كانون الثاني سنة ١٦٠٩ ، كتب البابا بولس الخامس (١٦٠٥ — ١٦٢١) ، مع المطران سركيس الرزي شقيق البطريرك يوسف الرزي ، كتباً خاصة الى كل من مقدمي الموارنة الذين كانوا في ذلك العهد ، وهم المقدم الياس الرزي والشدياق فرج والشيخ يونس حبيش والمقدم يوسف خاطر (فخر الدين لقرألي في المجلة البطريركية صفحة ١٧٥) .

رسالة البابا الى المقدم يوسف خاطر

ولقد جاءنا بنصّ هذه الرسالة الى المقدم يوسف خاطر ، صديقنا الطيب الاثر المرحوم الاب اغناطيوس طنوس الاديب والمؤرخ المعروف ، وقال انه نقلها معربة عن اللاتيني من مجموعة الاب طوبيا العنيسي للرسالات الحبرية المنشورة في رومية سنة ١٩١١ ص ١١٦ ، وذلك لما يقال من ان عائلتنا « بيت خاطر » تنتسب اليه . وتفصيل ذلك وفقاً لتقليد موروث يتناقله بعض شيوخ العائلة ، انه بعد ان توفي سنة ١٦١٢ ونكب اولاده الثلاثة « نعمة وداود وجرجس » ، هرب احفاده وهم كثر وجاء بعضهم مشمش في بلاد جبيل واختلطوا باهلها ، ونزح احدهم خاطر وابنه سليمان الى بتاتر ، ومنها نشأت العائلة وتفرقت في انحاء مختلفة من لبنان وغيره نذكر منها : دمشق . بيروت وضواحيها . بعبدا . الحدث . شتورا . عين زحلتا . خربة قنافار . رويسة النعمان . بحيرمون الخ ...

اما المقدم يوسف خاطر فقد حكم جبة بشري طوال ٣٨ سنة ، من ١٥٧٤ حتى وفاته ١٦١٢ ، وكان رجلاً عاقلاً حكيماً يستشيره ولاة طرابلس في مختلف مهامهم ومشاريعهم ، وكان تحت يده ثمانية آلاف رجل متأهبين للحرب (راجع تاريخ فخر الدين لقرألي ص ٧٤ و ١٦٣ و٢٣٣).

وهذا بعض ما جاء في الرسالة البابوية الموجهة اليه :

« الى الابن الحبيب يوسف خاطر الشماس الماروني في ناحية بشري .

« البابا بولس الخامس .

« ايها الابن الحبيب السلام والبركة الرسولية .

« ان الاخ الجليل سركيس (الرزي) مطران دمشق الماروني يعود اليكم مزوداً ببركتنا بعد ان قابلناه بسرور في اثناء المدة التي قضاها في المدينة (رومية) ، وأجبناه بمحبة وعلى قدر ما مكننا الرب الى ما سألناه من امور تعود الى رفعة الامة المارونية وراحتها .

« والآن برسالتنا هذه نوصيك بان تهتم به ، فانه حزين جداً لموت اخيه الاخ الجليل يوسف بطرس الرزي بطريرك الموارنة الانطاكي . هذا على ما عرفناه الى غير ذلك من المضايقات الكثيرة التي احتملها وسببت له غماً شديداً . وعليه فبقدر ما تتمنى عليك ان تعنى به ، نطلب منك خاصة ان تمكنه بمساعدتك من الاقامة في دير مار انطونيوس قزحيا ، الذي اختاره لسكناه برغبة حارة ، وقد توسل الينا بتواضع ان نكتب اليك في هذا الشأن .

« وانه ليسرنا كثيراً ان نساعد اخانا هذا المحترم (المطران سركيس) مساعدة فعالة في هذه الشؤون وفي غيرها ، فتسهل بذلك امامه خدمة العلي باكثر فاعلية ، ومن الاهتمام بالنفوس التي وكلت الى عنايته .

« وختاماً نحضك تكراراً على تنفيذ مطلبنا هذا ، ونمنحك واخوتك المحبوبين جميعاً بركتنا الرسولية الموجهة اليك واليهم بواسطة مطران دمشق نفسه .

« اعطي في رومية حذاء ضريح القديس بطرس في ١٨ شباط سنة ١٦٠٨ وهي السنة الرابعة لحبريتنا » .

في عهد المعنيين من ١٥١٦ حتى ١٦٩٧

اصل المعنيين من قبيلة ربيعة العربية ، كانوا في اول امرهم يقطنون بادية حلب ، حتى اذا اكتسحتها اول حملة صليبية ، ازاحتهم عنها فجاءوا لبنان وعلى رأسهم كبيرهم الامير معن ، فعرفوا فيه بالمعنيين .

وتوطن المعنيون بعقلين ودير القمر وجوارهما ، ومع الايام امتزجوا

باهل البلاد واتخذوا عاداتهم وعقدوا المصاهرات مع امرائهم ، الى ان خلفوا التوخيين في الحكم في مطلع العهد العثماني سنة ١٥١٦ .

وامتد حكم هذه الاسرة في لبنان من ١٥١٦ الى ١٦٩٧ ، وكان الامير فخر الدين الثاني الكبير اشهر الحكام المعنيين الذين اتصلوا بالبابا وتبادلوا معه الرسائل والوفود ، على ما بيناه سابقاً عند كلامنا على علاقات البابا بالدروز .

وعلى ذلك رأينا العود الى الكلام عنه هنا من حيث حاكميته ، كما تكلمنا عنه سابقاً من حيث طائفته .

اول موفد للامير الى البابا

من ذلك ان هذا الامير بدأ مفاوضاته مع البابا اكليمنضوس الثامن ، بواسطة رجل بندقي الاصل يدعى كاتشيا ماري ، كان يكثر من الاسفار بين ايطالية ولبنان طاوياً تحت مظهرها التجاري اهدافاً سياسية . فرأى فيه فخر الدين خير همزة وصل بينه وبين البابا وملوك اوربة ، وكلفه أن ينقل اليهم مطامحه ومواعيده ، آملاً ان تبقى مفاوضاته معهم بسبب جهله العربية تحت طي الكتمان ، فلا تتسرب الى الدولة العثمانية التي كان يحاذر اطلاعها على اسراره ، لئلا تعمل على الانتقام منه ، قبل ان يستكمل الاحتياط لنفسه من ان يصاب باذاها .

وسافر كاتشيا ماري الى اوربة ، ومعه تقرير مفصل عن الامير ودولته واستعداداته ، وأطلع عليه البابا ، الذي امر بدوره بأن يحمل الى فرندو الاول امير توسكانا ، وبابلاغه رغبته في اعارة هذا التقرير ما يستحق من اهتمام .

وكان البابا ذا نفوذ كبير على هذا الامير ، لأنه كان قبل توليه عرش توسكانا كردينالاً شماساً في رومية ، معهوداً اليه في الاشراف على الطوائف الشرقية ، ولاسيا الموارنة ، فكان هذا الموضوع والحالة تلك من اختصاصه ، وقد أقبل على درس التقرير بامعان ، وعلى ذلك مشت روابط الامير بالبابا وبأمير توسكانا على قدم النجاح .

وظل البابا اكليمنضوس الثامن يشارف على تلك الروابط وينشطها بنفوذه ، باذلاً للأمير ما يسعه من مساعدات ، من مثل امداده بالهدايا المالية والمعدات والاسلحة الحربية على انواعها ، رغم أن البابوات اسلافه كانوا قد حرّموا ارسال اي سلاح اوربي الى الشرق ، مخافة ان يقع بأيدي الاتراك فيستخدمونه في محاربة الاوربيين انفسهم .

في عهد البابا بولس الخامس

وفي سنة ١٦٠٥ توفي البابا اكليمنضوس الثامن وخلفه البابا بولس الخامس (١٦٠٥ – ١٦٢١) ، ومشى البابا الجديد على خطة سلفه في مساعدة الامير ، وباشارته ارسل غراندوق توسكانا الى الامير سنة ١٦٠٧ بعثة مؤلفة من باسيلي قريع الحلبي الاصل ، ومن رجل فرنسي اسمه هيبوليت ليونسيني ، وحملها رسالة الى الامير مصحوبة بالف بندقية على سبيل الهدية .

فاستقبلها الامير في قصره بصيدا بالاكرام ، وعقد معها عدة جلسات كانت آخرها سرية ، وقد الحت عليه فيها بان يصارحها بخلاصة ما يطلب ، فاستحضر الامير دواة وقلماً واملى عليها طلبه بصورة معاهدة ، هذه اخص بنودها :

المعاهدة بين الامير وغراندوق توسكانا :

« ١ – ان يصدر البابا براءة يأمر فيها المسيحيين الخاضعين له في الشرق ، واخصهم الموارنة ، تحت طائلة الحرم ، بالوقوف الى جانبه في الحروب وتلبية اوامره .

« ٢ – ان يضع الغراندوق تحت تصرفه خبراء في صنع الاسلحة والمعدات الحربية ، يصبون له ١١ الى ١٢ مدفعاً مع الكمية اللازمة لها من القنابل .

« ٣ – ان يضع الغراندوق تحت تصرفه في صيدا بعض مراكب يستخدمها في تبادل الرسائل والوفود والانتقال عليها .

« ٤ – ان يزوده بتذكرة مرور تسهل له السفر الى اوربة ساعة يشاء ، للاتفاق معه شفاهاً او خطاً ، على الطرق الواجب ان يتم بينهما التعاون المنتظر » .

وبعد عودة البعثة بالمعاهدة هذه اصدر البابا البراءة المطلوبة الى الموارنة ، يحضهم فيها على معاونة الامير في حروبه ، وارسل اليه الغراندوق اجازة المرور ، وقسماً من اسطوله أقام رهن اشارته في الموانىء اللبنانية .

رسالة من البابا بولس الخامس الى فخر الدين

وكان البطريرك يوحنا مخلوف بعد ارتقائه الى السدة البطريركية سنة ١٦٠٩ ، قد وجه الى رومية وفداً مارونياً على رأسه القس جرجس مارون ، ليأتيه من البابا بولس الخامس ببراءة التثبيت ودرع الرئاسة ، وانضم اليه في رومية المطران سركيس الرزي شقيق البطريرك الذي كان هناك منذ سنتين ، وقابل الوفد البابا وأطلعه على محبة الامير للموارنة ، واثنى على اعماله ، حتى اذا عاد الى لبنان حمّله البابا هدية الى الامير مع رسالة ننشر بعضها ليكون مثالاً لغيره من الرسائل الموجهة من الكرسي الرسولي الى هذا الامير العظيم . فمما قال البابا :

« من بولس الخامس الخ ...

« الى الامير فخر الدين حاكم الدروز ونيقوميدية وفلسطين وفينيقية . سلام ايها الرجل الشريف وليحل عليك نور النعمة الالهية .

« ابلغنا الاخ المحترم سركيس الماروني رئيس اساقفة دمشق الذي جاء رومية ، عطفك العظيم على اولادنا المسيحيين ولا سيما الموارنة ، فبتنا مدينين لك كثيراً ، لان ما تفعله نحو اولادنا كأنك تفعله نحونا .

« ولما كان رئيس الاساقفة المذكور عائداً الى اخوته ، رأينا ان نكتب اليك هذه الرسالة دليلاً على محبتنا لك ... وارتياحنا الى حسناتك نحو اولادنا المسيحيين .

« وقد امرنا رئيس الاساقفة المذكور ان يسلمك بعض التحف أملاً في ان تحوز لديك قبولاً ، وان تعتبرها برهاناً على ميلنا الخاص اليك ، راجين ان تواصل رعايتك لأولادنا خاصة الموارنة ، وان تشمل بحمايتك حامل هذه الرسالة ، وهو يفصح لك عن رغبتنا الشديدة في مناصرتك على اعدائك ... واخيراً ليضيء الله قلبك برحمته ويسدّد في طرق الحق خطواتك .

« اعطي في رومية في ١٦ كانون الثاني ١٦٠٩ وهي الرابعة لحبريتنا » .

الامير يستعين بالبطريرك الماروني

وقد اثرت هذه الرسالة مع الهدية التي رافقتها ، تاثيراً حسناً في فخر الدين ، فقرّب اليه الموارنة والنصارى ، واتخذ منهم كبار موظفيه ، وكان عمله ذاك سبباً في قدوم اكثرهم من الشمال الى الجنوب ، وعقد اواصر التآخي بينهم وبين الدروز ، حتى لقد اصبحوا يتبادلون التعاون في السراء والضراء ، ويمشون معاً الى الحرب تحت رايات اميرهم ، باذلين دماءهم رخيصة ممزوجاً بعضها ببعض دفاعاً عن ارض لبنان وتوطيداً لاستقلاله .

وحدث آنذاك ان البطريرك يوحنا مخلوف ، لجأ الى الامير في دير القمر ، هارباً من بعض خصومه في الشمال ، فرحب به الامير ، وانزله قرية مجدل معوش التي كان قد احلّ فيها جماعة من النصارى ، وامر بان يبنى له فيها كنيسة ودار .

وفيما كان هناك أخذ الامير يستدعيه اليه في الدير مرة بعد مرة ، ويسأله عن علاقاته بالبابا وعما للمقام البابوي من نفوذ لدى ملوك الغرب ، واخيراً اسرّ اليه انه يريد الاتصال به عن يده ، وطلب معونته في ذلك ، واخيراً تم الاتفاق على ان يضع البطريرك تحت تصرفه المطران جرجس بن مارون الاهدني المتضلع من اللغة الايطالية ، فأنفذه الامير في سنة ١٦١١ الى رومية ، للاهتمام بعقد محالفة لبنانية اوربية ، تساعده في مشاريعه الاستقلالية ، ولكن سفارة هذا الاسقف لم يحصل منها النفع المنتظر ، لكثرة ما لقيه في رحلته من مقاومات اضطرته الى البقاء

هناك الى صيف سنة ١٦١٣ .

الامير في اوربة

وحدث في هذا الصيف اي صيف ١٦١٣ ، ان الدولة العثمانية ساقت على الامير حملة قوية ، بقيادة احمد باشا الحافظ والي دمشق ، وبعد ان رأى ان لا قوة له على صدها ، انسحب من لبنان ومعه امرته وبعض اعوانه ، وسافر الى ايطالية ، وقصده مقابلة البابا ، وتوسطه في عقد محالفات مع ملوك الغرب تساعده على صد الدولة عن ارهاقه .

وفي البحر ثارت عواصف قادته مرغماً الى ليفورنو ثغر توسكانا ، واضطرته الى النزول فيها يوم ٣ تشرين الاول من سنة ١٦١٣ ، وعرف بامره الغراندوق قوزما حاكم توسكانا ، فوجه من جاء به الى العاصمة فلورنسا واستقبله بالترحاب وأنزله في احد القصور على نفقته ، معززاً موفور الكرامة ، وبعد ان عرف غايته من هذه الرحلة في عدة محادثات ، كانت موضوع تقرير ارسله العاهل الى سفيره لدى البابا بولس الخامس ، وقد ضمنه المطالبة بمؤازرة الامير .

صعوبات وعوائق

وقد قابل السفير الحبر الاعظم وقدم له التقرير وشرح له حال الامير ، فألقاه مطلعاً على كل هذه الامور من مراجع اخرى في لبنان ، وكان جوابه انه يريد من صميم فؤاده ان يساعد الامير ، ولكنه يرى عدة مصاعب وعوائق تحول دون التغلب على عدو قوي كالدولة العثمانية ، وان الحملة عليها لا تجدي الا اغضابها ودفعها الى الانتقام من بعض رعاياها ، وتجهيز حملة هائلة على اوربة يصعب صدها في ذلك الشتاء ، واستمهله الى الربيع ، علّ الظروف تصبح اكثر ملاءمة لتحقيق تلك الرغبات .

البابا الالهي ملك ملوك الارض

وعلى الرغم من ان جواب البابا لم يكن مشجعاً ، فقد بقي الامير

معلقا عليه كل امله ، وعاد فوجه رسالة الى صديقه الكونت دي تريف سفير فرنسة لدى البابا ، — وكان هذا السفير قد زاره مرة في لبنان وعقد معه عهد ولاء — طلب فيها ان يقابل البابا بالنيابة عنه « هذا السيد الالهي (البابا) ، الذي تطيعه الملوك والاباطرة ويرتمون على قدميه لاعتباره يحمل مفاتيح السماء » ويشرح له عنه ما يلهمه اليه عقله الراجح ، ويبلغه « ان في عودة الامير الى لبنان فائزاً منصوراً ، ما يحقق عودة الحرية الى اهله » الى ان قال :

« فالاحرى بذلك الذي تعتبرونه ملك ملوك الارض ونائب الملك السماوي ، ان ينتهز هذه الفرصة ويقوم بالعمل الذي لا يعصى على سلطته الفريدة ، واني لعلى استعداد لان اقدم له كل الضمانات والعهود التي يطلبها مني . وانك اذا لقيت في صدر هذا الاله الارضي وفي ذهنه المعصوم عن الخطأ استعداداً للعمل بمشورتك والاقتناع بحجتك ، وجدتني رهن اشارته لتنفيذ كل الاوامر التي يوجهها الي » .

ففي هذه الرسالة اوضح دليل على ما كان يكنه الامير من اعظام لقدر البابا ، ومن اعتقاد بنفوذ كلمته في جميع دول اوربة ، ومن امل في الحصول بواسطته على استدراج قواتها لحمايته ولتأمين استقلال لبنان من الخطر العثماني .

عودة الامير

وبقي الامير في فلورنسا زهاء خمس سنين يواصل المساعي لدى البابا وغراندوق توسكانا في ضمان ما اراد ، وكان اكثر من يكلفهم التعبير عن مطالبه وملاحقتها لدى هذين المركزين تلاميذ المدرسة المارونية في رومية ، فقام هؤلاء بما عهد به اليهم خير قيام ، ولكن كل تلك الجهود ذهبت ادراج الرياح ، لان الدول الاوربية كانت في ذلك الحين لاهية عن الامير بمنازعاتها الخاصة .

ومن ثم رأى الامير في سنة ١٦١٨ الرياح المعاكسة له تهمد في

الشرق ، ويتسلم زمام الحكم في الاستانة احد اصدقائه ، فاغتنم هذه الفرصة السانحة وعاد الى لبنان يضبط مقاليد الحكم كما كان من قبل ، ويواصل السعي باوفر حمية الى ادراك الغاية التي وضعها امام عينيه .

في عهد البابا اوربانوس الثامن

وفي سنة ١٦٢٣ ارتقى الى السدة الحبرية البابا اوربانوس الثامن (١٦٢٣ – ١٦٤٤) فأوفد اليه الامير المطران جرجس بن مارون ، يهنئه باسمه ويفاوضه بطلبه .

وفي سنة ١٦٢٤ وجه اليه كتاباً مع كاهن ماروني من حصرون اسمه الخوري يوحنا الحصروني ، يذكره فيه بامنيته ويلفت نظره ان الوقت مناسب للعمل ، بسبب الفوضى الضاربة اطنابها في الدولة العثمانية ، واهدأ اباه بوضع جيشه البري في خدمته . وقد تلقى جواباً على ذلك الكتاب في ٦ ايلول ١٦٢٥ ، يمدح فيه الحبر الاعظم مشاريعه واعماله ويعتذر اليه عن تجنيد الرجال لمعونته بسبب النكبات الحالة في اوربة ، داعياً بزوالها قريباً ليتسنى له استلهام السماء في سبيل استجابة طلباته .

وعاد المطران جرجس بن مارون من وفادته حاملاً اليه مثل ذلك الجواب ، وبرفقته بعض هدايا من الكرسي الرسولي اخصها رسم البابا ، وانجيل عربي مذهب مطبوع في المطبعة المديشية بفلورنسا ، وشمعتان مباركتان .

ولم يقنط الامير من تلك التسويفات ، بل ظل يواصل رسائله ووفوده ، الى ان تحرج موقفه سنة ١٦٣٣ وجهزت عليه الدولة عمارة كبيرة حاصرت موانىء لبنان . فارسل المطران جرجس مارون الى البابا يطلعه على ما كان ، علّه يستحث الدول الاوربية على انقاذه ، وتخليص لبنان ، باذلاً الوعود السخية فيما اذا اجيب طلبه .

وقد اعارت دوائر الفاتيكان وتوسكانا تلك الاستغاثة اهتماماً بالغاً . ويروى انها باشرت للحال تجهيز الحملة ، ولكن الجو السياسي المدلهم آنئذ في اوربة كان يعيقها ويعرقل مساعيها .

استسلام الامير ومصرعه

واخيراً ملّ الامير الانتظار وخانه بعض اتباعه ، فدلوا الاعداء على مكمنه ، ولم يشأ الدفاع وآثر الاستسلام الى احمد باشا الكجك والي دمشق وقائد الحملة ، راجياً ان يعامله هذا الرجل بالرفق ، ويسعى على الاقل في حقن دمه وصون حياة اسرته وكرامتها ، وذلك لأن الدولة كانت سابقاً قد غضبت عليه واصدرت امراً بقتله ، ففر الى لبنان لاجئاً الى الامير الذي اكرم وفادته واحسن اليه ووضعه تحت حمايته ، وعينه في منصب يضمن له العيش براحة . فكان ان غمط هذا الناكر الجميل فضله وتناسى معروفه ، وأبى الا أن يقوده مع افراد اسرته الى الاستانة حيث لاقوا حتفهم جميعاً .

بعد نكبة الامير

وبعد نكبة الامير مضت الدولة في الانتقام من المعنيين وأنصارهم ، وكل من يمت اليهم بصلة ، فاضطروا الى التواري في المغاور والاغوار ، ومن مخبآتهم وجهوا احد الامراء الشهابيين الى اسطنبول ومعه مبلغ كبير من المال ، فأصلح الحال هناك وعاد الامير ملحم من المعنيين الى الحكم ، وتلاه الامير احمد الذي مات بدون عقب وانقطعت به السلالة المعنية .

ولكن هذين الاميرين لم ينفكا طوال مدة حكمهما عن الاتصال بالبابا ، ومفاوضته في مثل المشروع الذي كان يهدف اليه الامير فخر الدين ، وأوفدا اليه لاجل ذلك قائد جيشهما الشيخ ابا نادر الخازن ، فلقي في رومية رتوكانا كل حفاوة ، وبذلت له وعود لم تساعد الظروف على تحقيقها .

وانقرض المعنيون اخيراً ، وفي تاريخهم انصع الصفحات المنطوية على انهم كانوا في مقدمة الحكام اللبنانيين الذين وثقوا علاقاتهم بالبابا .

اصل الشهابيين من بني مخزوم المتصلين نسباً بآل قريش . كانوا اولاً في الحجاز وجلوا منها مع جدهم الامير مالك الملقب بشهاب الى دمشق ، ثم تولوا حوران واقاموا فيه عهداً بقرية تدعى شهباء ، ومنه رحلوا الى وادي التيم وازاحوا عنه الافرنج وتملكوه ، ثم انتقلوا الى لبنان واتصلوا بآل معن بالمصاهرة ، الى ان خلفوهم في الحكم في السنة ١٦٩٧ .

وكان الامير فخر الدين الكبير قد اودع قبل مصرعه مصرفاً في فلورنسة ، يدعى « جبل الرحمة » ، مالاً اشترى به سندات سجلها باسمه واسماء اولاده الثلاثة الصغار حسن وحسين وحيدر ، ليدخر لهم ولنفسه ما يستعينون به على ضمان معاشهم ، فيما اذا غدر بهم الزمان ومستهم الحاجة .

ولكن حين دهمته البلوى وهاجمه الكبحك نسي المال ، بل امله آثر كتمان امره ريثما تتحقق آماله بالنجاة ، والمرء لا يفقد الامل مهما اشتد به الضيق .

توالي صروف الدهر

وبعد ان نفذ في الامير حكم القضاء ، توالت صروف الدهر على خلفائه واعرضوا عن طلب المال ، لئلا يثيروا حولهم الشبهات . حتى اذا مرّ نحو قرن على موته ، تسلم مقاليد الحكم في لبنان الامير حيدر شهاب ابن بنت الامير احمد ، وراقت له الايام ، فأخذ يفكر جدياً في تحصيل المبلغ ، وكان قد اصبح مع فوائده ضخماً كبيراً ، وبعد استشارة اعوانه في الامر وتقليب وجوه الرأي صحّ عزمه على ان يكل الى مجمع انتشار الايمان استيفاءه ، لقاء جعالة قدرها ثلث المبلغ المستوفى لينفقها هذا المجمع في بعض اعماله المبرورة .

وقد عثر الاب بولس قرألي في احدى خزائن المجمع المذكور ، على جانب كبير من الوثائق الخاصة بهذه الدعوى ، منها رسالة كتبها الامير حيدر الى المجمع بهذا الشأن ، وقد وقع اسمه في آخرها « حيدر معن »

بدلاً من « حيدر شهاب » ، اثباتاً للارث ، مع ان ارثه عن والدته ثابت بفرمان سلطاني . وهذا هو نص الرسالة مترجمة عن الايطالية :

من الامير حيدر موسى شهاب الى حضرات كرادلة المجمع المقدس لانتشار الايمان ، افتخار الامراء المسيحيين حفظهم المولى .

بعد السلام ، نعرض لحضرتكم اننا علمنا بمجيء صديقنا القس جبرائيل (من آل حوا) قاصدكم ، فاستدعيناه وتحادثنا معه ، وبيّنا له عظم مودتنا لكم ، ولكل من يأتي من طرفكم ، والحماية الخاصة التي نخولهم اياها في كل الظروف ، كما هو معلوم لديكم ، ولاسيما لما بسطنا يد الحماية لعزيزنا البطريرك يعقوب عواد ليعود الى منصبه ، ونحن نواصل الحماية له ولكل من يتمتع برعايتكم ، ولا نسمح لاحد ان يخالفه بأي نوع كان .

ثم افهمناه (القس جبرائيل حوّا) عن قضية تخصنا لدى غراندوق تسكانا يشرحها لكم . ولنا ملء الثقة انكم باذلون الجهد لانهائها على خير ، وحقنا واضح .

واذا انتهت القضية طرحت النفقات من المبلغ المتحصل ، فاخذنا الثلثين وتركنا لمجمعكم الثلث ، لينفقه في سبيلي البر بالنوع الذي يبتغيه .

هذه اكبر خدمه نسألكم اياها ، فابذلوا الجهد لانهاء هذه القضية حسبما يليق بسمعتكم . ومهما كان لكم من شؤون في هذه الجهات عرفونا عنه لنقضيه لكم باذن الله وباشروا الخير . صديقكم المخلص

حيدر معن

تحريراً عن دير القمر في نهـــاية شوال ١١٣٣ للهجرة الموافق ٢٣ آب ١٧٢١ .

وقد اجابه المجمع بلسان الكردينال كاتب اسراره بالرسالة التالي تعريبها :

الى الامير حيدر امير الدروز

ان العطف الذي اظهرتموه دائماً نحو خدمة الدين الكاثوليكي ، ليس في

ولايتكم فحسب بل في سائر المناطق اللبنانية ، حملني وحمل كرادلة هذا المجمع المؤسس لنشر الشريعة المقدسة ، على الرغبة في مبادلتكم هذا العطف بشواعر معرفة الجميل نحوكم .

ولما كنتم الآن قد خولتمونا الفرصة لمرضاتكم بتحصيل الديون التي لكم على مصرف الرحمة بفلورنسة ، فثقوا باننا باذلون من الجهد منتهاه ، توصلاً الى هذه الغاية . يؤكد لكم ذلك القس جبرائيل حوا والاباتي يوسف السمعاني ، وهما سيقومان بالشكر لسعادتكم عنا لحصة الثلث التي خصصتم بها هذا المجمع من اصل المبلغ الذي نتمكن من تحصيله ، وسينفقها المجمع في سبيل مشروع يخلّد اسم سعادتكم الشريف .

ولما كان عطفكم شاملاً ليس هذا المجمع فحسب بل جميع الاشخاص المتعلقين به ، فقد جئناكم راجين ان تبذلوا الواسطة الفعالة للصلح بين اساقفة لبنان ، ولا سيما بين المطرانين سمعان وعبدالله ، لان خلافهما اقلق الطائفة بأمرها زمناً طويلاً . ونحن على ثقة ان وساطتكم بالغة الغاية الحميدة المنشودة ، مؤكدين لسعادتكم ان سادة هذا المجمع على تمام الاستعداد لتلبية رغائبكم العادلة وقبول ما تدلون به من مشورات بهذا الصدد ، فتحملونا جميلاً لا يمحى ذكره ، وتثيرون فينا الرغبة الصادقة لانتهاز جميع الفرص التي تسمح لنا باظهار معرفتنا لجميل سعادتكم ، واقبلوا في الختام شواعر احترامي الخاص .

ويقول الاب قرألي في كتابه « فخر الدين المعني الثاني » ، الذي نأخذ عنه اكثر ما نحن بصدده ، انه عثر في سجلات دير الرهبان الحلبيين الموارنة برومية على نسخة عربية لنص التنازل الذي كتبه الامير حيدر شهاب للمجمع المقدس ، مؤرخة في ١٠ كانون الاول من سنة ١٧٢٣ ، وهذا نصها الحرفي :

وجه تحريره

هو اننا اوهبنا الى حضرة مجمع كرديناليت بروباكندا في مدينة رومية ، ثلث المال الحاصل من ارث المال الذي لنا من المرحوم جدنا

الامير فخر الدين ، من الرأسمال والفوائد المسجلة في سجل « جبل الرحمة » في مدينة فلورنسا ، بحيث انهم يحصلوا الثلثين الباقين لنا من المال المذكور ، وفوايده المذكورة ، ويوصلونا اياه . جرى ذلك بخاطرنا ورضانا وحررنا لهم هذا التمسك بخط يدنا ، وختمنا يكون سنداً بيدهم لوقت الاحتياج اليه .

تحريراً في ثلاث اعشر يوم من شهر ربيع الاول سنة ستة وثلاثين ومايه والف من الهجرة النبوية .

الفقير

الامير حيدر ابن معن

امير جبل الدروز في بلاد فونيقي
وجبل لبنان

(راجع كتاب فخر الدين المعني الثاني لقرألي صفحة ٣٨٠ و ٣٨١ من الجزء ٣) .

ضياع المال رغم جهود الجميع

وكان مقدار المال الموضوع باسم الامير واولاده في المصرف ٢٢٧٦٦ سكوتاً ، والسكوت نقد توسكاني يوازي سبعة فرنكات من النقد نفسه ، فاذا حُولّ مع فائدته في ما مرّ عليه من سنين تناهز المئة الى قروش لبنانية من قروش تلك الايام ، أصبح مبلغاً ضخماً يعدّ بالملايين .

وكانت السندات المؤيدة للمال قد اتصلت بالامير حيدر ارثاً عن والدته ، التي انتهى اليها كل ما ارثه الامير فخر الدين من اوراق ومخلفات ذات قيمة ، وعددها ٢٢٧ سنداً وثلثا السند ، وكل منها بمئة سكوت ، وقد وعد فيها المصرف باداء فائدة سنوية قدرها خمسة سكوتات عن كل مئة ، اي عن كل سند منها .

ويظهر ان الاسلاف لم يجرأوا على اظهارها ولا على المطالبة بها بسبب تشديد الدولة العثمانية في مراقبتهم بعد حادثة الامير فخر الدين ، ولاعتبارها اي اتصال من قبلهم بالافرنج خيانة وطنية يستحقون عليها شر عقوبة .

ويدل واقع الحال على أن تلك المراقبة كانت قد تضاءلت في عهد الامير حيدر ، فأصبح لا يرى بأساً في العمد الى تحصيلها ، ومن ثم باشر المفاوضات في هذا الشأن ، ونرجح ان من استشارهم من معاونيه النصارى نصحوه بان يستعين بالمجمع المقدس ، ولا يبعد ان تكون رسالته اليه من انشاء احدهم وخط يمينه .

ومما يؤيد ذلك تكليفه رهطاً من اللبنانيين المقيمين في رومية المساندة في ذلك ، وكلهم من النصارى بل من نخبة رجال دينهم في ذلك الاوان .

فقد عهد الامير حيدر الى المنسنيور يوسف السمعاني في أن يكون وكيلاً عنه في هذه الدعوى ، وذلك بموجب عقد قانوني يخوله فيه السلطة الكاملة في ملاحقتها ، بل يصرح له بأن تبقى تلك السلطة سارية المفعول حتى بعد موته ، وقيام حاكم آخر من اقاربه في مكانه ، وقد صح حدسه بالفعل ، لانه مات سنة ١٧٣٣ ، وخلفه الامير ملحم وكانت الدعوى لا تزال قائمة ، والسمعاني لا يبرح وكيلاً عن الخلف كما كان وكيلاً عن السلف .

وطلب من اخرين منهم ان يكونوا شهوداً على صحة الارث ففعلوا ، وهم : كل من المطران جرجس يمين الاهدني ، والخوري بطرس مبارك اليسوعي ، والمطران جبرائيل حوا ، والراهب البلدي الاب يوسف الدبسي ، والامير جنبلاط نصار الماروني (?) .

مراوغات المصرف والمدافعين عنه

وبرّ المجمع المقدس بما وعد به الامير حيدر في تحريره ، وأقام له محامياً ايطالياً من الافذاذ المشاهير ، وسانده جهده بنفوذه ، وقد ادى هذا النشاط الجدّي في ملاحقة القضية الى جعلها حقيقة ثابتة ملموسة امام القضاء ، لا محيص عن نجاحها ، وهذا اهاب بالمحبين المدافعين عن المصرف الى الشعور بالخطر الكبير الذي يهدده بالافلاس ، فيما اذا فازت الدعوى ، واضطر الى اخراج هذا المبلغ الكبير من خزائنه دفعة واحدة ، وعلى

ذلك لم يروا بدآ من اللجوء الى المطل والتسويف واختلاق المتاعب والاعذار ، مما وقف سدآ في طريق الحكم وجعل القضية تؤجل عاماً بعد عام ، دون ان تصل الى نهاية ذات جدوى .

وكان مما عمدت اليه هيئة الدفاع استئناف الدعوى الى مجلس شورى الدولة في توسكانا ، والادعاء بان للغراندوق ديناً على الامير فخر الدين يكاد يستنزف تركته برمتها ، ومصدر هذا الدين الاموال الكبيرة التي انفقها الغراندوق على ضيافته وامداده بالمراكب والاسلحة والمؤن والبعثات الحربية والعمرانية ، ولكن الغراندوق لم يوافق على مدعاهم ، بل بادر الى الجهر بأن تلك الاموال التي انفقها انما بذلت منه على سبيل الهبة ولاجل نفوذ دولته وتعزيز النصرانية ، ولكن اقراره ذاك لم يمنع محامي المصرف عن الاستمرار في مماحكاتهم ، والعمل على عرقلة الدعوى ، كما ان جهود المطالبين بالمال لم تقوَ على ايقاظ ضمير القضاة التوسكانيين ، ولا على تنبيههم الى الانصات لصوت العدالة والحق .

وبعد مرور نحو عشرين عاماً على الدعوى ، وكلها من هذا الطراز ، تسرّب اليأس الى قلوب اللبنانيين فانكفأوا الى العودة بخفي حنين ، وهم يجرون اذيال الفشل والخيبة .

ويقول الاب قرألي في « كتابه فخر الدين الثاني من صفحة ٣٧٨ الى صفحة ٣٨٨ : « انه نقب كثيراً ليعرف ما آلت اليه تلك التركة ، وكان مما ثبت له انها لم تصرف ، وان مصرف « جبل الرحمة » احتفظ بذلك المال ليبقى في توسكانا ذكراً خالداً لمعرفة الامير فخر الدين جميل تلك البلاد التي انزلته فيها على الرحب والسعة في سني شدته ومساعدته ما استطاعت اليه سبيلاً على تعزيز دولته وعمران بلاده » .

بين البابا والامير منصور

وفي ١١ ايلول من سنة ١٧٦٥ وجه البابا الى الامير منصور شهاب الحاكم ، رسالة يطلب اليه فيها تأييد البطريرك ثاودوسيوس الملكي الكاثوليكي ضد البطريرك اغناطيوس جوهر من الطائفة نفسها الذي حاول اغتصاب

البطريركية بطرق غير مشروعة ، بعد ان وعد بقسم بألاّ يفعل ذلك . والرسالة قريبة بنصها وعباراتها من الرسالة التي وجهها البابا نفسه وفي التاريخ نفسه الى الشيخ علي جنبلاط وقد سبق ذكرها في باب (علاقات آل جنبلاط بالبابا) .

بين البابا والامير يوسف

ولما قام بالولاية الامير يوسف ابن الامير ملحم ، جرت له اتصالات كثيرة بالكرسي الرسولي ، كان مردها ولا ريب الى مستشاره ومدبّره الشيخ سعد الخوري .

وقد عثرنا على عدة رسالات وجهها البابا بيوس السادس (١٧٧٥ — ١٧٩٩) الى الامير يوسف . منها رسالة مؤرخة في ٢١ تموز سنة ١٧٧٩ ذكرت في ملحق لمجموعة البراءات الرسولية (جزء ٢ صفحة ٢٦١) ، وفيها يطلب الحبر الاعظم من الامير تأييد قاصده الاب بطرس دي مورتا من رهبان مار فرنسيس الاصغرين في قصادته الى الموارنة ، في ايام المطران مخايل حرب الخازن الذي ولي بامر الحبر الروماني تدبير البطريركية المارونية ، مدة ابعاد البطريرك يوسف اسطفان عنها الى دير الكرمل .

ومنها رسالة اخرى ينبئه فيها بايفاد الاب بطرس دي مورتا نائباً عنه الى لبنان ، لازالة الشقاق الناشىء عن حادثة الراهبة هندية ، ويسأله مساعدته على ذلك ، وقد اهدى اليه مع هذه الرسالة سيفاً من ذهب .

ولم يتلكأ الامير عن العمل بتلك الرسالة ، فأعلن حمايته للقاصد البابوي ، وبذل همه في تنفيذ مطالب الكرسي الرسولي بكل دقة .

وبعد ان اجتمعت كلمة الموارنة على ان يلتمسوا من الحبر الاعظم ارجاع البطريرك الى منصبه ، جاراهم الامير في هذا الالتماس ، بسعي الشيخ سعد الآنف الذكر ، وكتب الى الحبر الاعظم رسالة في هذا المعنى مؤرخة في ١٥ اذار من سنة ١١٩٨ هجرية ، الموافقة للسنة الـ ١٧٨٤ مسيحية ، وهي منشورة في الصفحة ٧٣ من سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للشرتوني . ونكتفي هنا بنشر مقدمتها :

صدر صدور المراتب العلية ، ورأس رؤساء الكهنة المسيحية . وصخرة الملة النصرانية ، البابا بيوس السادس المعظم حفظه المولى تعالى .

نبتهل بوحدة الاحد ، الفرد الصمد ، العالي المتعال ، ذو الفضل والجلال ، ببقاء حياتكم الشريفة ، وصيانة ذاتكم المنيفة . محب مخلص

يوسف شهابي

وحالما انتهى كتاب الامير الى ررمية مع غيره من كتابات اعيان الطائفة ، أمر الحبر الاعظم برد الجواب عليها جميعاً وبارجاع البطريرك الى منصبه ، ولكن لم يصل الى يدنا من نصوص تلك الاجوبة الا نص الجواب الموجه الى الشيخ سعد ، وهو منشور في « سلسلة البطاركة » ، ومما جاء فيه بخصوص الامير يوسف :

« ولكن ما مال بنا الى ان نتقبل رجوعه الينا (البطريرك) بأوفر سرور ورضوان ، انما هو توسل جمهور الاساقفة جميعهم واشواق الطائفة ، وتوسل حضرتكم وتوصية الامير يوسف الجزيل الشرف والاقتدار » .

شكوى على القاصد دي مورتا والشيخ سعد

وفي سنة ١٧٧٨ ناهض الامير يوسف اخواه الاميران سيد احمد وافندي ، وانضم اليهما رهط من مناصب البلاد ، فلم يسع الامير يوسف ازاء ذلك الا التنزل عن الحكم لاخويه ، على انه بعد ذلك سعى في نيل الولاية على بلاد جبيل والبقاع . وبسبب ذلك وقعت نفرة بينه وبين اخويه ، وجعل هذان يعملان على خذله وتسويد صحيفته بكل الوسائل وفي مختلف المراجع .

ومن بعض ما تذرعا به لنيل مأربهما ، انهما كانا يعلمان ان البابا بيوس السادس (١٧٧٥ - ١٧٩٩) كان قد كتب اليه يسأله والشيخ سعداً الخوري مستشاره مساعدة قاصده الاب دي مورتا ، والاهتمام في تنفيذ الاوامر التي كان قد وجهها الى البطريرك بشأن بعض الاصلاحات في الطائفة المارونية ، فعمد الى اضعاف ثقة البابا به وبمعاونه الشيخ سعد

والقاصد البابوي ، واظهارهم لديه بصورة تنفره منهم ، فكتبا اليه في سنة ١٧٧٩ عريضة يشكوان فيها الشيخ سعداً ودي مورتا . وهذا بعض ما جاء فيها بعد الترجمة :

« ان البادري بطرس دي مورتا الملقب بالقاصد خرج عن كل حد ، وحاد عن طريق الحق ، وبرز منه امور لا تحق له ، مرتشداً من اصحاب الاغراض ، وقد التجأ الى سعد الخوري تابع الامير يوسف ، الذي كان متولياً الحكم قبلنا ، وجعل اتكاله عليه ، وحلل له مال الديورة ، وظلم البطاركة ، وحبس الاساقفة والرهبان ، وقد انتصح البادري مراراً عديدة فما كان ينتصح ، بل بقي مصراً متكلا على رأي من له مرام ، وقد اردنا ان نصد سعد الخوري عن هذه المغايرات والقباحات ، فكان عانعنا بقوله ان كل شيء بادي منه هو برضى الرؤساء واجازة القاصد .

« اما نحن فما كنا ننفر من كلام سعد المذكور ، لكوننا قافرين حياته واكله مال الناس وظلمه الغير محدود .

« اخيراً بان لنا ان رأيه (القاصد) ورأي سعد واحد ، وانهما متفقين على خراب دير بكركي ، واكلوا خزاينه ، ودشروا سكانه رهبان وراهبات الى المدن ، واذا اراد احد يلومهم على قباحة اعمالهم ، فكان الواحد يحتج بالآخر ويسلك مع قريبه على هذه الطريقة »

وهذه العريضة نقلناها عن دفتر عائلي مصون عند امين بك السعد ، وهي بخط عمه المرحوم نجيب بك ، وليس من اشارة قبلها ولا بعدها الى المصدر الذي اخذت عنه . والظاهر ان رومية لم تأبه لتلك العريضة ، لان ثقتها بالشيخ سعد والامير يوسف كانت كبيرة ، بعد ما برهنا عنه مراراً وفي مختلف الظروف في تصرفاتهما من اخلاص ونبالة .

في ايام الامير بشير الكبير

ودارت الايام دورتها واذا بالامراء الشهابيين يصبح اكثرهم نصارى ، وينحازون الى الطائفة المارونية ، ويتسنم احد هؤلاء الامير بشير الثاني

الكبير منصة الحاكمية الاولى في لبنان . عندئذ عادت العلاقات بين الكرسي الرسولي والحاكم المسيحي الى شكل اشد متانة من ذي قبل . ومما يدلنا على متانة تلك العلاقات رسالتان بعث بهما الحبر الاعظم البابا بيوس السابع (١٨٠٠ – ١٨٢٣) الى هذا الامير .

وقد نشر الرسالة الاولى صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية (صفحة ٢٢٥) وهي مؤرخة في ١٨ نيسان سنة ١٨٠٧ وقد صدرت بالعنوان التالي :

« ايها الابن الحبيب والرجل الشريف السلام والبركة الرسولية » .

وفي اثنائها اوصى الحبر الاعظم الامير بقاصده المطران لويس غندلفي ، الذي كان قد أقيم قبلاً بمنزلة قاضٍ لدى القاصد السابق المتوفى المطران جرمانوس الخازن الماروني . ثم طلب منه رعاية القضايا المختصة بالديانة الكاثوليكية ، والمحاماة عنها بسلطانه واقتداره وبحسب مقتضى غيرته وحبه لها .

ووصلت بهذا المعنى رسالة حبرية الى جرجس باز الماروني مستشار اولاد الامير يوسف .

وهناك رسالة اخرى وجهها الحبر الاعظم الى الامير بشير وجدت بين اوراق مطرانية طرابلس المارونية بكر مدة . وقد نقلها عن اصلها اللاتيني الى العربية المرحوم البطريرك مكسيموس مظلوم الرومي الكاثوليكي بخط يده . وها نحن ننشرها هنا بنصها الكامل لانها لم تنشر بعد بالطبع في غير هذا المكان ، موجهين الشكر الى من توفق الى كشفها من مخباها صديقنا البحاثة الطيب الاثر المرحوم الاب اغناطيوس طنوس ، لتفضله باطلاعنا عليها وايذاننا بنسخها لتنشر في هذا الكتاب :

« من البابا بيوس السابع

« الى جناب الرجل الشريف الامير بشير شهاب الكلي الاقتدار

« فليوهب لك السلام ، ولتضاعف النعم الالهية . ان قلبنا الابوي قد استوعب ابتهاجاً عظيماً عندما تحققنا من اخوتنا بطريرك طائفة الموارنة واساقفتها مقدار وفور حسن عنايتك وملاحظتك للطائفة المذكورة نفسها ،

وبكم من الاهتمام تجتهد حضرتك بأن يستطيع هؤلاء ان يعترفوا بشريعة الله الكلية القداسة ، وبحقائق الايمان الكاثوليكي بغير مانع ما اصلاً ، الامر الذي لا يمكن ان يتضح لدينا شيء اعز منه . ومن ثم قد انعطف حبنا نحوك الانعطاف الكلي راغبين لك السعادة الحقيقية رغبة متقدة في الغاية .

« ولقد ضاعف فينا هذه الامارات الانعطافية القلبية نحوك بنوع عجيب ، ولدنا الحبيب يوسف السمعاني المدبر الاول للرهبانية اللبنانية الجليلة ، الذي قد حضر الى رومية من قبل بطريرك الطائفة المارونية واساقفتها واكابر شعبها ، ليقدم لنا على اسمهم جميعاً التهنئة وعلامات الفرح برجوعنا السعيد الى الكرسي الرسولي ، وذلك حينما اخبرنا ان حضرتك كذلك قد حصلت من هذا القبيل نفسه اي من رجوعنا المذكور على سرور عظيم جداً .

« فنحن في الوقت عينه الذي نشكر محامدك بالمقابلة الواجبة على اظهارك شاهداً جديداً لحسن شهامتك هذه ومعروفك نحونا ، ففي الوقت نفسه نرجوك بمقدار ما نعلم ونستطيع ايها الامير الجليل الكلي الاقتدار بأن تكون حمايتك وصيانتك متلألئة في غاية ما يكون نحو امور الديانة الكاثوليكية ، في جميع المقاطعات بولايتك .

« ثم من حيث اننا سلمنا ليد يوسف السمعاني المذكور بعض اوامر منفذة الى البطريرك الماروني نفسه ، وبها قد سبقنا واعتنينا باصدار التدابير المختصة بنمو الايمان الكاثوليكي وبصرامة التهذيب والنظام الكنسي ، فنتوسل اليك بأعظم نوع لكي تجتهد وتناضل بواسطة سلطانك بأن تجري هذه الاوامر بأكثر استعداد وقبول . واذ كان لنا ثقة وافرة في ان تكون حضرتك دائماً مناظراً تحت حمايتك للطائفة المذكورة ولقصادنا ولجميع الكاثوليكيين اجمالاً ، فنحن لا نكف عن التضرع الى الباري تعالى القادر على كل شيء والمانح الخيرات جميعها ، بأن يفيض عليك بذاته انعامه السماوية بأكثر سخاء وان يكافئك بسعادة حقيقية .

« رومية ١٥ شباط ١٨١٧ وهي السنة ال ١٧ لحبريتنا »

فمن لا يرى معنا ان هذه الكلمات الحبرية المنطوية على اخلص

شواعر الولاء والمحبة ، هي حلقة جديدة من تلك السلسلة الوثقى التقليدية التي طالما ربطت لبنان وما زالت تربطه بأعظم مقام ديني في المعمور .

في العهدين القائمقامي والمتصرفي من ١٨٤٢ حتى ١٩١٥

وبعد سقوط الامارة الشهابية قامت من السنة ١٨٤٢ الى السنة ١٨٦٠ ، حكومة القائمقاميتين الدرزية في الجنوب والمسيحية في الشمال ، ثم تلتها حكومة المتصرفية من سنة ١٨٦٠ حتى السنة الى ١٩١٨ .

ولعل اشهر من اتصل بالبابا من حكام ذينك العهدين ، الامير حيدر اسمعيل ابي اللمع ، الذي اسندت اليه حاكمية النصارى في بكفيا ، من سنة ١٨٤٢ حتى وفاته في السنة ١٨٥٤ .

وصف لنا هذا الامير المؤرخ المدقق الخوري اسطفان البشعلاني ، في كتابه تاريخ بشعلي وصليما صفحة ٢٧٤ ، وما بعدها فقال ما خلاصته :

« كان الامير حيدر اسمعيل معروفاً بتدينه وتقواه وتعبده للعذراء عليها السلام ، حتى لقد شاع عنه ان العذراء تحرسه ، الامر الذي كان يفاخر به . وعلى ذلك اقام في قصره ببكفيا سنة ١٨٤٦ معبداً خاصاً لمريم العذراء ، لا يزال حتى اليوم آية في الابداع والزينة ، وفيه من الصور التاريخية الجميلة المهداة اليه من الاحبار الاعظمين وملوك اوربة ما يعد تحفاً نفيسة » .

فمن هذه الرواية المتعلقة بصور اهداها اليه الاحبار الاعظمون ، يتبين ان الامير كان على صلة بالبابا يبادله الرسائل والهدايا ، ولولا ذلك لما جاءته منه تلك الصور التي زان بها كنيسة قصره .

اما الاميران اللمعيان اللذان خلفاه في الحكم ، ومثلهم المتصرفون الذين توالوا على حكومة لبنان حتى آخر الحرب الكونية الاولى في السنة ال ١٩١٨ ، فليس لدينا شيء عن اتصالاتهم بالبابوات الذين يرجح انهم ابتداء من هذا العهد اخذوا عند احتياجهم الى مفاوضة السلطة المدنية في امر

جمهم وهم لبنان ، يوجهون كتاباتهم الى سلاطين بني عثمان ، وذلك لمعرفتهم ان سلطة هؤلاء كانت اعم واشمل ، وان الحكام الذين قاموا على البلاد في ذينك العهدين قد قيدتهم البروتوكولات الجديدة الموضوعة ، وجعلتهم لا يتمتعون بغير القليل من تلك السلطة الواسعة التي كان يتمتع بها اسلافهم في العهد الاميري .

وهنا نقف بالقارىء الكريم لننتقل به الى الباب الاخير وفيه يدور الكلام على العهد الحالي وهو المعروف بالعهد الجمهوري .

في عهد الانتداب من سنة ١٩١٨ حتى ١٩٤٣

بعد الحرب الكبرى احتلت فرنسة لبنان وانتدبت للاشراف عليه ، وجعلت حكومته جمهورية سنة ١٩٢٦ ، وتوالى عليه حكام فرنسيون من ١٩١٨ حتى ١٩٢٦ وهم : الكومندان سيشه . الكومندان لابرو . الكومندان ترابو . الجنرال فندنبرغ . السيد كايلا . ومن ١٩٢٦ حتى اعلان الاستقلال ١٩٤٣ : شارل دباس . حبيب باشا السعد . اميل اده . الفرد نقاش . الدكتور ايوب تابت . بترو طراد .

فكانت الاتصالات برومية في هذا العهد يتم تبادلها على الصعيد الرسمي بواسطة القصادة الرسولية في بيروت ، ما خلا بعض اتصالات خاصة كانت تستدعيها ظروف غير عادية . وهذا بعض ما عرفناه من هذه الاتصالات .

لمناسبة وفاة البابا بندكتوس الخامس عشر

حين توفي السعيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر (١٩١٤ — ١٩٢٢) في ٢٢ كانون الثاني من هذه السنة الآنفة الذكر ١٩٢٢ ، اقبل اللبنانيون جماعات من مختلف المذاهب على دار القصادة الرسولية في بيروت ، يعربون القاصد الرسولي عهدئذ المرحوم فريديانو جيانيني عن حزنهم وتعازيهم .

وكانت اجراس الكنائس في طول لبنان وعرضه ساحله وجبله ، قد بدأت تدق دقات الحزن ، دقة بعد دقة ، على العادة المرعية عند وفاة

كل بابا ، واقيمت القداديس والصلوات لراحة نفس الحبر المتوفى ، بما دعا السيد القاصد الى اعلان شكره في الصحف لكل من اتصلوا به بهذا الخصوص شفاهاً او كتابة .

التهانئ بالبابا بيوس الحادي عشر

وفي خامس شباط من السنة نفسها ارتقى الى عرش الحبرية العظمى البابا بيوس الحادي عشر (١٩٢٢ - ١٩٣٩) ، فعم الفرح قلوب اللبنانيين ، وهب كثيرون منهم يهنئون القاصد الرسولي ، وطيّر غيرهم من كبار القوم الى الفاتيكان برقيات التهانئ فوردتهم الاجوبة بالبركة والشكر والدعاء .

بعد اتفاقات لاتران

وفي شباط من سنة ١٩٢٩ جرى التوقيع على اتفاقات لاتران بين الكرسي الرسولي وايطالية ، واستعاد البابا سلطته الزمنية واستقلال حاضرة الفاتيكان ، فكان لهذا الحدث صدى مفرح في لبنان ، وبادر الرؤساء الروحيون ورجال السلطة المدنية والاعيان في هذه البلاد الى محض الاب الاقدس تهانئهم . وفي يوم الاحد ٣ اذار ، اقيمت في الكاتدرائية اللاتينية في بيروت حفلة شكر على ما انعم الله به من الاتفاق السعيد ، حضرها كبار رجال الدين والدنيا ، وفي مقدمة هؤلاء السيد اوبوار ممثلاً دار الانتداب ، وحبيب باشا السعد ممثلا الحكومة اللبنانية ، والاميرال لوران ممثلاً البحرية الفرنسية ، يحيط بهم قناصل الدول والاعيان . بعد القداس التف وجوه الحاضرين حول نيافة القاصد الرسولي يبثونه خالص التهانئ ، ويطلبون منه ابلاغ الاب الاقدس عواطف اخلاصهم وفرحهم .

وقد اجابهم القاصد الى طلبهم ورفع برقية الى مقام الكرسي الرسولي يوقفه على ما جرى في الحفلة ، فورده جواب من الكردينال غسباري ، يحتوي على شكر الحبر الاعظم واهدائه الى المحتفلين بركته الرسولية .

لدى وفاة البابا بيوس الحادي عشر

واذ توفي البابا بيوس الحادي عشر في شباط سنة ١٩٣٩ ، قوبلت

وفاته في لبنان على الصعيد الشعبي بالمظاهر المعتادة ، من دق اجراس الكنائس حزناً واقامة الصلوات وتقديم التعازي . ورأت الحكومة من واجبها الاشتراك بتلك المظاهر لاعتبارها ان البابا بعد اتفاقات لاتران اصبح يضبط زمام السلطتين الروحية والزمنية ، فامرت بخنق الاعلام حداداً ، وجاء رئيس الجمهورية الاستاذ اميل اده ووئيسا مجلسي النواب والوزارة وكبار الموظفين والاعيان ورجال السلك السياسي فضلاً عن رؤساء الطوائف الى دار القصادة ، يقدمون للقاصد مراسيم التعزية .

وعند انعقاد المجلس النيابي بعد ظهر الثلاثاء ١٤ شباط ، وقف رئيس المجلس وابن الحبر الاعظم بكلمة طيبة قال فيها :

« طوى الموت في اواخر الاسبوع المنصرم صفحة لامعة من صفحات الانسانية والقداسة والطهر ، اذ لبى نداء ربه بيوس الحادي عشر رئيس الكنيسة الكاثوليكية .

« اننا ننحني امام هذه الذكرى باحترام ، ذاكرين من مناقب الراحل العظيم دفاعه الدائم عن السلام ، وتأييده المبادىء الانسانية العليا ، ووقوفه بشجاعة حرية بالاعجاب في وجه الطغيان .

« ان مجلس النواب اللبناني يشعر مع العالم أجمع بعظم هذه الفاجعة . واني ارفع الجلسة خمس دقائق احتراماً لذكرى الراحل العظيم » .

ووقف رئيس الحكومة وقال :

« ان الحكومة تشارك المجلس في هذه العاطفة » .

البابا يبارك لبنان

وفي سنة ١٩٣٥ رممت في رومية كنيسة المدرسة اللبنانية المارونية بمساعدة البابا ، وبعد ان دشنت هذه الكنيسة قابل رئيسها المعتمد البطريركي الماروني المرحوم المنسنيور بولس السمعاني وتلامذتها ، ومعهم فريق من الحجاج اللبنانيين من مختلف الطوائف ، قداسة البابا بيوس الحادي عشر ،

وشكروه على اهتمامه بالكنيسة . والقى المعتمد بين يديه خطاباً اعرب فيه عن عواطف اللبنانيين نحو قداسته . فاجاب الاب الاقدس بكلمة اعرب فيها عن حبه للبنان وللطائفة المارونية . وهذا بعض ما جاء في خطـــابه :

« اننا لمغتبطون كثيراً برؤيتكم في بيت المؤمنين العام هذا ، انتم ايها اللبنانيون القادمون الينا من بعيد تحملون اسماً كبيراً ، هو الاسم اللبناني الماروني العزيز على قلبنا وعلى قلب كل كاثوليكي .

ان العالم قاطبة يعلم من هو المسيحي اللبناني ، ويعلم ما هو ايمانه ، وكم كان استبشارنا عظيماً عندما رأيناكم الآن جميعاً انتم ايها الآتون من لبنان الى المدينة الابدية ، وقد ذكر لكم التاريخ ماضياً مجيداً حافلاً بالتضحيات والاعمال المبرورة . وقد اعد الله لكم هذا الزمان الحاضر لتجهزوا انفسكم بعدة العلم والفضيلة ، علماً بعزز ابناء قومكم بفضيلة تطابق اعمال جدودكم ... » .

ثم امر صاحب القداسة بعد ان بارك لبنان تكراراً ، بان توزع بعض الرسوم على الحاضرين تذكاراً لهذا الاجتماع الذي قال انه سيبقى طويلاً في ذاكرته .

لدى قيام البابا بيوس الثاني عشر

وفي ٢ اذار من سنة ١٩٣٩ خلف البابا بيوس الثاني عشر (١٩٣٩ — ١٩٥٨) البابا بيوس الحادي عشر ، واحتفل بتتويج البابا الجديد في ١٢ من الشهر المذكور ، ولهذه المناسبة رفعت المقامات الروحية والحكومية وجمهرة من اماثل القوم الى صاحب القداسة البابا الجديد برقيات التهنئة .

وفي يوم التتويج نفسه اقيمت في الكاتدرائية اللاتينية ببيروت صلاة شكر على نية البابا الجديد ، حضرها الرؤساء الروحيون من مختلف الطوائف ، وفي مقدمتهم رجال السلطة المنتدبة والحكومة اللبنانية .

وبعد ظهر النهار ، توافد المهنئون على دار القصادة الرسولية يعربون

القاصد عن ابتهاجهم وتهانئهم ، وفي مقدمتهم ما عدا رؤساء الدين الكاثوليكي ، رجال السلطة المنتدبة ، ورئيس الجمهورية اللبنانية المرحوم الاستاذ اميل اده ، ورئيس المجلس النيابي ، ورئيس مجلس الوزراء والوزراء والنواب ومحافظ المدينة . وكان بين المهنئين سيادة المطران صليبي متروبوليت طائفة الروم الارثوذكس ، والنائب البطريركي للارمن الارثوذكس ، وممثل بطريرك السريان الارثوذكسي ، ومفتي الجمهورية اللبنانية ، والشيخ ملحم حمدان قاضي المذهب الدرزي ، والحاخام الاكبر شبطاي بجبوط وغيرهم (مجموعة البشير في التاريخ نفسه) .

وفود المهنئين الى رومة

وفي اواخر نيسان من السنة المذكورة سافرت عدة وفود الى رومية لزيارة الاعتاب الرسولية ، وتقدمة التهانىء للبابا الجديد ، نذكر منها : وفد الحكومة اللبنانية ، والوفد الماروني ، ووفد طائفة الروم الكاثوليك يتقدمه المرحوم البطريرك كيرلس مغبغب ، ووفد طائفتي السريان والارمن ، ووفود الرهبانيات . وكل هذه الوفود اللبنانية حظيت بمقابلة صاحب القداسة البابا الجديد ولقيت لديه حفاوة ابوية وعطفاً خاصاً ، وخرجت من امامه تردد آي الشكر والدعاء لقداسته وللكرسي الرسولي ، معربة عن عاطفة لبنان ومتقبلة منه البركة له وللبنانيين عامة من مختلف المقامات والمعتقدات .

في العهد الاستقلالي الحالي

عهد الشيخ بشاره الخوري من ١٩٤٣ حتى ١٩٥٢

وفي ٢١ ايلول من سنة ١٩٤٣ انتخب المغفور له الشيخ بشارة خليل الخوري رئيساً للجمهورية اللبنانية ، ووقعت في عهده احداث سياسية ادت الى المناداة باستقلال لبنان استقلالاً تاماً ناجزاً ، والى جلاء الفرنسيين عن اراضيه واعتراف الدول به بلداً حراً يحكم نفسه بنفسه .

وعندئذ اخذت حكومته تمارس سلطاتها الشرعية الدستورية ، مستكملة جميع الشروط التي تمكنها من القيام بكل مهامه . وكان من بين ما فعلته اقدامها لاول مرة على انشاء وزارة للخارجية ، وتعيين ممثلين لها لدى حكومات الدول التي للبنانيين مصالح فيها . ولم يطل الامر حتى اخذت تبذل اهتماماً خاصاً في انشاء علاقات ديبلوماسية مع الكرسي الرسولي ، مبرهنة على انها تقدر لهذا المقام السامي خطورته ، وما له من قوة ادبية وسلطة نافذة واتصالات وثيقة بأكبر ممالك الارض ، آملة ان تجني من وراء هذه العلاقات اوفر الثمار واشهاها .

اعتراف البابا باستقلال لبنان

وللحال باشرت الحكومة اللبنانية المفاوضات اللازمة مع المراجع البابوية ، اولاً في بيروت مع القاصد الرسولي السيد رمي نبرتز ، ثانياً في رومية مع الدوائر الفاتيكانية ، وقد قام بها في كلا المدينتين وزير خارجية لبنان يومئذ الاستاذ حميد فرنجية ، الذي ام رومية بعد ذهابه الى لندرة لتمثيل لبنان في مؤتمر الدول المتحدة الذي عقد فيها ، ثم الى باريس للاتفاق مع الحكومة الفرنسية على اقرار اتفاقية الجلاء .

وكان في رفقته من باريس الخوراسقف يوحنا مارون الوكيل البطريركي الماروني يومئذ فيها ، ووصلا الى رومية في ٨ نيسان من سنة ١٩٤٦ ، واجتمعا بالمنسنيور تارديني رئيس القسم الاول لامانة سرّ الدولة البابوية ، وتحدثا اليه في امرين : اولهما اعتراف البابا بيوس الثاني عشر باستقلال لبنان ، والآخر موافقته على تبادل التمثيل الدبلوماسي بين لبنان والكرسي الرسولي .

وقد ادت محادثات الجانبين الى الاتفاق على اهم النقاط ، وبعد ان اودعا ما وطنا النفس عليه بنصوص قانونية خطية ورفعاها الى الحبر الاعظم ، حظي الوزير والخوراسقف بمقابلة قداسته ، ونالا منه وعداً بالموافقة على تلك النصوص ، وحملها رسالة من توقيعه الكريم الى رئيس الجمهورية اللبنانية يعترف فيها باستقلال لبنان .

وفي ١٦ من الشهر المذكور عاد الوزير والخوراسقف الى لبنان ، وقابلا رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء المرحوم رياض الصلح ، وافضيا اليهما بما كانت نتيجة مهمتهما في رومية ، وبسطا لهما رسالة الاب الاقدس ، فسرا بها وبادر رئيس الجمهورية الى الجواب عليها بعبارات ملؤها الشكر .

اول وزير مفوض للبنان في الفاتيكان

واخذ الرئيسان يستعرضان الشخصيات اللبنانية لانتقاء اول وزير مفوض للبنان لدى المقام البابوي ، فوقع اختيارهما على الاستاذ شارل حلو لما خبراه فيه من مؤهلات ، واستدعياه اليهما وسألاه رأيه في المنصب الذي سيسندانه اليه ، فأعرب عن رضاه به واستعداده لخدمة وطنه بما وسعه من اخلاص .

وعملاً بالاصول الديلوماسية ، طلبت وزارة الخارجية اللبنانية من وزارة خارجية الفاتيكان الاعراب عن رأيها في تعيين الاستاذ شارل حلو وزيراً مفوضاً للبنان لدى الكرسي الرسولي . فورد اليها بعد ظهر السبت ٢١ كانون الاول جواب بالموافقة كان له احسن وقع في مختلف المراجع . وللحال اصدر رئيس الجمهورية مرسوم التعيين .

علاقات لبنان بالفاتيكان في مجلس النواب

وآلت وزارة الخارجية اللبنانية بعد مدة الى السيد هنري فرعون ، وفي ١٣ شباط من سنة ١٩٤٧ ، عقد مجلس النواب اللبناني جلسة القى فيها السيد هنري فرعون بصفة كونه وزيراً للخارجية بياناً اوجز فيه سياسة لبنان الخارجية بوضوح وصراحة . ومما قــاله بشأن علاقات لبنان بالفاتيكان :

« انه ليسعدنا ان تقوم علاقات دبلوماسية بين لبنان والفاتيكان . وليس يخاف على حضراتكم ما في هذا الحدث من اهمية دولية ، فان هذه العلاقات ستمهد امامنا سبيل العمل المثمر في الحقلين الدولي والانساني ،

وسيكون من نتائجها ان نؤدي رسالتنا نحو بلادنا ومغتربينا ونحو البلاد العربية الشقيقة على اكمل وجه .

« ولست في حاجة لأبيّن ما لدولة الفاتيكان من تأثير عظيم في السياسة الدولية ، وما لها من مكانة روحية ومعنوية وسياسية في مختلف اقطار العالم الشرقية منها والغربية على السواء » .

سفر الوزير حلو الى الفاتيكان

وبعد ظهر السبت ٢٢ شباط من سنة ١٩٤٧ ، سافر الاستاذ شارل حلو الى مركز عمله بطريق مصر . فوصل رومية يوم ٢٨ من الشهر نفسه ، فاستقبله في المطار رهط من علية الاكليروس الشرقي والغربي وفريق من اللبنانيين قطّان رومية .

مقر المفوضية اللبنانية

ولم يلبث الوزير المفوض ان استأجر مقراً للمفوضية اللبنانية في شارع من اعظم شوارع رومية ، وهذا المقر هو عبارة عن قصر منيف يدعى « ڤيلا بوليانا » يملكه البرنس داسيًا ، ويعد من افخم قصور رومية المشهورة بهندستها الفنية .

الوزير يبتدىء بالزيارات

وتدفعنا جدة المهمة المسندة الى الاستاذ حلو الى التوسع قليلًا بما قام به في بدء وصوله ، فانه ما كاد يستقر في دار المفوضية الجديدة حتى أخذ يزور المقامات الرسمية ، وكانت اولى زياراته لنيافة الكردينال عميد هيئة الكرادلة ، فخصه صاحب النيافة باستقبال حسن وتحدث اليه عن لبنان مفيضاً بالثناء عليه .

ثم زار بعد ذلك نيافة الكردينال تيسران رئيس المجمع الشرقي ، وهو فرنسي الجنسية كان قد ترأس في بيروت المؤتمر القرباني بالنيابة

عن الحبر الاعظم ، ثم زار امين سره المنسنيور روسو ، فصادف في المقامات الثلاثة ترحيباً قلبياً وحفاوة ممتازة .

وقام الوزير بعد ذلك بزيارة زملائه الممثلين السياسيين للدول في الفاتيكان ، مبتدئاً بممثلي فرنسة وبريطانية ، والمعروف ان الممثلين الدبلوماسيين للدول لدى هذا المقام ينتقون دائماً من اكرم رجال سلكهم محتداً واوسعهم ثقافة وارجحهم فهماً ، ومن هنا تعرف اية حفاوة ممتعة لاقاها الوزير حلو في جميع هذه المراجع .

الوزير حلو يُقدَّم للبابا

وفي ١٢ اذار من سنة ١٩٤٧ ، اي حين لم يكن بعد قد مرّ على وصول الاستاذ شارل حلو الى رومية الا بضعة عشر يوماً ، اقيمت في الفاتيكان احتفالات فخمة تذكاراً لجلوس قداسة البابا بيوس الثاني عشر على السدة الرسولية ، دعي الوزير اليها .

وقد احتفل صاحب القداسة بهذه المناسبة بقداس حبري في كنيسة سكستين ، حضره الكرادلة والاساقفة ورجال السلك الدبلومامي ، وكان من الحاضرين معهم الاستاذ شارل حلو . وبعد القداس تقبل الحبر الاعظم التهانيء من كبار الحاضرين ، وقد قُدّم له الاستاذ حلو فهش له وبش وباركه قائلا : « اني احب لبنان واباركه لانه يعد من مفاخره اتصاله الدائم الوثيق بمقر السلطة الروحية السامية ، ويبدي ابداً رغبته في الاستمرار على هذا الاتصال » .

الوزير حلو يقدم اوراق اعتماده

وعيّن يوم السبت الواقع في ١٥ اذار سنة ١٩٤٧ موعداً لتقديم الوزير اللبناني الجديد اوراق اعتماده لقداسة البابا ، في حفلة تراعى فيها التقاليد المألوفة . فجاء في اليوم المعين رئيس التشريفات في الفاتيكان مع بعض موظفيه على سيارات بابوية الى دار المفوضية اللبنانية ، واصطحبوا

عليها الاستاذ شارل حلو وحاشيته ، فأديت لهم عند وصولهم التكريمات الرسمية ، وسير بهم الى قاعة العرش حيث كان ينتظرهم صاحب القداسة ، وقد احاط به كبار رجال الفاتيكان وحرس الشرف والحرس البابوي احاطة الهالة بالقمر .

خطاب الوزير اللبناني

وعندئذ تقدم الوزير اللبناني فألقى خطاباً بالفرنسية هذه ترجمة بعضه الى العربية :

ايها الاب الاقدس

انها لنعمة خاصة حقاً ان يتاح لاول ممثل ديبلوماسي للبنان لدى قداستكم ، ان يدخل رسمياً تحت سقف بيت « الاب » ، في الوقت الذي يحتفي العالم بامره بذكرى تسنمكم السدة البطرسية اثر انتخاب بدا كعبارة عن الرضى العالمي ، وكدليل للمساعدة الالهية الموعود بها والمؤمنة للكنيسة .

الا فاسمحوا لي ان اضم اللبنانيين الى هذا التعلق الورع ، اولئك اللبنانيين الذين لا يزال يدوي في روحهم وقلبهم صدى الرسالة الاولى التي وجهتها قداستكم الى الكاثوليك وغير الكاثوليك معاً ، حيث تمنيتم للجميع السلام في العدالة والصلاح .

وهذه الذكرى تنطوي على مغزى استثنائي في نظر بلادي ، وهي من الذكريات التي لا تحصى والتي تسبغ على مهمتي طابعها ومعناها .

واذ اقدم لقداستكم الاوراق التي بموجبها يعتمدني فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية لديكم كموفد خارق العادة ووزير مطلق الصلاحية ، اني اشعر بأني لا ادشن ولكن اكمل بشكل يتفق مع مسرى التاريخ علاقات يعود عهدها الى منشأ الكنيسة ، وهي معدة للاستمرار حتى منتهى الدهر ...

الى ان قال :

لهذه الاسباب بمقدوري في هذا الاحتفال ان اكون ترجماناً ليس فقط

للحب البنوي الذي يكنه الكاثوليك لأبي المؤمنين ، ولكن ايضاً لشعور الاحترام والثقة الذي يشعر به كل ابناء بلادي على السواء ، حيال ممثل القيم الروحية والحريات الاساسية وحيال المدافع عن هذه القيم وهذه الحريات ، التي بمصيرها يرتبط مصير لبنان ارتباطاً وثيقاً ...

وختم اخيراً :

اما انا ، ايها الاب الاقدس ، اذ لم تهن همتي من جراء عظم وثقل المسؤوليات التي اضطلع بها في ممارسة مهمتي ، فذلك لاني احمل من قبل كل رؤسائنا الدينيين والزمنيين رسالة اجلال وحب لشخصكم السامي ، ولاني اثق ايضاً بأن تعضدني لدى قداستكم استحقاقات وصلوات ابناء لبنان منذ الفي سنة .

ولكن لاني ايضاً وبنوع خاص ارفع استدعاء اودعته كل قوى نفسي التمس فيه بركة قداستكم ومساعدتها الابوية من اجل اتمام مهمتي .

ردّ قداسة البابا

وقد ردّ صاحب القداسة البابا بيوس الثاني عشر على وزير لبنان المفوض بالفرنسية رداً جميلاً ، وهذا ترجمة بعض ما جاء في خطابه الى العربية :

يا حضرة الوزير

هي المرة الاولى في مجرى التاريخ التي يتاح لنا فيها ان نحيي ابناً للبنان ، ينزل عاصمة المسيحية ليمثل رسمياً وطنه النبيل ، الذي استكمل حريته واستقلاله على اثر حقبة تزاحمت فيها الحدثان العجيبة ، وبعد عصور طويلة تفاوتت فيها ظروفه وانقلاباته .

ان الكلمات التي قدمتم بها سمادتكم منذ هنيهة اوراق اعتمادكم ، لهي دليل قاطع لنا على ان اختيار فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية قد وقع على شخصية تعرف ان تنفذ الى صميم مهمتها السامية ، فتدرك انها لرسالة علوية تتسامى على الوظيفة التي كلفتها ...

ان مباشرة العلاقات الرسمية رأساً وبلا انقطاع بين الكرسي الرسولي ولبنان ، ليست طرفة جديدة ، على ما قلتم سعادتكم ، انما هي مواصلة علاقات عائدة بالحقيقة الى اوائل العهد المسيحي ، وقد تطورت بحسب مقتضيات العصور ...

اما العبارات التي ترجمتم بها عن كل ذلك فقد وفرت لنا يا حضرة الوزير غبطة فائقة ، اذ تجلى لنا اي صدى عميق كان في نفوس اللبنانيين للمبادىء التي اعلنها هذا الكرسي الرسولي ، وكرزناها نحن كأس معنوية لسلم من التعاون مخلص بين الشعوب ، حتى اصغرها واضعفها ...

الى ان قال :

ويبدو لنا ان بلادكم ، الشبيهة في تنوع عواملها العرقية واللغوية ، بذلك النسر المتموجة جوانحه بالوان كثيرة ، والذي رآه النبي حزقيال يحلق فوق لبنان (حزقيال ١٧ ، ٣) لمدعوة بصورة فريدة الى ان تحقق حتى بين اعضاء يختلفون اصلاً وتفكيراً وحدة الحياة هذه الاخوية الناعمة .

وقد يكون المثل الحي الذي يعطيه هذا الشعور الاخوي الطيب ، الملائم كل الملاءمة لخير الجميع ، ذا مغزى سام مفيد ، وسط اضطرابات الشرق الادنى .

لذلك اننا نعقد املاً جميلاً على ان نرى كاثوليك لبنان باسرهم ، على اختلاف طوائفهم وبالاتفاق التام مع تعاليم الانجيل ، ووفقاً لنياتنا الشخصية التي تهدف جميعها الى التوفيق بين الشعوب وانشاء سلم ثابت ، يوحدون جهودهم كي يسكبوا في دولتهم الفتية ، بشخص جميع ابنائها ، روحاً تنطبق يوماً فيوماً على هذا المثل الاعلى .

ومن المحقق ان غيرة المواطنين الكاثوليك على المساهمة في هذا المجهود المشترك ، ستجد تشجيعاً ودافعاً قوياً في ثقتهم الاكيدة بان يروا تنفيذ الضمانات المقدمة للكرسي الرسولي بمناسبة الاعتراف بالدولة اللبنانية ، ولاسيما الضمانات المتعلقة بحرية ممارسة الدين وحرية التعليم والسلطة الكنسية ، وبحماية

العائلة المسيحية ، وبتربية الناشئة تربية عقلية واخلاقية تتفق وتعاليم الكنيسة الكاثوليكية وبحق انشاء الجمعيات .

ويقيناً منا بأن سعادتكم ستبذلون في مهمتكم الجديدة كل ما في عقلكم من قوى وفي قلبكم من اندفاع تقوية وتعزيزاً لهذه الثقة ، نؤكد لكم بدورنا أنكم ستجدون لدينا عضداً مستمراً ومشجعاً .

وتفضلوا يا سعادة الوزير بتبليغ فخامة رئيس الجمهورية وحكومته وجميع الفئات التي يتألف منها الشعب اللبناني ، تحياتنا وتمنياتنا الابوية .

ان لغة التوراة التي اصبحت ملكاً روحياً مشتركاً للشعوب المتمدنة ، قد جعلت من الارز الذي يزين علم امتكم رمز القوة والحيوية والخصب والمقاومة المؤمنة من صدمات العاصفة .

ان هذا العزم في المقاومة ، وسط عالم ضعضعته الاعاصير ، لثمرة قوة الجذور وعمقها ورسوخها ، تلك الجذور المتأصلة في تربة المبادىء الخالدة ، لانه كما نبه رسول الامم نصارى زمانه ، « ان كان الاصل مقدساً فكذلك الفروع » .

ونحن اذ نطلب من الله ان يصون جميع الذين يتفيأون ظل ارز لبنان ، نوجه اليهم جميعاً وبنوع خاص الى شخصكم الكريم ، بركتنا الرسولية عربوناً لنعم الله .

تعيين اول سفير بابوي في بيروت

وبعد أن رأى الكرسي الرسولي سفير لبنان يصل الى حاضرة الفاتيكان ، بناء على اتفاقه مع الحكومة اللبنانية على تبادل التمثيل السياسي ، بادر الى الغاء القصادة الرسولية في بيروت ، وانشأ في مكانها سفارة عين فيها سفيراً له المنسنيور « ألسيد مارينا » (وقد قدمنا ترجمته سابقاً) ، وكان هذا السفير قد اوفد من نحو عام بمهمة الى لبنان ، وتعرف اليه كثيرون من علية قومنا ، وأعجبوا بمؤهلاته . فلما عرفوا بتسميته لمنصب السفارة

البابوية قابلوا الخبر بالسرور ، وعلقت صحفنا عليه بعبارات الارتياح ، متوقعة الحصول عن يده على كل ما يبشر بالخير .

وفي ٢ حزيران من السنة ١٩٤٧ ، سافر السيد ريمي لبرتو آخر القصاد الرسوليين في بيروت مفسحاً مجال العمل للسفير الجديد فودعه كبار القوم على الرصيف بمظاهر التأثر والاجلال .

وصول السفير البابوي الى لبنان

وترك المونسنيور مارينا اسطمبول في اواسط حزيران ، فوصل الى طرابلس في ١٩ منه . وقد جرى له فيها حين وصوله استقبال حافل .

وبعد ان ارتاح قليلاً وشكر مستقبليه ، امتطى سيارة الحكومة وواصل طريقه الى بيروت .

وما هو ان دخل العاصمة حتى كان وراءه خط طويل من السيارات عليها جمهرة من المرافقين يتقدمهم الاساقفة والاعيان . وعند مدخل المدينة استقبله شرذمة من رجال الدرك والشرطة باداء التحية الرسمية .

اما المستقبلون الى جانبي الطريق فحدث عنهم ولا حرج ، اذ كانت الارصفة والشرفات والسطوح والساحات تغص بهم ، وقد كانوا يهتفون للحبر الاعظم ولسفارته الجديدة ويحيون نيافة السفير بتصدية الاكف .

وتابع الموكب سيره على هذا النحو الى قصر السفارة ، دار القصادة سابقاً ، اما السفير فظل سائراً على سيارته الى القصر الجمهوري ، حيث استقبل رسمياً ، وبعد ان استراح هنيهة سجل اسمه في سجل التشريفات ، وعاد الى قصر السفارة حيث كان المستقبلون بانتظاره ، فتقدموا منه يحيونه ويهنئونه بسلامة الوصول ، ويعربون عن تعلقهم بالكرسي البابوي ، ثم ينصرفون بعد توقيع اسمائهم في سجل خاص اعد لهذه الغاية .

السفير في وزارة الخارجية

وخص السفير الزيارة الاولى التي قام بها بعد وصوله الى لبنان بوزارة الخارجية ، فاستقبله وزيرها الاستاذ حميد فرنجيه وشيعه بالاجلال ، واكد الذين حضروا هذا الاجتماع ان الحديث دار فيه على موعد الحفلة التي يجري فيها تقديم نيافته اوراق اعتماده . وبعد ان خوطب الرئيس الاول بالامر قرر ان يكون موعد هذه الحفلة يوم الثلاثاء الواقع في ٢٤ حزيران سنة ١٩٤٧ .

البطريرك الماروني يزور السفير

ووافق وصول السفير هبوط صاحب الغبطة الطيب الاثر البطريرك الماروني انطون عريضة الى العاصمة ، تلبية لدعوة وزير فرنسة المفوض الكونت دي شايلا ، لمأدبة تكريمية لغبطته ، يعلق فيها على صدره وسام الصليب الاكبر الفرنسي لجوقة الشرف . وبهذه المناسبة لم يرَ غبطته من مندوحة له عن زيارة فخامة رئيس الجمهورية ، ونيافة الكردينالين تبوني واغاجانيان ، ونيافة السفير الرسولي ، فكانت سانحة بينهما للتعارف وتبادل عبارات الود والمجاملة ، وبعد عود غبطته بساعة الى بكركي في النهار نفسه ، شوهد السفير الجديد يدخل قصر بكركي للقيام بواجب رد الزيارة للبطريرك .

السفير يقدم اوراق اعتماده

وفي الساعة الحادية عشرة الاعشر دقائق من نهار الثلاثاء ٢٤ حزيران سنة ١٩٤٧ ، كانت احدى سيارات القصر الجمهوري تقل السفير البابوي اليه ، تتقدمها ثماني دراجات بخارية وقد جلس فيها الى جانب السفير السيد عزت خورشيد مدير التشريفات في وزارة الخارجية ، يخفق على مقدمتها العلمان البابوي واللبناني .

وعندما ترجل السفير امام القصر الرئاسي ، ادت له التحية الرسمية فرقتان من الحرس الجمهوري ، بينما كانت الموسيقى العسكرية تصدح بالنشيد البابوي .

واستقبله عند مدخل القصر المدير العام لديوان الرئاسة الاستاذ جورج حيمري والنقيب الامير عبد القادر شهاب المرافق ، والسيد بطرس الخوري امين السر الخاص ، وبعد ان حيام السفير استعرض الحرس الجمهوري برفقة النقيب شهاب .

ثم دخل القصر ، وعلى رتاجه الداخلي رحب بسعادته الاستاذ حميد فرنجية وزير الخارجية ، وقاده الى البهو الكبير حيث كان بانتظاره رئيس الجمهورية ، فرحب به ترحيباً حاراً ، وبعد فترة قدم السفير اوراق اعتماده ، فأخذها الرئيس منه واحالها الى وزير الخارجية ، وعندئذ وقف السفير البابوي ولفظ خطاباً مستطاباً نقتطف منه ما يلي :

من خطاب السفير البابوي

يا فخامة الرئيس

اني افهم فهماً تاماً الشرف الكبير الذي يعود الي من تقديمي الوثائق التي يعتمدني بموجبها مولاي المعظم قداسة البابا بيوس الثاني عشر ، سفيراً بابوياً لدى حكومة الجمهورية اللبنانية .

وبذلك ، تتبلور في الشكل الرسمي الصلات التي ما زالت قائمة بين هذه الارض المميزة ، ارض لبنان ، وابنائه السعداء الاباة ، وبين الكرسي الرسولي عاصمة النفوس .

ولقد خصصت بشرف اثيل اذ بي أنيطت مهمة سامية هي ان ابدأ سلسلة سفراء الفكر ، الذين سوف يمثلون لدى هذه الامة النبيلة رئيساً فريداً في العالم ، لانه يجمع الى اجل سلطة ابوة شاملة وديعة كريمة .

واني لارجو لهذه السلسلة ان تكون طويلة ، ميمونة ، مرعة .

ان الحبر الاعظم المالك سعيداً قد أعلن بابلغ واصرح بيان ، وفي كل المناسبات العديدة التي هيأتها له حوادث هذه السنوات المفجعة ، المبادىء التي توحي وتوجه نشاط الكرسي الرسولي .

وان هذا النشاط ليس في جوهره الا تحقيق رسالة الانجيل تحقيقاً متواصلاً مستمراً خلال صروف الدهر الكثيرة .

أن الكرسي الرسولي ما انفك قط يؤيد التعاون المخلص الثابت بين الامم ، وقد حاول ان يعممه وفقاً للعدل والحرية والمساواة في الحقوق ووفقاً للسلام ، وانه لن يتخلى ابداً عن هذه الخطة ، لانه لا يقدر ان يتخلى عنها إلا اذا انكر سبب وجوده ، وقصر عن مهمته في العالم .

الى ان قال :

واخيراً اسمحوا لي يا صاحب الفخامة ان اؤكد لكم عظيم ودادي لبلادكم ولكل من سكانها السعداء ، فاني ، بفضل الابوة التي سمعتموني اتحدث عنها ، اشعر نحوهم بحب يخالجه عطف خصوصي . لذلك انني سامشي في اتمام رسالتي وفقاً لهذه العواطف ، مع ادراكي العميق لما تحتمه من تبعات ، وسيكون ذلك ولا بد بموجب النظامات الدولية وبالاعمال التي تعود الى انماء خير الشعوب العام ، على انها ستظل ايضاً من ضمن هذا الجو الطيب المفعم بأصدق الود الذي يربطني منذ الآن بلبنان ، فمن سناء شواطئه الى عظمة جباله في كل مكان تشع وتغرد فيه فضيلة النفوس الابية وجدوى العمل المفرح الخصب ، وخصوصاً الايمان العميق المخلص بالله .

وهكذا اذ اعتز بهذه العواطف التي اعلنتها امام فخامتكم ، والتي تتفضلون بتقدير اخلاصها ، اقدم لفخامتكم اخلص عبارات احترامي العميق وجزيل اعتباري ، ملتمساً منكم في الوقت نفسه تأييداً دائماً هو ضروري لقيامي قياماً حسناً بمهمتي التي تقدرون خطورتها اكثر مني .

رد رئيس الجمهورية

وقد رد عليه رئيس الجمهورية بخطاب قيم هذا بعض ما جاء فيه :

يا صاحب السعادة

« انني لاشعر بعظيم الاغتباط ، وانا استقبل بشخصك الكريم ، اول

سفير للاب الاقدس ، ورسولاً اميناً للمدينة التي احسنت وصفها بـ « عاصمة الانفس » .

« وان لقب « اسقف فينيقية وهليوبوليس » الذي تحملونه ، والوظائف الدقيقة المتنوعة التي باشرتها في بلاد مجاورة ، وذلك المعنى الرفيع الذي عبّرت عنه الكلمات التي قدمت بها اوراق اعتمادك ، والحرص الذي تبديه على ان تكون بيننا كواحد منا ، فتقاسمنا خبزنا السماوي والارضي ، كل هذه تكفل نجاح المهمة – ان لم يكن عن الكفالة غنى – التي دعتك اليها ثقة قداسة الحبر الاعظم بيوس الثاني عشر ، وابدع فاتحة لسلسلة لا بد ان تكون طويلة زاهرة ، من سفراء الروح الذين سيمثلون بين ظهرانينا السلطة المقدسة مؤتلفة بالابوة العالمية .

« وتاريخ العلاقات بين لبنان والسدة البابوية تاريخ معروف ، فهو لوح شفاف خطت فيه بحروف ازلية ، بوادر الانتباه والعطف ، التي اختص بها الآباء الاقدسون ابناءهم ، اياً كانت الطائفة التي ينتسبون اليها .

وختم فخامة الرئيس كلمته بما يلي :

« ولبنان هذه الارض التي تتدفق لبناً وشهداً ، لسعيد بأن يكون اول بلدان الشرق التي سلكت الطريق الى مدينة الفاتيكان التي يعتلي سدتها الحبر الاقدس ، وهو مقدر كل التقدير الآثار الحسنة التي ستتبع هذه الخطوة المباركة في حياته الداخلية والدولية . وان وجودكم بيننا لاغلى ضمانة لذلك . فلسوف نستقبل الحوادث بعد الآن بأرواح اعم سكينة ونفوس اكثر طمأنينة .

« وانني اذ ابدي اصدق التمنيات لقداسة بيوس الثاني عشر ولسعادته ورفاهيته ، اؤكد لك بانك تستطيع ان تعتمد في تأدية مهمتك خير تأدية على المؤازرة التامة من قبل حكومة الجمهورية ومن قبلي » .

وبعد ان انهى فخامته خطابه الشائق ، قدم له السفير البابوي معاونيه ، وجلس بجانبه ووزير الخارجية اطراف الحديث مدة ، ثم انصرف مودعاً بمثل ما استقبل به من مراسيم الشرف وعزف الموسيقى .

تظاهرة الطلاب

وما هو ان خرج السفير البابوي الى ظاهر القصر حتى رأى الى جانبي الطريق صفوفاً طويلة من الطلاب والطالبات تقف بانتظاره، وتقابله بالهتاف والتصفيق وترتيل الاناشيد. وكانت تلك الصفوف ممتدة على طول الطريق من القصر الجمهوري حتى قصر السفارة، فسار السفير ما بينها باسم الثغر منشرح الصدر وهو يباركها بيمينه ويوجه اليها شارة امتنانه.

مأدبة تكريمية

وعند الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين، عاد السفير الى القصر الجمهوري مدعواً الى مأدبة غداء تكريمية اقامها له رئيس الجمهورية. وقد دعا معه اليها عدداً من كبار الشخصيات اللبنانية، يتقدمهم المغفور له المرحوم رياض الصلح رئيس مجلس الوزراء، والسيد حميد فرنجية وزير الخارجية، وقد بالغ المغفور لها الرئيس والسيدة عقيلته ومن حولهما من كبار رجال الدولة في الحفاوة بسفير البابا ومن معه من موظفي سفارته، وشيعوهم اخيراً بمظاهر الاجلال والتكريم.

احتفاء اللبنانيين بذكرى تتويج البابا

وكانت الطوائف الكاثوليكية تحتفي قديماً بذكرى تتويج البابوات ضمن نطاقها الخاص، وبعد اتفاقات لاتران واستقلال حاضرة الفاتيكان، اخذ الاحتفال بهذه الذكريات يتسع ويشمل ضمن نطاقه مختلف الهيئات الدينية والسياسية والشعبية.

ومنذ رقي الى عرش الخلافة البطرسية الحبر الاعظم الاسبق الطيب الاثر البابا بيوس الثاني عشر في ٢ اذار من سنة ١٩٣٩، اخذت ذكرى تتويجه في ١٢ من الشهر المذكور ترتدي طابعاً خاصاً من الابهة والرونق، بمن يحضرها من كبار رجال الدين والدنيا، وكانت ابهى الذكريات حفاوة وجلالاً تلك التي اقيمت في ١٥ اذار من سنة ١٩٤٨، على اثر

سفير للاب الاقدس ، ورسولاً امينـــاً للمدينة التي احسنت وصفها بـ « عاصمة الانفس » .

« وان لقب « اسقف فينيقية وهليوبوليس » الذي تحملونه ، والوظائف الدقيقة المتنوعة التي باشرتها في بلاد مجاورة ، وذلك المعنى الرفيع الذي عبّرت عنه الكلمات التي قدمت بها اوراق اعتمادك ، والحرص الذي تبديه على ان تكون بيننا كواحد منا ، فتقاسمنا خبزنا السماوي والارضي ، كل هذه تكفل نجاح المهمة – ان لم يكن عن الكفالة غنى – التي دعتك اليها ثقة قداسة الحبر الاعظم بيوس الثاني عشر ، وابدع فاتحة لسلسلة لا بد ان تكون طويلة زاهرة ، من سفراء الروح الذين سيمثلون بين ظهرانينا السلطة المقدسة مؤتلفة بالابوة العالمية .

« وتاريخ العلاقات بين لبنان والسدة البابوية تاريخ معروف ، فهو لوح شفاف خطت فيه بحروف ازلية ، بوادر الانتباه والعطف ، التي اختص بها الآباء الاقدسون ابناءهم ، اياً كانت الطائفة التي ينتسبون اليها .

وختم فخامة الرئيس كلمته بما يلي :

« ولبنان هذه الارض التي تتدفق لبناً وشهداً ، لسعيد بأن يكون اول بلدان الشرق التي سلكت الطريق الى مدينة الفاتيكان التي يعتلي سدتها الحبر الاقدس ، وهو مقدر كل التقدير الآثار الحسنة التي ستتبع هذه الخطوة المباركة في حياته الداخلية والدولية . وان وجودكم بيننا لاغلى ضمانة لذلك . فسوف نستقبل الحوادث بعد الآن بأرواح اعم سكينة ونفوس اكثر طمأنينة .

« واني اذ ابدي اصدق التمنيات لقداسة بيوس الثاني عشر ولسعادته ورفاهيته ، اؤكد لك بانك تستطيع ان تعتمد في تأدية مهمتك خير تأدية على المؤازرة التامة من قبل حكومة الجمهورية ومن قبلي » .

وبعد ان انهى فخامته خطابه الشائق ، قدم له السفير البابوي معاونيه ، وجلس بجانبه ووزير الخارجية اطراف الحديث مدة ، ثم انصرف مودعاً بمثل ما استقبل به من مراسيم الشرف وعزف الموسيقى .

تظاهرة الطلاب

وما هو ان خرج السفير البابوي الى ظاهر القصر حتى رأى الى جانبي الطريق صفوفاً طويلة من الطلاب والطالبات تقف بانتظاره ، وتقابله بالهتاف والتصفيق وترتيل الاناشيد . وكانت تلك الصفوف ممتدة على طول الطريق من القصر الجمهوري حتى قصر السفارة ، فسار السفير ما بينها باسم الثغر منشرح الصدر وهو يباركها بيمينه ويوجه اليها شارة امتنانه .

مأدبة تكريمية

وعند الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين ، عاد السفير الى القصر الجمهوري مدعواً الى مأدبة غداء تكريمية اقامها له رئيس الجمهورية . وقد دعا معه اليها عدداً من كبار الشخصيات اللبنانية ، يتقدمهم المغفور له المرحوم رياض الصلح رئيس مجلس الوزراء ، والسيد حميد فرنجية وزير الخارجية ، وقد بالغ المغفور لهما الرئيس والسيدة عقيلته ومن حولهما من كبار رجال الدولة في الحفاوة بسفير البابا ومن معه من موظفي سفارته ، وشيعوهم اخيراً بمظاهر الاجلال والتكريم .

احتفاء اللبنانيين بذكرى تتويج البابا

وكانت الطوائف الكاثوليكية تحتفي قديماً بذكرى تتويج البابوات ضمن نطاقها الخاص ، وبعد اتفاقات لاتران واستقلال حاضرة الفاتيكان ، اخذ الاحتفال بهذه الذكريات يتسع ويشمل ضمن نطاقه مختلف الهيئات الدينية والسياسية والشعبية .

ومنذ رقي الى عرش الخلافة البطرسية الحبر الاعظم الاسبق الطيب الاثر البابا بيوس الثاني عشر في ٢ اذار من سنة ١٩٣٩ ، اخذت ذكرى تتويجه في ١٢ من الشهر المذكور ترتدي طابعاً خاصاً من الابهة والرونق ، بمن يحضرها من كبار رجال الدين والدنيا ، وكانت ابهى الذكريات حفاوة وجلالاً تلك التي اقيمت في ١٥ اذار من سنة ١٩٤٨ ، على اثر

التبادل الدبلوماسي بين لبنان والكرسي الرسولي ، وجعلت الحفلة ذات شقين ، الاول ديني اقام فيه سعادة السفير البابوي قداساً كبيراً في كنيسة معهد الفرير المعروفين باخوة المدارس المسيحية ، بحضور صاحبي النيافة الكردينالين تبوني واغاجانيان ، ويحيط بهما كبار رجال الاكليروس وبشهد رهط من اركان الحكومة والاعيان ، يتقدمهم المغفور له الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية ، والسيد صبري حماده رئيس مجلس النواب ، والمغفور له السيد رياض الصلح رئيس مجلس الوزراء والنواب واعضاء السلك الدبلوماسي .

وبعد الظهر اقيمت حفلة موسيقية في قاعة الاعياد بجامعة القديس يوسف ، القى فيها الاستاذ حميد فرنجية وزير خارجية لبنان خطاباً قيماً ألمع فيه الى ما لصاحب القداسة من مساع نبيلة في تعضيد السلم بين الدول ، ونشر مبادىء العدل والمحبة ، والى ما بذله ابان الحرب الاخيرة من اسعافات للاسرى والمنفيين ، ومن عناية بالاولاد والمشوهين ، دون ما ميزة بين شتى اديانهم وعناصرهم .

واثنى الوزير اخيراً على حكومة الكنيسة الخالدة الكيان والفتوة ، وتساءل : اي مقعد للبنان يكون في هذه الحكومة ؟ ثم قال ما حرفيته :

« ان لبنان لا يعتد باية اهمية له في مجال القوة المسلحة . بل يبقى في دائرة الفاتيكان بلداً مختاراً هو جزء من تلك القيم الروحية ، التي بعد الفاتيكان يحسب اقدر من كل دولة في الارض على قدرها .

« تضاف الى ذلك روابط دقيقة متينة يظهر انها تربطنا بالكرسي الرسولي ، ففي ارض لبنان في بانياس قرب النبطية ، اول ما اعلنت اولية بطرس ورفعة شأنه ، ومن شواطئنا سافر الى اقطار الارض اول رسل الانجيل .

وختم الوزير خطبته بعبارة وجهها الى ممثل البابا قال : يا صاحب السعادة — انتم بيننا ممثل البابا ، ففي هذه المناسبة يسعدني بان اقدم بواسطتكم لقداسة بيوس الثاني عشر اخلص اماني الشعب اللبناني وحكومته ، واوفرها احتراماً ، واؤكد له تعلق لبنان تعلقاً لا تنفصم عراه بالقيم الخالدة ، التي هو مظهرها الحي وحاميها المعظم » .

خطاب السفير البابوي

وكانت الخطبة الثالثة للسفير البابوي ، وبها اجاب على كلمة الاستاذ فرنجية وهذا بعض ما جاء فيها :

اسمحوا لي ان اشكركم اعمق شكر على حضوركم هذه الحفلة ، الذي ليس من يقدره تقديري .

ان لبنان الساعة ماثل امامي بكامله في اشخاص قادته ، يحفون برئيسه المحبوب ، وقد جاؤوا جميعاً يؤدون آيات الاحترام لمن يخاطب الملوك والوضعاء ، والماثل بنوع اخص برؤساء كنيسته المقدسة وفي مقدمتهم نيافة الكردينالين تبوني واغاجنيان ، وبأساقفتها ورعاتها المتفانين وبعلمائها وعامليها ومنظماتها .

هي روح كنيسة انطاكية عرش بطرس الاول تخفق اليوم فخراً وزهواً واملاً ، وانكم لتنضمون الى كاثوليك العالم اجمع الذين يحيون اليوم هذه الذكرى لتتويج خليفة بطرس » .

وبعد ان جاء السفير البابوي على تعداد ما قام به الحبر الاعظم في حبريته السعيدة ، في حقل ادارة الكنيسة ، من الجهر بالحقائق الازلية ، وتمكين علائق الولاء بين دول العالم ، واسعاف ضحايا الحرب ، انتقل الى الكلام عن الكنيسة وما تتابعه من جهاد في وجه قوى الشر ، غير عابئة بما يعترض طريقها من عقبات ، معتمدة على السلطة الموحدة التي وضعها مؤسسها بيد رجل واحد هو بطرس ، ليديرها ويدبرها ويحافظ على سلامة تعليمها .

وختم اخيراً بقوله : ان البابا يحتاج في ادارة الكنيسة الى امرين : عون المسيح وصلوات المؤمنين . اما عون المسيح فقد ضمنه وعده ، واما صلوات المؤمنين فعلينا الا نبخل بها ، واني لواثق بأن ابناء البابا في لبنان يقدمون بسخاء هذه المعونة البنوية ، ليمد الله بايامه ويقرن بالعمران ولايته ، ويقوي قلبه بسيادة السلام في الارض وشمول الحق والعدالة .

رفع الحجز عن الممتلكات الايطالية

وكان من نتائج التبادل الدبلوماسي بين لبنان والبابا، رفع الحجز عن الممتلكات الايطالية في بيروت وطرابلس. فان وزارة الخارجية اللبنانية مراعاةً منها للمقام البابوي، اصدرت قراراً لم يلبث مجلس الوزراء ان وافق عليه، ومؤداه رفع الحجز الحربي عن ممتلكات الجمعيات الدينية الايطالية في لبنان، وكانت هذه الممتلكات قبل هذا القرار تعتبر من ممتلكات العدو الجائز الاستئثار بها. ومن اخص هذه الممتلكات:

مدرسة الاناث الايطالية للراهبات الكائنة في رأس بيروت.

مدرسة الذكور الايطالية للآباء الدومينيكانيين في رأس بيروت.

مستشفى الراهبات الكرمليات في طرابلس.

البابا يتمنى لو رفعت مفوضيتنا في الفاتيكان الى مقام سفارة

في ١٠ ايار من سنة ١٩٤٩، تلقت وزارة الخارجية اللبنانية، من وزير لبنان المفوض في الفاتيكان الاستاذ شارل حلو، تقريراً يقول فيه انه قابل قداسة البابا، وفي اثناء الحديث اعرب له قداسته عن امنيته في ان ترفع الحكومة اللبنانية مفوضيتها لدى الكرسي الرسولي الى درجة سفارة، كما هي الحال في التمثيل البابوي لدى الحكومة اللبنانية.

ثم اعرب قداسته عن المميزات والروابط العديدة بين لبنان والفاتيكان منذ مئات السنين، مما يحبب بالفاتيكان الى تشديد تلك الاواصر وتمكينها.

واضاف وزيرنا المفوض ان الكرسي الرسولي اوعز الى سفيره في لبنان، بأن يقوم لدى حكومته بمسعى في هذا السبيل. وسنرى بعدئذ كيف ان الحكومة اللبنانية احترمت امنية البابا ولم تتلكأ عن الموافقة عليها.

احتجاج اللبنانيين على اعتقال الكردينال ميدزنتي

يوم الاحد ٢٦ كانون الاول من سنة ١٩٤٨ ، اعتقلت حكومة المجر في عاصمتها بودابست ظلماً وعدواناً الكردينال ميدزنتي رئيس الكنيسة الكاثوليكية في بلادها ، مدفوعة الى ذلك بما اعتنقته من المبادىء الشيوعية وغمت له ذنوباً لم تخطر له ببال ولا يمكن تصديقها ، وهي : الخيانة ، التجسس ، التآمر على سلامة الدولة .

وفي ٣ من شهر شباط سنة ١٩٤٩ ، قدمته للمحاكمة بعد ان عملت على اضعاف قواه النفسية والجسمية ، وحولته الى شبه آلة طيعة بين ايدي جلاديه ، الذين ساموه انواعاً من التعذيب والتحقير .

وحين اتصل باللبنانيين انباء تلك المظالم والاكاذيب ، تنادوا الى عقد اجتماع في قاعة الروكسي في بيروت للاحتجاج عليها ، وخطب فيهم الامير رئيف ابو اللمع مقبحاً ذلك الاعتداء على حرمة الدين وحرية الفكر والعمل والعقيدة والكرامة البشرية . وفي آخر الاجتماع رفع الحاضرون الى الحبر الاعظم البرقية التالي نصها :

« قداسة البابا بيوس الثاني عشر — حاضرة الفاتيكان — « الشعب الكاثوليكي اللبناني المجتمع في مهرجان رائع في احد اندية العاصمة ، يحتج بشدة على اعتقال لا مبرر له للكردينال ميدزنتي ، ويرفع بكل احترام الى الحبر الاعظم مشاركته اياه في المه ، متمنياً تحرير امير الكنيسة .

« عن المجتمعين
« رئيس العمل الكاثوليكي
« لبنـــان »

برقية مؤتمر الاحبار

وكان الاحبار اللبنانيون عقدوا مؤتمراً في دار السفارة الرسولية دام ثلاثة ايام متتالية ، وتناولت ابحاثهم فيه شؤوناً خيرية مختلفة ، وفي اثناء اجتماعهم رفعوا الى الحبر الاعظم البرقية التالي نصها :

« قداسة البابا بيوس الثاني عشر – حاضرة الفاتيكان

« ان رؤساء الاساقفة والاساقفة ورؤساء الرهبانيات العامين في لبنان ، العاقدين اجتماعاً عاماً في دار السفارة الرسولية ، يشكرون لقداسة الحبر الاعظم رسالته الابوية وتوجيهاته السامية التي استوحوا منها اعمالهم ، ويرفعون الى قداسته عواطفهم البنوية ، مشاطرينه ألمه العميق الذي أحدثه اعتقال الكردينال ميدزنتي ، واضطهاد الاساقفة والكهنة والمؤمنين في المجر ورومانية وسائر المناطق الواقعة تحت السيطرة الشيوعية .

« وهم يبتهلون الى الله كي يوطد عزيمة ابي المؤمنين ، ويمد بعونه رعاة البلاد والمؤمنين المضطهدين .

« وهم اذ يعتزون بانتمائهم الى الكنيسة الكاثوليكية ، يجددون تعلقهم الدائم بنائب المسيح ويلتمسون بركته الرسولية » .

وقد اجاب صاحب القداسة على هذه البرقية بالثناء على المؤتمرين ، طالباً اليهم الصلاة لاجل الكردينال السجين ، ومهدياً اليهم بركته الرسولية .

سفير بابوي جديد

وفي سنة ١٩٥٠ اصيب السفير البابوي في بيروت ، المنسنيور مارينا ، بفقر دم خبيث ، أدى الى وفاته في احد مستشفيات ايطالية في ١٧ ايلول من السنة المذكورة .

وفي اوائل تشرين الاول ، ورد على دار السفارة البابوية في بيروت نبأ برقي ، مفاده ان قداسة البابا عيّن نيافة المنسنيور جوزف بلترامي سفيراً جديداً بدلاً من السفير المتوفى .

وصول السفير بلترامي

وقبل ظهر الخميس ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٠ ، وصل الى بيروت على متن الباخرة « اسبيريا » صاحب النيافة السفير الجديد ، فرحب به عند مقدمه مندوب عن وزارة الخارجية ، وعدد كبير من اساقفة الطوائف

والرؤساء العامين للرهبانيات ، وتوافد كثيرون من مختلف المقامات على دار السفارة يرحبون به ويهنئونه بسلامة الوصول .

المنسنيور بلترامي يقدم اوراق اعتماده

وقبل ظهر السبت ٣ كانون الاول ، جاء المنسنيور بلترامي الى القصر الرئاسي وفقاً للبروتوكول المرعي ، وبعد ان استقر به المقام ، قدم لفخامة الرئيس اوراق اعتماده والقى خطاباً جميلاً كله شواعر محبة وتقدير وتمنيات قلبية ، فأجابه عليه رئيس الجمهورية بخطاب من نوعه ، مبادلاً اياه المثل بالمثل .

مأدبة تكريمية

وعند الظهر اقام المغفور له الشيخ بشاره الخوري مأدبة غداء تكريمية في القصر الرئاسي لنيافة السفير ، حضرها دولة رئيس الوزارة ووزير الخارجية ورهط من كبار الموظفين واماثل القوم .

السفير في بكركي

وكان صاحب الغبطة الطيب الاثر البطريرك الماروني مار انطون بطرس عريضه قد وجه وفداً لتهنئة السفير بالوصول . فبادر نيافته الى رد الزيارة له قبل ظهر السبت ١٦ كانون الاول ، فاستقبل في الصرح البطريركي بحفاوة ، وعانقه البطريرك عناقاً اخوياً . وبعد ان تبودلت الاحاديث في جو ودي زهاء نصف ساعة ، سار نيافته الى حريصا ليشاهد مقر السفارة الصيفي للمرة الاولى ، فاغتنم البطريرك هذه الفرصة ورد له الزيارة هناك ، ودعاه الى الغداء على المائدة البطريركية .

البابا يقابل الامير رئيف بللمع

الدكتور الامير رئيف بللمع من رجالات لبنان البارزين ، كان نائباً ووزيراً للتربية ، وشغل زمناً منصب امين سر معاون للجامعة العربية في القطر المصري . وقام بمهمة سفير لبنان في عاصمة البرازيل . سافر سنة ١٩٤٩

الى نبس من اعمال فرنسة ليمثل لبنان في مجلس الاتحاد البرلماني الدولي الذي عقد فيها ، وفي اثناء عوده عرّج على رومية وتشرف بمقابلة صاحب القداسة الطيب الاثر البابا بيوس الثاني عشر ، وتحدث اليه في بعض الشؤون اللبنانية والمارونية ، فأصغى صاحب القداسة المثلث الرحمات ، الى حديثه اصغاءً تاماً ، ووجه اليه بعض الاسئلة ، وكانت علامات الاهتمام بادية على وجه قداسته .

وقد قابل الامير ايضاً نيافة الكردينال تيسران ، ونيافة الكردينال رئيس المجمع المقدس ، ونيافة الكردينال تبوني الذي كان وقتئذ في رومية ، فلقي لديهم جميعاً كل عطف وحفاوة .

تكريم السفير البابوي في مؤسسة العمال

وفي ٣ اذار من سنة ١٩٥١ ، اقامت مؤسسة العمال للاب انطون قرطباوي في الحازمية ، حفلة تكريمية لنيافة السفير البابوي الجديد بمناسبة زيارته لها رسمياً لاول مرة ، دعت اليها رهطاً من كبار رجال الدين والدنيا .

وقد ألقى الاب المؤسس خطاباً وجهه الى صاحب النيافة مرحباً شاكراً له زيارته الرسمية ، التي ان دلت على شيء فعلى اهتمام الكرسي الرسولي بصغار لبنان المعوزين ، واعرب عما يكنه قلبه من عرفان جميل لصاحب القداسة الذي كان كلما تشرف بمقابلته يعرب له عن عطفه على مشروعه واهتمامه بصغاره ، باذلاً لهم مساعدته الروحية والمادية بسخاء ابوي ، ممهداً امامه كثيراً من الصعاب ، فلا عجب ان سار ممثل قداسته على اثره في الاهتمام بهذا المشروع وتعضيده بشتى المساعدات .

وقد اجاب نيافة السفير على هذا الخطاب مظهراً سروره لوجوده في مؤسسة لمس حيويتها لمس اليد ، موجهاً التكريم المقصود الى قداسة ابي المؤمنين ، الذي يعطف على الاولاد عطفاً خاصاً ويهتم بحالتهم الادبية والمادية ، لانه يعتبرهم كنز الكنيسة . ثم اعلن انه هو نفسه يحب ايضاً الصغار لانه من تورينو مدينة « دون بوسكو » ، التي خص فيها هذا القديس نفسه بخدمة الاحداث وحمايتهم في مؤسسات خيرية كانت قدوة

لكثير من امثالها ، ومنها مؤسسة الاب قرطباوي المزدهرة والمثقلة الاعباء . وبارك اخيراً باسم الاب الاقدس الاولاد والمحسنين اليهم والقائمين على تعليمهم وتهذيبهم ، ولا سيما راهبات القلبين الاقدسين والاب المؤسس ، راجياً للمؤسسة مواصلة النجاح .

لبنان مفتاح الكثلكة في الشرق

وفي ايار من السنة نفسها ١٩٥١ زار صاحب النيافة السفير البابوي السيد بلترامي بلدة عبرين ومدرستها ، فاستقبله ابناؤها استقبالاً حافلاً ، ونصبوا له اقواس النصر ومعالم الزين ، وحملوه على عرش أعدّ له عند مدخل البلدة ، وساروا به صفوفاً وهم يحملون الرايات الى الكنيسة ، حيث احتفل بالقداس في حفل كبير من المؤمنين . وبعد الانجيل القى خطاباً ذكر فيه محبة الاب الاقدس للبنان والطائفة المارونية وبلدة عبرين التي يعرفها قداسته ويحبها ، وانه هو الذي طلب اليه زيارتها ومنحها بركته الرسولية الى ان قال :

« ان الحبر الاعظم يعرف تاريخ الموارنة ولبنان ، ويقدر عظم ما قاسى اللبنانيون من مكاره في سبيل الحفاظ على ايمانهم ، كما انه يدرك تعلقهم الشديد بالكرسي الرسولي ويعطف على لبنان باعتباره مفتاح الكثلكة في الشرق » .

وبعد القداس زار نيافته المدرسة ووزع على تلاميذها بعض الهدايا باسم البابا ، ثم دعي لتناول الطعام على مائدة فاخرة ، وقبل مغادرته البلدة زار ضريح البطريرك الحويك في دير عبرين لراهبات العيلة المقدسة المارونيات ، فاستقبل بحفاوة ومنه عاد الى بيروت مشيّعاً بمجالي التكريم .

تبادل البرقيات في الاعياد الكبرى

ومما درجت عليه العادة بعد نشوء العلاقات الدبلوماسية بين لبنان والكرسي الرسولي ، ان يوجه مقام رئاسة الجمهورية اللبنانية الى صاحب القداسة برقيات التهنئة في الاعياد الكبرى وغيرها من مختلف السوانح

الهامة ، فيرد الجواب عليها ، على ما هو متعارف بينه وبين الرئاسات العليا لسائر الدول من الملوك ورؤساء الجمهوريات والحكومات الممثلة لديه . وها نحن نقدم مثالاً من تلك البرقيات :

« قداسة بيوس الثاني عشر – حاضرة الفاتيكان

« نغتبط بأن نعبّر عن عواطفنا للمرة الاولى بعد اقامة العلاقات الدبلوماسية مع الكرسي الرسولي ، ونرجو ان تتقبل قداستكم احر التمنيات للعام الجديد ، مع الامل بأن تتحقق اماني قداستكم في سلام العالم .

« بشاره خليل الخوري
بيروت ١ ك٢ ١٩٤٧ « رئيس الجمهورية اللبنانية »

فوردت على فخامته البرقية الجوابية التالية :

« فخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية

« نقدر التمنيات التي وجهتها الينا فخامتكم لمناسبة العام الجديد ، ويغبطنا ان نؤكد تمنياتنا لرفاهية فخامتكم ورفاهية ابنائنا الاعزاء في لبنان .

رومية في ٢ ك٢ ١٩٤٧ بيوس الثاني عشر »

واتبع تبادل مثل هذه البرقيات بين الرئاسة الاولى في لبنان وغيرها من المقامات اللبنانية العليا ، والجالس على العرش الرسولي السامي ، لدى بروز اي سانحة تستدعيها العلاقات الوثقى القائمة بين الجانبين ، وذلك منذ بداية العهد الاستقلالي عندنا حتى اليوم ، وسيوالي ذلك باذن الله ما بقي « لبنان والفاتيكان » .

الاستاذ جوزف حرفوش يخلف الاستاذ شارل حلو

في صيف ١٩٤٩ توعكت صحة الوزير المفوض في رومية الاستاذ شارل حلو ، فجاء لبنان للاستشفاء والراحة وقضاء عطلته الصيفية ، بعد ان اناب عنه امين سر المفوضية الاستاذ الير نصيف ، بصفة قائم بالاعمال .

وحدث في تلك الآونة ان المراجع العليا في لبنان كانت آخذة في تشكيل وزارة جديدة ، فعهدت الى الاستاذ شارل حلو في ان يكون من اعضائها وزيراً للعدل والانباء ، على ان يظل محتفظاً بمركزه في الفاتيكان ، ثم رؤي بعد حين بالاتفاق معه ان يقدم استقالته من منصبه في رومية ، ففعل وهكذا انتهت مهمته .

واتجهت الافكار في وزارة الخارجية اللبنانية بعد هذه الاستقالة الى تعيين خلف له ، فخاطب وزيرها في ذلك الحين السفارة البابوية في الامر رعاية للاصول ، وبعد عدة زيارات قام بها السفير البابوي المرحوم المنسنيور مارينا لقصر بسترس ، اتفقت الكلمة على اختيار الاستاذ جوزف حرفوش مؤسس المفوضية اللبنانية في بروكسل عاصمة بلجيكة والقائم بالاعمال ، لملء هذا المنصب .

وصدر بذلك مرسوم جمهوري تاريخه رابع كانون الثاني من سنة ١٩٥٠ ، رقي فيه الاستاذ جوزف حرفوش الى رتبة وزير مفوض من درجة رابعة ، وعيّن خلفاً للاستاذ شارل حلو في مفوضية الفاتيكان .

وما هو ان اعلن المرسوم حتى استقبلته جميع الارساط بالارتياح ، لما هو معروف عن الاستاذ حرفوش من ألمعيّة وجدارة ، ولم تلبث الدوائر الفاتيكانية ان وافقت على هذا التعيين .

الوزير حرفوش يقدم اوراق اعتماده

وانتقل الوزير المفوض الجديد من بروكسل الى رومية ، فاستقبل فيها رسمياً ، وبعد ان قام في دوائر الفاتيكان بزياراته البروتوكولية ، عيّن ثامن آذار من تلك السنة ١٩٥٠ موعداً لتقديم اوراق الاعتماد .

وفي الموعد المعين جاء صباحاً رئيس التشريفات في البلاط البابوي على عربة حبرية الى دار المفوضية اللبنانية ، واصطحب منها الوزير اللبناني السيد حرفوش ، ومعاونَيه الاستاذين البيرَ نصيف امين السر الاول وانطوان جبر امين السر الثاني ، وكلهم بالملابس الرسمية ، فدخلوا القصر البابوي في

الساعة التاسعة والدقيقة العشرين ، وكانت هناك فرقة من حرس الشرف بانتظارهم ، فأدت لهم التحية الرسمية بالسلاح ، وسار بهم رئيس التشريفات الى المعاهد الحبرية بين رجال الحرس السويسريين وهم وقوف بحللهم الجميلة ، لتأدية التحية ، والى جانبهم فرقة من الدرك الحبري والحرس البلاتيني ، واستقبلهم عند مدخل المعهد صاحب السعادة المنسنيور بنيامين ناردوني امين السر في دائرة التشريفات .

ولما أشعر صاحب القداسة بوصول الوزير وصحبه ، جاء ينتظرهم في قاعة العرش ، وقد احاط به كبار رجال الفاتيكان ، وفي مقدمتهم رئيس حرس الشرف البرنس ماركانتونيو باشللي ، وبعد ان قدم سعادة الوزير اللبناني اوراق اعتماده لقداسة ابي المؤمنين بالمراسيم المعتادة ، دعاه قداسته الى مكتبه الخاص وتحدث اليه في خلوة عن لبنان ، معرباً له عن حبه وعطفه .

وبعد هذه الخلوة قدم الوزير لقداسته اميني سره فباركهم قداسته جميعاً .

الوزير يزور المكتبة وكنيسة القديس بطرس

واتجه سعادة الوزير ومرافقاه بعد ذلك الى قاعة المكتبة ، حيث اجتمع الى كبار موظفي البلاط وبادلهم عبارات الولاء والتعارف ، وبعد ان طاف سعادة الوزير على القاعات البابوية المختلفة فزار من فيها ، نزل الى كنيسة القديس بطرس حيث استقبله ممثل رئيس التشريفات الفاتيكانية ، يرافقه ممثل رئيس مجمع الطقوس ورئيس الاحتفالات وغيرهما . وقد أدى الوزير في الكنيسة واجب السجود امام القربان الاقدس وتمثال السيدة العذراء وقبر هامة الرسل . وبعد ان ودع الوزير المنسنيور ناردوني وكبار رجالات البلاط الحبري الذين شيّعوه بكل تجلة الى الرتاج الخارجي ، ركب معه مرافقاه السيارات الحبرية فأعادته الى قصر المفوضية اللبنانية .

حاضرو الحفلة من اللبنانيين

ومما يستحق الذكر ، ان سعادة الوزير اللبناني فيما كان يقدم اوراق

اعتاده في القاعة الكليمنتينية (اي قاعة العرش) ، كان بين حاضري تلك الحفلة رهط كبير من الجالية اللبنانية المقيمة في رومية ، فباركهم صاحب القداسة وهو يدعو لهم ولعائلاتهم بالرفاه والتوفيق .

من هو الاستاذ جوزف حرفوش

ولد الاستاذ جوزف حرفوش في ١١ كانون الثاني من سنة ١٩٠٩ في القاهرة ، من عائلة لبنانية مارونية ، وحصّل دروسه الثانوية في جامعة القديس يوسف في بيروت ، وعاد الى القاهرة فدرس الحقوق في احدى جامعاتها ، ونال فيها شهاداته العليا .

ورجع الى لبنان فانخرط في سلك الصحافة ، وتسلم فرع انشاء الحقل السياسي الخارجي في جريدتي الجور والاوريان الفرنسيتين في بيروت . وهو كاتب قدير وله كثيرون من المعجبين بعبقريته بين القراء ، وفي سنة ١٩٤٦ عيّن ملحقاً دبلوماسياً ، وفي السنة التالية عيّن قائماً بأعمال مفوضية دولته في بلجيكا ، حيث بقي حتى شباط الفائت .

وفي تلك المدة لمعت مواهبه ، فعهدت اليه بلاده في ان يمثلها في عدة مجتمعات ومؤتمرات دولية ، وقد مثّل لبنان خاصة في مجلس جامعة الامم المتحدة في دورته بلندن وباريس .

في عهد الرئيس كميل نمر شمعون من ١٩٥٢ حتى ١٩٥٨

وفي ٢١ ايلول من سنة ١٩٥٢ انتخب الاستاذ كميل نمر شمعون رئيساً للجمهورية اللبنانية خلفاً لسلفه المستقيل الشيخ بشاره الخوري . وفي عهده الذي استمر ست سنوات من ١٩٥٢ حتى ١٩٥٨ بقيت العلاقات الطيبة بين لبنان والكرسي الرسولي تستطرد سيرها في طريق النمو والمتانة بفضل ما ظلت حكومته تبذله من مساعٍ موفقة في

تعضيدها ، وذلك حفاظاً على ما لتلك العلاقات عند الشعب اللبناني من تقاليد عريقة عزيزة .

المفوضية اللبنانية في الفاتيكان ترتفع الى درجة سفارة

واذ كان الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر قد سبق فأعرب مرة لوزير لبنان المفوض في الفاتيكان الاستاذ شارل حلو ، عن رغبته في ان ترفع مفوضية لبنان في الفاتيكان الى درجة سفارة كما هو حال الممثلية الدبلوماسية البابوية لدى حكومة لبنان ، عقدت الحكومة اللبنانية جلسة خاصة برئاسة الاستاذ شمعون درست فيها هذه الامنية ورأتها متلائمة مع المصلحة العامة ومتوافقة مع تلك الصلات الوثيقة القديمة العهد التي تربط لبنان بالفاتيكان فأقرتها بالاجماع .

وفي ١٠ من شهر حزيران سنة ١٩٥٣ زار رئيس الوزارة اللبنانية الاستاذ صائب سلام يرافقه احد اعضاء وزارته المرحوم محي الدين النصولي دار السفارة البابوية في العاصمة ، وقابلا المنسنيور بلترامي وابلغاه ان الحكومة اللبنانية قررت تحقيق امنية الحبر الاعظم برفع مفوضيتها في الفاتيكان الى مقام سفارة ، وانها ستضع قرارها هذا موضع التنفيذ في اقرب فرصة . فشكر لهما المنسنيور بلترامي وللحكومة اللبنانية هذه البادرة ووعدهما برفع ما اعربا عنه الى المقام البابوي ، مؤكداً ان هذا المقام سيشاركه ولا ريب في تقدير هذا العمل الموفق الكريم وما ينم عنه من عاطفة نبيلة .

الاستاذ السودا اول سفير لبناني لدى الفاتيكان

وقبل ظهر الاربعاء ١٦ تموز من سنة ١٩٥٣ عقد مجلس الوزراء جلسة ترأسها الرئيس شمعون وفيها بحث التنقلات الواجب اجراؤها بين اعضاء السلك الدبلوماسي ، وكان مما اقره نقل الاستاذ يوسف السودا من السفارة اللبنانية في ريو دي جانيرو عاصمة البرازيل وتعيينه سفيراً للبنان في الفاتيكان خلفاً للاستاذ يوسف حرفوش الذي استدعي الى الادارة المركزية ليقوم فيها برئاسة الدائرة السياسية ، وقد وضع بذلك مرسوماً

وقعه الحاضرون جميعاً . ولم يلبث هذا القرار أن نُفّذ ؛ ففي العشرين من ايلول عاد الاستاذ جوزف حرفوش الى بيروت وتسلم مهام منصبه الجديد . وكان الخبر قد طُيّر الى الاستاذ يوسف السودا وهو في منصبه بالريو دي جانيرو فباشر من فوره اخذ اهبته للرحيل الى حيث تدعوه مهمته الجديدة .

في رومية

وكان الاستاذ السودا في السنين الثمانية التي أقامها في البرازيل قد أدى لجاليتنا فيها خدمات طيبة . فلما عرفت هذه الجالية بأمر نقله أقامت له حفلتي وداع الواحدة في الريو ، والثانية في سان باولو ، اعربت فيهما عما تكنه له من وفاء واقرار بالمعروف

وغادر الاستاذ السودا عاصمة البرازيل ترافقه السيدة عقيلته في ٢٦ ايلول فودعهما على المرفأ ممثلو السلطات البرازيلية وجمهور من اعيان الجالية وكان وصولهما الى رومية يوم ٦ تشرين الاول واذا في انتظارهما للترحيب بهما موفدو وزارتي الخارجية في الفاتيكان وايطالية وعدد من ممثلي الطوائف الكاثوليكية اللبنانية لدى الكرسي الرسولي وفريق من علية اللبنانيين المقيمين في رومية .

السفير السودا يقدم اوراق اعتماده

وكان صاحب القداسة الحبر الاعظم ، حين وصول الاستاذ يوسف السودا الى رومية ، لا يزال في قصر كاستل غندولفو المصيف البابوي المشهور ، فزار السفير اللبناني بعد وصوله ببضعة ايام الكردينال امين سر الدولة زيارة تعارف ، وفي خلالها بحث مع نيافة المزور الموعد الممكن تعيينه للحفلة التقليدية التي يقدم فيها اوراق اعتماده لصاحب القداسة ، وبعد المراجعات التي لا بد منها في مثل هذه الحال ، تقرر ان يكون ذلك الموعد قبل ظهر الخميس الواقع في ٢٢ تشرين الاول في القصر الصيفي الآنف الذكر .

تعضيدها ، وذلك حفاظاً على ما لتلك العلاقات عند الشعب اللبناني من تقاليد عريقة عزيزة .

المفوضية اللبنانية في الفاتيكان ترتفع الى درجة سفارة

واذ كان الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر قد سبق فأعرب مرة لوزير لبنان المفوض في الفاتيكان الاستاذ شارل حلو ، عن رغبته في ان ترفع مفوضية لبنان في الفاتيكان الى درجة سفارة كما هو حال الممثلية الدبلوماسية البابوية لدى حكومة لبنان ، عقدت الحكومة اللبنانية جلسة خاصة برئاسة الاستاذ شمعون درست فيها هذه الامنية ورأتها متلائمة مع المصلحة العامة ومتوافقة مع تلك الصلات الوثيقة القديمة العهد التي تربط لبنان بالفاتيكان فأقرتها بالاجماع .

وفي ١٠ من شهر حزيران سنة ١٩٥٣ زار رئيس الوزارة اللبنانية الاستاذ صائب سلام يرافقه احد اعضاء وزارته المرحوم محيي الدين النصولي دار السفارة البابوية في العاصمة ، وقابلا المنسنيور بلترامي وابلغاه ان الحكومة اللبنانية قررت تحقيق امنية الحبر الاعظم برفع مفوضيتها في الفاتيكان الى مقام سفارة ، وانها ستضع قرارها هذا موضع التنفيذ في اقرب فرصة . فشكر لهما المنسنيور بلترامي والحكومة اللبنانية هذه البادرة ووعدهما برفع ما اعربا عنه الى المقام البابوي ، مؤكداً ان هذا المقام سيشاركه ولا ريب في تقدير هذا العمل الموفق الكريم وما ينم عنه من عاطفة نبيلة .

الاستاذ السودا اول سفير لبناني لدى الفاتيكان

وقبل ظهر الاربعاء ١٦ تموز من سنة ١٩٥٣ عقد مجلس الوزراء جلسة ترأسها الرئيس شمعون وفيها بحث التنقلات الواجب اجراؤها بين اعضاء السلك الدبلوماسي ، وكان مما اقره نقل الاستاذ يوسف السودا من السفارة اللبنانية في ريو دي جانيرو عاصمة البرازيل وتعيينه سفيراً للبنان في الفاتيكان خلفاً للاستاذ يوسف حرفوش الذي استدعي الى الادارة المركزية ليقوم فيها برئاسة الدائرة السياسية ، وقد وضع بذلك مرسوماً

وقعه الحاضرون جميعاً . ولم يلبث هذا القرار أن ُنفذ ؛ ففي العشرين من ايلول عاد الاستاذ جوزف حرفوش الى بيروت وتسلم مهام منصبه الجديد . وكان الخبر قد ُطيّر الى الاستاذ يوسف السودا وهو في منصبه بالريو دي جانيرو فباشر من فوره اخذ اهبته للرحيل الى حيث تدعوه مهمته الجديدة .

في روميـــة

وكان الاستاذ السودا في السنين الثمانية التي أقامها في البرازيل قد أدى لجاليتنا فيها خدمات طيبة . فلما عرفت هذه الجالية بأمر نقله أقامت له حفلتي وداع الواحدة في الريو ، والثانية في سان باولو ، اعربت فيهما عما تكنه له من وفاء واقرار بالمعروف

وغادر الاستاذ السودا عاصمة البرازيل ترافقه السيدة عقيلته في ٢٦ ايلول فودعهما على المرفأ ممثلو السلطات البرازيلية وجمهور من اعيان الجالية وكان وصولهما الى رومية يوم ٦ تشرين الاول واذا في انتظارهما للترحيب بهما موفدو وزارتي الخارجية في الفاتيكان وايطالية وعدد من ممثلي الطوائف الكاثوليكية اللبنانية لدى الكرسي الرسولي وفريق من علية اللبنانيين المقيمين في رومية .

السفير السودا يقدم اوراق اعتماده

وكان صاحب القداسة الحبر الاعظم ، حين وصول الاستاذ يوسف السودا الى رومية ، لا يزال في قصر كاستل غندولفو المصيف البابوي المشهور ، فزار السفير اللبناني بعد وصوله ببضعة ايام الكردينال امين سر الدولة زيارة تعارف ، وفي خلالها بحث مع نيافة المزور الموعد الممكن تعيينه للحفلة التقليدية التي يقدم فيها اوراق اعتماده لصاحب القداسة ، وبعد المراجعات التي لا بد منها في مثل هذه الحال ، تقرر ان يكون ذلك الموعد قبل ظهر الخميس الواقع في ٢٢ تشرين الاول في القصر الصيفي الآنف الذكر .

وفي الموعد المضروب وصل الى دار السفارة اللبنانية في شارع سان فيليبو مارتيو رقم ٦ ، حضرة رئيس التشريفات في البلاط البابوي على عربات حبرية يرافقه فيها بعض اعوانه . وكان السفير ومعاونوه بالانتظار يرتدون ملابسهم الرسمية ، فخفوا الى ركوب السيارات التي سارت بهم الى المقر البابوي ، ودخلوه في نحو الساعة التاسعة والدقيقة الـ ١٥ بين صفين من حرس الشرف ، فأديت لهم التحية الرسمية بالسلاح .

ومشى بهم رئيس التشريفات في معاهد القصر بين صفوف الدرك الحبري والحرس البلاتيني الى القاعة الكبرى ، حيث كان ينتظرهم صاحب القداسة جالساً على العرش يحيط به كبار اعوانه ، وبعد ان ادى السفير ومعاونوه التحية المعتادة ، قدم لصاحب القداسة اوراق الاعتماد وفاه بكلمة موجزة تناسب المقام ، فرد عليه الاب الاقدس بكلمة مثلها وذلك دون ما مبادلة خطب جرياً على قاعدة جديدة ترجع الى ثلاث سنوات ، تمت اسبابها الى بعض الانحراف الملم بصحة الحبر الاعظم .

ومن ثم دعا صاحب القداسة السفير السودا الى مكتبه الخاص ، وتحدث اليه في خلوة عن لبنان شاكراً للحكومة اللبنانية رفع مفوضيتها في الفاتيكان الى درجة سفارة ، مقدراً هذا القرار ومعتبراً اياه عملاً يؤكد حسن العلاقات وتناسق السياسة العامة بين لبنان والكرسي الرسولي .

وبعد هذه الخلوة قدم السفير لقداسته مرافقيه ، شاكراً له ما ابداه نحوه ونحو لبنان من اهتمام وعطف .

وسار بعد ذلك لزيارة كبار موظفي القصر وبادلهم عبارات الولاء والمودة مجدداً التعرف الى كل منهم .

واخيراً شيعه كبار رجال البلاط بكل تجلة الى الرتاج الخارجي حيث ودعهم شاكراً وعاد على السيارات نفسها الى مقره في دار السفارة اللبنانية ، وعلى وجهه امائر التأثر الشديد لما أحيط به في اثناء تلك المقابلة من مجالي التكريم والرعاية .

السودا في اثناء سفارته

ومضى الاستاذ يوسف السودا طوال مدة سفارته في الفاتيكان يقوم بإتمام مهمته الدبلوماسية على اكمل وجه، ويبذل ما استطاع من جهود في خدمة قضايا لبنان ومساعدة كل لبناني يؤم عاصمة الكثلكة، مستهدفاً في جميع مساعيه المصلحة اللبنانية وخير الوطن اللبناني العزيز.

ومما يذكر للاستاذ السودا بالشكر ابان سفارته هذه، حسن تمهيده للزيارة التي قام بها الرئيس شمعون للمقام البابوي، وسهره على ان تتم تلك الزيارة على وجه يبيض وجه لبنان ويعود عليه بالفخر وحسن الذكر، كما شهد له بذلك الاستاذ مصطفى النصولي من مرافقي الموكب الرئاسي في تلك الزيارة.

السودا يحال على التقاعد

وفي تموز من سنة ١٩٥٦ احيل الاستاذ يوسف السودا على التقاعد، فعاد الى لبنان يجاهد في سبيله عن كثب كما جاهد في سبيله عن بعد بما عرف به من همة عالية ولبنانية صافية لا غبار عليها.

وقد حل محله في الوظيفة الاستاذ يوسف حرفوش.

المؤتمر المريمي

وكان المؤتمر المريمي الذي احتفلت به فئة كبرى من الطوائف اللبنانية على عهد الرئيس شمعون في خريف ١٩٥٤، سانحة من ابهى السوانح لاظهار ما لتلك العلاقات الناشئة منذ القدم بين لبنان والكرسي الرسولي، والتي ما زال الجانبان يتبادلانها حتى اليوم، من قيمة وقوة.

انبثقت فكرة المؤتمر عما يكنه اللبنانيون للعذراء من حب واجلال بنويين، بدليل ما خصوها به في ديارهم من مقامات بين اديار وكنائس.

وما ان وضعت الفكرة موضع التنفيذ ، حتى تألفت للمؤتمر لجنة باشرت السعي لاتخاذ المعدات اللازمة لاظهاره على ما يليق به من فخامة وروعة .

وكان في مقدمة ما فعلته اللجنة مفاوضة رومية في الامر ، وسؤال الطيب الاثر البابا بيوس الثاني عشر ايفاد ممثل بابوي يترأسه باسمه ، فلم يلبث صاحب القداسة ان اجاب ملتمسهم وقرر ان يكون ذلك الممثل الكردينال انجلو جوزف رونكالي ، الذي رقي في تشرين الاول من سنة ١٩٥٨ الى مقام الحبرية العظمى باسم البابا يوحنا الثالث والعشرين (١٩٥٨ - ١٩٦٣) .

وصول ممثل البابا

وفي مساء الثلاثاء ١٩ تشرين الاول من السنة السابقة الذكر ١٩٥٤ ، وصل صاحب النيافة الممثل البابوي الى مطار بيروت الدولي ، وكان في استقباله كبار رجال الحكومة ورؤساء الطوائف وجماهير غفيرة من الاهلين بمظاهر الحفاوة والاجلال ، ورافقه كثيرون الى قصر الدكتور جوزف القفالي المعد لنزوله ، وقد اقام فيه طوال مدة المؤتمر ضيفاً على صاحبه الذي وفر له كل اسباب الراحة وطيب الاقامة .

وفي اليوم التالي الاربعاء (٢٠ منه) تبادل صاحب النيافة ورئيس الجمهورية الزيارة . وفي المساء افتتح الكردينال المؤتمر في المدينة المريمية (بارك ديغول سابقاً) في شارع الجيش بصلاة وجيزة ، اتبعها بخطاب بليغ اثنى فيه على ما توارثه اللبنانيون عن اجدادهم من محبة للعذراء ، تلك المحبة التي الهمتهم اقامة هذه الحفلات . واخيراً منح اللبنانيين بركة البابا مستهطلاً النعم السماوية على لبنان ومتمنياً للمؤتمر نجاحاً .

وفي يوم الخميس (٢١ منه) حضر قداساً مشتركاً في مركز المؤتمر (المدينة المريمية) ، وبارك تمثالاً للعذراء صنعه المثال اللبناني المرحوم يوسف الحويك من خشب الارز ، وهو الذي طيف به في لبنان في مختلف المقاطعات باحتفالات فخمة ، وقد جيء به في المؤتمر الى المدينة المريمية ،

ومن بعده نقل الى كنيسة سيدة حريصا حيث لا يزال حتى اليوم .

وبعد ذلك عاد صاحب النيافة الطيب الاثر البطريرك انطون عريضه ، وكان المرض قد اضطره الى ملازمة الفراش والتخلف عن حضور المؤتمر .

وفي يومي الجمعة والسبت (٢٢ و ٢٣) تفقد المندوب البابوي اعمال المؤتمر ، وابدى على بعضها ما خطه له من ملاحظات .

وقبل ظهر الاحد (٢٤) اقام على مذبح المدينة المريمية قداساً حافلاً حضره رئيس الجمهورية وكبار رجال الحكومة وجماهير غفيرة من مختلف طبقات الشعب وبعد الانجيل القى خطاباً اشاد فيه بتقوى اللبنانيين وحبهم للعذراء وتعلق المؤمنين بالكرسي الرسولي ، وختمه بمنح البركة باسم البابا ، وحيّا لبنان بعبارات مؤثرة شاكراً ما لقيه فيه من حفاوة .

وفي آخر القداس قدم رئيس الجمهورية للكردينال تاجاً من الذهب الخالص ليتوّج به رأس تمثال السيدة العذراء في حفلة تقام بعد ظهر ذلك النهار ، وهي آخر الحفلات .

وتقاطر اللبنانيون من كل صوب الى تلك الحفلة الاخيرة ، فعجت بهم المدينة المريمية والشوارع المحيطة بها على وسعها . وقد ترأسها نيافة الموفد البابوي يحيط به رئيس الجمهورية وكبار رجال الدولة والاعيان . وبعد ان تُلي فعل تكريس لبنان للسيدة العذراء ، وضع الكردينال التاج الذهبي المقدم من رئيس الجمهورية على راس تمثالها بيده الكريمة ، والقى كلمة اخيرة طلب فيها من اللبنانيين المحافظة على ايمانهم وتقاليدهم الدينية الموروثة ، واعلنهم اخيراً ان مكبرات الصوت ستنقل اليهم من راديو الفاتيكان بركة بابوية خاصة من صوت البابا نفسه ، وللحال ساد السكوت واذا بصوت البابا يرتفع بين تلك الجماهير ، يمنح به البركة لبنان واللبنانيين ، داعياً لهم بالسلامة والتوفيق ولوطنهم العزيز بالازدهار والعزة ، فقابل كثيرون تلك البركة وهم جاثون على ركبهم تجلة وتعظيماً .

الكردينال (بابا الغد) يمنح وساماً لبنانياً مع لقب مواطن لبناني

وبعد ظهر الخميس ٢٨ من الشهر المذكور كان الموعد المضروب لسفر صاحب النيافة ، فجاء الى قصر الرئاسة يودع رئيس الجمهورية الذي قلده وشاح الارز الاكبر من رتبة كومندور ومنحه لقب مواطن لبناني ، والقى امامه كلمة ألمع فيها الى تعلق اللبنانيين الدائم بالقيم الروحية ، وطلب منه الاعراب لقداسة البابا عما له في قلوب اللبنانيين من احترام ومحبة ، متمنياً له سفراً سعيداً ؛ فأجاب الكردينال رونكالي مطرئاً ما شاهده في لبنان من تقوى ووئام وتسامح ، وختم متمنياً لوطن الارز الذي يفاخر بالانتماء اليه باللقب الذي ناله اطراد الرقي والتقدم ... وعلى الاثر غادر القصر في موكب رسمي متجهاً الى المرفأ واستقل الباخرة اسبيريا عائداً الى ايطالية .

دعوة الرئيس شمعون لزيارة الفاتيكان

وقد كان لمظاهر الولاء التي أبدتها الحكومة اللبنانية ابان المؤتمر المريمي نحو المقام البابوي ، بشخص ممثله الكردينال رونكالي ، احسن صدى لدى صاحب القداسة البابا بيوس الثاني عشر .

لذلك رأى حين وجهت الجمهورية الايطالية في ١٣ كانون الثاني من سنة ١٩٥٥ معتمداً خاصا هو السنيور بنفنوتي وكيل وزارة خارجيتها الى بيروت ، ليقوم بدعوة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ كميل شمعون لزيارتها في رومية زيارة رسمية ، ان يوجه هو ايضاً اشارة بابوية الى صاحب النيافة المنسنيور بلترامي السفير الرسولي في لبنان ، بأن يمثل بدوره لدى الرئيس شمعون ويدعوه باسم صاحب القداسة لكي يقوم حين اجابته دعوة الجمهورية الايطالية بزيارة رسمية للفاتيكان .

وقد صدع المنسنيور بلترامي بالاشارة الواردة اليه ، واتجه الى القصر الرئاسي قبل ظهر ١٥ كانون الثاني فقابل الرئيس شمعون وبسط له الدعوة البابوية ، فاستقبله الرئيس بالاجلال ووعده بتلبية الدعوة بأعمق عواطف التجلة والشكر .

سفر الرئيس

وكان صباح يوم الاثنين الواقع في ٢١ اذار موعداً لسفر الرئيس الى رومية ، فتوافد عليه الى القصر الرئاسي رجال السلك الدبلوماسي يودعونه ، وتكلم بالنيابة عنهم عميدهم صاحب النيافة المنسنيور بلترامي ، معرباً عن امانيهم وتقديرهم ، فرد عليهم الرئيس شاكراً ممتناً .

في رومية

ووصل الرئيس ومن معه الى مطار رومية بعد الظهر ، واذا في استقبالهم رئيس الجمهورية الايطالية السيد لويجي اينودي والسيدة عقيلته ، يحيط بهما رجال الدولة الايطالية وممثلو الفاتيكان ورجال السلك الدبلوماسي فيها ، والجالية اللبنانية في المدينة الابدية . ورحب الرئيس الايطالي باسم بلاده بالرئيس شمعون ومن معه ، وانزلهم على الرحب والسعة في قصر الكيرينال الحاوي من الطرف الفنية ما يأخذ بمجامع القلب

وقضى الرئيس وصحبه في ايطالية عشرة ايام ممتعة ، تجلى فيها ما ينعم به لبنان من سمعة طيبة في الخارج وما يلاقي من تكريم .

موعد الزيارة للفاتيكان

ولما كانت زيارة الرئيس للفاتيكان ، هي بيت القصيد في ما ندونه هنا من اخبار هذه الرحلة ، فلا نرى بدآ من الاشارة الى ان الحكومة الايطالية كانت بالاتفاق مع اولياء الامر في الفاتيكان ولبنان ، قد وضعت منهاجاً مشتركاً للتنقلات اليومية ، التي يقوم بها الرئيس ومرافقوه في اثناء المدة التي يصرفونها في ايطالية . وقد خصص في هذا المنهاج يوم الجمعة الواقع في ٢٥ اذار قبل الظهر لزيارة الحبر الاعظم ، وبعد الظهر لزيارة كنيسة القديس بطرس ، ومتاحف الفاتيكان . وفي ما يلي وصف ما اتصل بنا من اخبار هذه الزيارة .

وصف الزيارة

شاء صاحب القداسة البابا بيوس الثاني عشر ، ان يخص الاستاذ كيل

غمر شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية بمقابلة من نوع المقابلات الخاصة برؤساء الدول ، وقد كانت اروع مقابلة جرت بعد الحرب الكونية الثانية ، لما سادها من أبهة وجلال ، ومظاهر عسكرية بروتوكولية ، ولما تجلى فيها من ثقة وعطف ومحبة بين لبنان والكرسي الرسولي .

كانت فصائل من الحرس السويسري بخوذها العائد عهدها الى القرن السادس عشر ، تؤدي التحية عند قوس الاجراس في ساحة القديس بطرس ، التي ولج منها موكب الرئيس الى حاضرة الفاتيكان .

وقد اصطف على طول الممر الموصل الى الداخل رجال الحرس البابوي يؤدون التحية ، وعند وصول الموكب الى ساحة بورجيا حيّاه الحرس البابوي بنفخ الابواق . وفي ساحة سان داماس الواسعة اصطفت كتيبة من الحرس البابوي مع موسيقاها واعلامها تجاه فصيلة من الدرك .

ووقف في اسفل السلم فريق من كبار رجال الكنيسة اكليروساً وعلمانيين ، يستقبلون الزائرين ، وقد ارتدوا ملابسهم الرسمية المزركش بعضها بالذهب .

وفيما كانت الموسيقى تعزف النشيد الوطني اللبناني ، فتح كبير الحجاب البابويين باب سيارة الرئيس شمعون ثم قدمت له الشخصيات الحاضرة .

وبعد ذلك تألف الموكب وصعد الى الطابق الثاني في الفاتيكان ، وكان الرئيس شمعون يتقلد وشاح الارز الاكبر ووسام بيوس التاسع من رتبة ضابط اكبر ، والى جانبه السيدة عقيلته وهي ترتدي ثوباً اسود ، وتتقلد وساماً عالياً منحها اياه صاحب القداسة .

وجاء بعدهما السيد الفرد نقاش والسيدة عقيلته ، والسيد محي الدين النصولي والسيدة عقيلته ، والسيد جورج حيمري ، والسيد يوسف السودا والسيد نجيب الدحداح والاستاذ روبر ابيلا وغيرهم من افراد الحاشية .

وعند مدخل قاعة كليمنتين ادت فصيلة من الحرس السويسري التحية ، وتابع الموكب سيره مخترقاً قاعات القصر البابوي ، الى ان دخل قاعة

العرض ، وهنا دخل فخامة الرئيس شمعون وحده مع المنسنيور كالوري الى قاعة سان جان ، ثم اتجه الى قاعة العرش ، وكان صاحب القداسة قد نهض لاستقباله عند بابها ، فانحنى الرئيس وقبل الخاتم البابوي ، وانسحب حينئذ المنسنيور كالوري. وبقي فخامة الرئيس وحده مع قداسة البابا في خلوة زهاء ثلاثين دقيقة .

وبعد ذلك استقبل صاحب القداسة السيدة شمعون فالمرافقين الآخرين ، وكان صاحب الفخامة يقدم لقداسته كلًا منهم فيهش له الاب الاقدس ويباركه .

وقد أهدى الرئيس الى قداسته صليباً من خشب ارز لبنان ، مزخرفاً بالفسيفساء الزجاجية الثمينة

وقدم قداسته للزائرين بدوره سبحات وانواطاً ذهبية وفضية نقشت عليها صورته .

ورافق صاحب القداسة الرئيس الى الباب ، فودعه صاحب الفخامة وسار مع حاشيته فزار المنسنيور دومنيكو تارديني وزير الدولة البابوية ، وبعد ذلك توجه الزائرون الى كنيسة القديس بطرس حيث سجد المسيحيون منهم امام بعض المذابح ورددوا بعض الصلوات .

واخيراً غادر الموكب حاضرة الفاتيكان مودعاً كما استقبل بالحفاوة والاكرام .

رواية شاهدي عيان

وقد كتب كل من الاستاذين محي الدين النصولي وروبير ابيلا بعد عودهما في موضوع هذه المقابلة الحبرية ، كلمة تزيد ما قدمناه ايضاحاً .

قال الاستاذ النصولي :

« كانت رحلتنا الى ايطالية ممتعة ومفيدة في وقت واحد ، فالايام

العشرة التي قضيناها في ربوعها وفي حاضرة الفاتيكان كانت من الايام التي لا تنسى .

« اما زيارتنا لقداسة البابا فقد كانت فخمة جداً ، اذ أحيطت بمظاهر الوقار والعظمة . ففي استقبال فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، استقبل رئيس دولة لاول مرة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية بمجالي الابهة والاحترام ، وقد اختلى قداسة الحبر الاعظم بالرئيس شمعون طوال ثلاثين دقيقة ، بينما كان الوقت المحدد عشر دقائق . وهذا حدث كان له دويّه في العالم .

« وقد استقبلنا قداسة الحبر الاعظم بتواضع جم ، وعرفت ان الحديث الذي تساقطه قداسته مع الرئيس اللبناني كان حول فلسطين ولبنان والبلدان العربية » .

ثم قال :

« وبوسعي ان اقول ان سفارتينا في رومة والفاتيكان قامتا بواجبهما على اتمه في اعداد زيارة الرئيس ، فقد بيضتا حقاً وجه لبنان »

وختم الوزير النصولي كلمته بقوله :

« لا تسألوني عما رأيت في ايطالية والفاتيكان من طرف وتحف ، فقد اختلط عليّ كل شيء . فالايطالي نفسه تعوزه اشهرٌ ليتذوق ما في رومة من طرائف ومؤسسات دينية ومتاحف اثرية عظيمة . وقد كان فخامة الرئيس والسيدة عقيلته موضع اعجاب الجميع وكان اسم لبنان على كل شفة ولسان » .

وقال الاستاذ روبير ابيلا في جريدة الزمان :

« من الامثال السائرة القول : « فلان زار روما ولم يشاهد البابا » وكأن المثل أراد تعليق الزيارة وعدم بطلان مفعولها على شرط اقترانها بمشاهدة البابا . وهذا ما حظي به وفدنا في مقابلته لقداسة الحبر الروماني الجليل ، في مقابلة خاصة بحاضرة الفاتيكان صبيحة يوم الجمعة في الخامس والعشرين من آذار الفائت .

«تمت هذه المقابلة التاريخية معززة بجميع مجالي التكريم والابهة، منذ ولوج وفدنا عتبات الصرح البابوي حتى خروجنا منه، من قلب كاتدرائية القديس بطرس التي راحت اجراسها المشهورة ترسل رنات الافراح مرحبة بالوفد لدى وصوله وانصرافه، مشيعاً بعزف النشيد اللبناني.

«وللمقابلات البابوية في مثل هذه الظروف مراسم خاصة ينبغي التقيد بها بدقة تامة، منها شروط الملابس الواجب ارتداؤها في الحضرة البابوية، من مثل الفساطين السود الطويلة بأكمامها واذيالها للنساء، مع الطرحات السود ايضاً لتغطية الرأس، مما لا يتناسب عادة مع ما تحرص عليه المرأة استجلاباً للجمال، ما لم يكن هذا الجمال فيها قهاراً لشتى المحاولات الرامية الى الخفض من شأنه؛ أما الرجال فيظل أمرهم اقل تعقيداً، لان ملابسهم في مثل هذه الحالة تقتصر على رداء اللباس الرسمي المسمى بالفراك تزينه الاوسمة، على ان تستبدل صدرته البيضاء بصدرة سوداء؛ يستنجد رداء «السموكن» في الحصول عليها. بينما تظل القبعات السود الطويلة مع الكفوف البيض او الخنطية ودائع لدى حجّاب الصرح معرضة للكل تبديل عند استعادتها.

«على هذا الشكل الموصوف راح موكب الوفد يجتاز بتؤدة قاعات المقر البابوي وغرفه بلوغاً الى غرفة قداسة البابا الخاصة، ماراً بين صفوف الحرس السويسراني الشاكي السلاح، فحرس الشرف المؤلف من النبلاء الرومانيين، الذين يتهافتون منذ القدم حتى اليوم على توارث هذه «الشرفية» بفخر واعتزاز، مبتهجين في مثل هذه المناسبات للقيام بالحراسة البابوية، مرتدين الملابس المزركشة الجميلة العائدة بتاريخها الى ايام الفروسية، فأدخلوا اولاً فخامة الرئيس ثم عقيلته ثم بقية اعضاء الوفد، وبينهم سفير لبنان الاستاذ السودا مع عقيلته، ومعاونه الشيخ نجيب الدحداح مع عقيلته، فأخذ فخامة الرئيس يقدم بالدور اعضاء الوفد الى قداسته، فيقبلون يده ويتلقون منها هدية تذكارية مستمعين الى بعض عبارات طيبة من فمه، ثم يستمعون منه خاشعين الى صلاة تبريكية يرسلها من اعماق صدره في الدعاء للبنان.

« لقد أضفت بساطة الحبر الجليل وأساريره وجهه السماوية الوادعة جميع مجالي الابهة القديمة . وقبل الوصول الى قداسته اجتاز الوفد قاعة واسعة تجمع فيها الاحبار من كرادلة وأساقفة يفرق بين رتبهم لون في الملابس أحمر فاقع للكرادلة واحمر ضارب الى البنفسجي للاساقفة . ومن قاعة الاحبار بلغ الوفد غرفة ملاصقة لغرفة قداسة البابا ، وهي غرفة الانتظار ، قام في وسطها بعض الكرادلة المولجين بأدخال الزائرين على قداسته . ان العظمة تبهر أنظار زائر الفاتيكان ، الذي يتسنى له تفقد المكاتب والمتاحف ، ومعبد « سيكستين » والمقبرة الوثنية الرومانية المتواضعة الجاثية تحت كاتدرائية القديس بطرس ، والتي القيت بازدراء وتحقير على شبر من مكانها منذ الفي عام جثة الشهيد القديس ، ممزقة بساميرها مخضبة بدمائها مخفوضة بوضعها . ان قوة الروح في هذا الفقير ، المعدم المظلوم ، قهرت وأذلت غطرسة القيصر الروماني وأبادت عظمة امبراطوريته المادية لتقيم على انقاضها والى الابد مجداً روحياً دائماً ، حوّل عاصمة البطش الزائل الى عاصمة خالدة يسطع من تحت تراب احقر مقبرة وثنية فيها نور يستمر موجهاً سبل الضعفاء في العالم حتى نهاية العالم » .

عهد الرئيس اللواء الامير فؤاد شهاب
من ١٩٥٨ حتّى ١٩٦٤

وفي ٣١ تموز من سنة ١٩٥٨ التأم المجلس النيابي ، وقد قرب عهد الرئيس شمعون من الانتهاء لانتخاب رئيس يحل محله ، ففاز بالمنصب اللواء الامير فؤاد شهاب .

وفي ٢٣ ايلول جاء الرئيس الجديد الى المجلس فحلف يمين الامانة للدستور ، والقى كلمة عاهد فيها الامة اللبنانية على الاخلاص في خدمتها ، وصيانة قوانينها وعمل ما فيه خيرها . وكان الرئيس شمعون قد غادر قصر الرئاسة فشيعته جماهير من محبيه ومقدريه .

ووفق الله الرئيس الجديد اللواء فواد شهاب بما عرف به من اتزان وحكمة الى ان يكون عهده عهد أمن واستقرار ، والى ان يجمع حوله القلوب في وحدة وطنية هي الركيزة الاساسية لراحة لبنان وتقدمه الحثيث في مضمار الرقي والحضارة .

علاقة الرئيس الجديد بالفاتيكان

وفي مقدمة ما يطيب لنا الالماع اليه من اعمال الرئيس شهاب في اثناء حكمه ، اهتمامه بأن ينهج نهج اسلافه في أن تظل تلك العلائق الولائية القائمة بين لبنان والفاتيكان منذ اقدم العصور على أحسن ما كانت عليه من صفاء وقوة ، فكان لا يتأخر ، في كل سانحة ، عن الاعراب للأب الاقدس عما يكنه والشعب اللبناني له من شواعر الحب ، وللمقام البابوي من عواطف الحرمة والتقدير .

ومعلوم ان ثلاثة احبار اعظمين توالوا على السدة الرسولية في عهده ، البابا بيوس الثاني عشر (١٩٣٩ – ١٩٥٨) ، والبابا يوحنا الثالث والعشرون (١٩٥٨ – ١٩٦٣) ، والبابا بولس السادس المالك سعيداً ١٩٦٣ ، فكان اللواء الامير يقوم بواجبه الرئاسي نحو كلٍّ منهم في كل مناسبة على احسن وجه ، كما كانوا هم بدورهم يقدّرون مواقفه الطيبة ويقابلون ما يبديه نحوهم باسم لبنان من شواعر الولاء بمثله ، ويوجهون اليه الطف عبارات الشكر مستهطلين عليه وعلى ابنائهم اللبنانيين اغزر سحائب النعم والبركات .

البابا يحب لبنان

وكانت الحكومة الايطالية قد اقامت منذ حين مؤتمراً اقتصادياً في رومية دعت اليه ، في من دعت ، الحكومة اللبنانية . فلبت حكومتنا الدعوة ووجهت الى ذلك المؤتمر وفداً انتقته من كبار التجار ومن خيرة رجال الاقتصاد .

وبعد اختتام المؤتمر لم يشأ اعضاء الوفد اللبناني العودة من عاصمة

الكثلكة قبل ان يحظوا بمقابلة البابا . وقاموا بسعيٍ في سبيل ذلك لم يلبث ان كلل بالنجاح .

وجاءوا الفاتيكان في اليوم المعين للمقابلات وحظوا مع غيرهم من الوفود بمقابلة الحبر الاعظم .

وحدثنا احدهم عما وقع لهم في تلك المقابلة قال :

« كان رئيس التشريفات يقدم لقداسته الوفود وفداً بعد وفد ، وحين جاء دورنا قدمنا له وهو يقول :

« ايها الاب الاقدس هؤلاء ابناؤك من لبنان »

وما هو ان سمع الحبر الاعظم اسم لبنان ، حتى نظر الينا بحنان وقد علت وجهه ابتسامة أبوية وعلى الاثر رفع يديه يباركنا ، ثم رأيناه يغمض عينيه خاشعاً ويضم كفيه الواحدة الى الاخرى وهو يردد : « لبنان ! لبنان ! اني أحبُّ لبنان ! » .

وهنا علّق المخبر على مشهد صاحب القداسة قال : « وكأني بالاب الاقدس حين سماعه اسم لبنان ، استعاد في ذهنه ما ابداه اللبنـانيون على توالي الايام من تسامح في تعايشهم الاخوي بعضهم مع بعض ، وفي وحدتهم الوطنية ، وما قدموه من ضحايا واظهروه من بطولات في الدفاع عن استقلالهم وحرياتهم ومعتقداتهم ، وكيف ثبتوا على توالي العصور على الحب للبابا والتعلق بالكرسي الرسولي » .

وأخيراً سمعناه يختم المقابلة بقوله :

« اذهبوا يا أولادي واحملوا الى اخوانكم اللبنانيين من مختلف الطوائف بركتي واعجابي بهذا الشعب الصغير بعدده ، الكبير بمعنوياته ، الذي عرف ان يجعل من بلاده وطن التسامح ، والحرية ، والاشعاع العلمي والثقافي في الشرق . اذهبوا وليحرسكم الله ! » .

وختم المخبر كلامه بقوله :

« فخرجنا كلنا من لدن قداسته ونحن شبه مسحورين بما شاهدناه وسمعناه . اما انا فما زلت حتى الآن كلما تذكرت ذلك الموقف الحبري الابوي المهيب ، تاخذني هزة من التأثر البالغ تستأثر بكل كياني » .

لبنان في قلب البابا

ومن نوع هذا الخبر ما رواه الكاهن الجليل الخوري انطون قرطباوي ، صاحب المشاريع الخيرية المعروفة ، بعد رحلة قام بها الى رومية في سبيل تحصيل المساعدات لمشاريعه ؛ وبعد ان قابل لاجل هذه الغاية كبار الاعوان البابويين ، حظي بمواجهة صاحب القداسة ، وجرى له مع قداسته حديث نشره الاب قرطباوي في مجلة الشراع وهو التالي :

« بعد ان اعرب لي صاحب القداسة عن انه يحب لبنان حباً جماً ، ولقبه في اثناء كلامه عنه « بلد النور والرقي والحضارة في الشرق » .

« عندئذ تجرأت وقلت لقداسته :

« ايها الاب الاقدس . ان لبنان في الشرق هو كبيت القربان في الكنيسة ، فألتمس من قداستكم ان تحفظوا له في قلبكم الطاهر مكاناً خاصاً لتشمله البركة وتتوافر فيه نعم المولى » .

فأجاب البابا : « نعم يا ابني العزيز هو كذلك ، ان للبنان مكاناً خاصاً في قلبي ، فاذهب وأكد ذلك لجميع اللبنانيين » .

وختم الاب انطون كلمته بقوله : وخرجت اخيراً من تلك المقابلة وانا مفعم بالتأثر الشديد وبالشكر الحميم لصاحب القداسة » .

فتنة ١٩٥٨ وصلوات البابا

وابتدأ عهد الرئيس شهاب ، وما تزال ذيول تلك الفتنة الاهلية التي ألمّت بلبنان سنة ١٩٥٨ وكادت تبلوه بالويلات ، خاصة بعد أن تألفت الوزارة الكرامية الاولى ، فنتج عن ذلك ان عادت الازمة الى اشتدادها ،

وتهديد لبنان بانقسام طائفي رهيب .

واتصلت انباء تلك الحالة المؤسفة بالبابا بيوس الثاني عشر ، الذي كانت الفتنة اللبنانية قد استأثرت باهتمامه وحفزته الى معالجتها بما لديه من وسائل وهي كثيرة ، وفي مقدمتها ما صرّح به مراراً لمن زاروه من اللبنانيين في تلك الاثناء ، وهو فرضه على نفسه صلاة خاصة كان يقدمها الى الله كل يوم لأجل وقاية لبنان وحفظه واعادة السلام الى ربوعه .

وفي الواقع انتهت تلك الفتنة في شبه اعجوبة ... فقد ألهم الله فخامة الرئيس الى اقالة الوزارة الاولى ، وتأليف وزارة كرامية ثانية ائتلافية دعيت وزارة انقاذ أجرت في صدر اعمالها مصالحة وطنية على اساس لا غالب ولا مغلوب ، واذا بالفتنة تنتهي بين ليلة وضحاها ، ويعود اللبنانيون ، من الجانبين ، الى احسن ما كانوا عليه في مألوف حياتهم من التعاطف والاخوة والالفة ، وذلك بصورة سحرية علوية مفاجئة لا يمكن ان تنجم عن عمل بشري ، بل قد عدّها كثيرون نعمة سماوية من نعم الله ، استنزلها على لبنان صلوات الابرار من بنيه ومحبيه ، وفي مقدمتها صلوات البابا .

أثر سياسة الرئيس

ومما يجب التنويه به في هذا المقام ، ان سياسة الرئيس الشهابي الحكيمة الرصينة قد ساعدت على اشاعة الامن والاستقرار في لبنان ، واعادة وحدته الوطنية اليه .

وفاة البابا بيوس الثاني عشر

وفي صبيحة تاسع تشرين الاول من سنة ١٩٥٨ انتقل الى دار الابرار الطيب الاثر البابا بيوس الثاني عشر ، فكانت تلك الوفاة مدعاة موافقة لاظهار ما يكنه لبنان للكرسي الرسولي من فائق المحبة والاجلال .

وما كاد نعي البابا ينتشر على اجنحة الاثير ، حتى شوهد لبنان باجمعه ، حكومة وشعباً ، يقابله بحزن عميق ، ويبادر اللبنانيون زرافات الى دار

السفارة في بيروت لتقديم التعازي وقيد اسم كل منهم في سجل التشريفات .

وامرت الحكومة فاعلنت الحداد الرسمي طوال ثلاثة ايام ، تُخنق فيها الاعلام ، وتلغى الاحتفالات والاستقبالات ، وبادر كبار رجالها الى توجيه برقيات التعزية الى الكردينال الكامرلنغ (اي النائب البابوي في حال فراغ الكرسي) يعربون فيها عن عميق حزنهم ، واعظامهم الخطب ، منوهين بما كان يكنه الحبر الراحل للبنان من عواطف الابوة والحب ، وما يبذله في ابّان محنته من جهود في سبيل عقد لواء الصلح بين ابنائه .

وكان في مقدمة المبرقين الرؤساء الاولون الثلاثة رئيس الجمهورية ورئيسا مجلس النواب والوزراء ، وهذا هو نص البرقية التي وجهها اللواء الامير فؤاد شهاب رئيس الجمهورية :

« حضرة صاحب النيافة الكردينال الكامرلنغ رئيس المجمع المقدس

« اتوجه بحزن عميق وبأحر عبارات التعزية الى نيافتكم والى المجمع المقدس لمناسبة وفاة الاب الاقدس البابا بيوس الثاني عشر .

« ان الشعب اللبناني يشترك معي في التأثر بهذا المصاب الجلل ، الذي المّ بقداسة البابا وبالانسانية جمعاء » .

فؤاد شهـــاب

وجاراه في مثل ذلك كبار رؤساء الاديان ومديرو المؤسسات الرسمية العامة وممثلو الهيآت الرسمية .

وأصدر رؤساء الطوائف الكاثوليكية من بطاركة واساقفة ورؤساء عامين للرهبانيات مناشير الى مرؤوسيهم يبلغونهم فيها النبأ رسمياً ويطلبون اليهم اقامة القداديس والجنازات عن روح الحبر المتوفى .

ولبثت اجراس الكنائس في طول لبنان وعرضه تقرع طويلاً قرعات الحزن ، بُعيد انتشار النبأ ، وذلك عملاً بتقليد ما زال مرعيّ الاجراء في لبنان منذ عهود قديمة .

منهاج دار الاذاعة

ولما كان الاستاذ شارل حلو وزير الانباء اعرف الناس بما كان يظهره مراراً عديدة الحبر الراحل من العطف على شعب لبنان ، ومن الرغبة في ان يراه يعيش مسيحيوه ومسلموه معاً تحت راية المحبة ، فقد انتهز هذا الظرف السانح واصدر امره الى دار الاذاعة اللبنانية بان تتوقف طوال ايام الحداد الثلاثة عن بث برامج الغناء ، ثم دعا بعض رجال السياسة من الطائفتين الاسلامية والمسيحية الى احياء منهاج خاص في هذه الدار تعدد فيه مآتي البابا المتوفى في سبيل السلام العالمي ، الى ما كان يخص به اللبنانيين على اختلاف اديانهم من حنان ومحبة ، وما كان يريده لهم جميعاً من خير والفة وتعايش سلمي ، وللحال نُفذ ذلك المنهاج وكان المتكلمون فيه السادة : رشيد كرامي رئيس الحكومة ، صائب سلام ، كمال جنبلاط ، رفيق نجا ، اديب الفرزلي ، شارل حلو ، فيليب تقلا ، بيار الجميل ، يوسف السودا ، ادمون رزق .

وها نحن نقتصر على الالماع الى بضع كلمات من التآبين التي القاها في البابا القائمون بهذا المنهاج من غير المسيحيين ، وذلك لان كلماتهم في تلك الظروف كانت خير مرهم لمداواة الجراح ، بل كانت ، كما قالت مجلة السنابل (عدد ١٠ و١١ ص ٦٤) : « كالندى يطل على قلوب عطشى برّح بها الجفاء » ، فضلاً عن تأييدها لما سبقنا فقلناه مراراً من ان اللبنانيين كلهم سواء في محبة البابا .

من كلمة الاستاذ رشيد كرامي رئيس الحكومة

« ليس المصاب بوفاة قداسة البابا على الكثلكة فحسب بل هو مصاب جميع الذين يدينون بالقيم الروحية والاله الواحد . اني اتوجه بتعازي الشخصية وتعازي الحكومة الى جميع ابناء الكنيسة الكاثوليكية في العالم ، اخص منهم اخواني ابناءها في لبنان باطيب العواطف الصادرة عن قلوب تدين لهذا الوطن بالمحبة والوفاء » .

ومما قاله الاستاذ كمال جنبلاط

« كان بيوس الثاني عشر ذلك الحبر المتفهم لروح العصر وروح العلم... احد ادمغة هذا الجيل الكبرى ... تلك الذهنية الرحبة الفاهمة التي تدرك ان الحقيقة الواحدة يمكن اكتناهها وطلبها بمختلف الطرق الفكرية لا بالمسلك الواحد . فهي كالشمس يبصر ضوؤها الساطع ليس فقط من نافذة الغرفة الضيقة بل من سائر الشبابيك والابواب »

الى ان قال :

« هكذا نحن في لبنان الذي اردناه وطناً تتمازج في اجوائه في كل صباح ومساء اصوات الاجراس والمآذن . لكل طائفته وكل يصلي لمعبوده على شاكلة ما يتصور عقله وقلبه ، ولكن المؤمنين لا يختلفون فيما بينهم على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم لان كلّاً منهم يرى وراء الصورة المتبدلة وجه الاله الواحد السرمدي الذي نعبده كلنا وندين به جميعاً » .

ومما قاله الاستاذ رفيق نجا

« امس حين كنا في اختلاجة القلق والامل صلينا لاجله ، واليوم نلتمس من قداسته ان يصلي الى الله لاجلنا ويكون شفيعنا عنده . وكيف لا يصلي عنا وهو الذي كان دوماً يحب اللبنانيين وينصت الى جميع مطالبهم لا الموارنة فحسب بل اللبنانيين جميعاً مسلمين ومسيحيين . وهكذا كانت تصلنا من قداسته آناً بعد آخر نفحات سماوية تعطرت بها نفوسنا وتجاوبت مع امنيات ارواحنا » .

ومن كلمة الاستاذ صائب سلام

« طيف من اطياف الانسانية الخيرة ينطوي على روح دينية سمحاء ... تغمرها الدعوة الى المحبة والاخوة بين المؤمنين من مختلف الاديان .

« وقد كان للبنان وابناء لبنان من مختلف الاديان جانب كبير من اهتمامه . لقد كان يعرف ان في لبنان ايدي تلعب بالنار فوجه اليهم

نصحه بنبذ الاحقاد والتسامي عن الضغائن والعمل بما تأمرهم به كتبهم السماوية وتعاليمهم الالهية ، فيعيشون اخوة اعزاء تحت راية هذا الوطن الجميل ولا يدعون بينهم مجالاً لثغرات تنفذ منها المكائد والدسائس .

« لقد كان قداسة الحبر العظيم من يوم اعتلائه سدة البابوية وفي طي اي خلاف سابق بين المسلمين والمسيحيين ، يدعو الى فتح صفحة جديدة من صفحات التاريخ تنطوي على دوام التآخي والتحاب في ظل هذين الدينين السماويين العظيمين .

« فعسى ان يكون اللبنانيون جميعاً ، الى اي مذهب انتسبوا ، عند حسن ظنه بهم ، فتتغلب المحبة عندهم على الانانية وتسود الاخوة فوق التفرقة ويعودون الى حظيرة الوطنية الصادقة لبنانيين مخلصين صادقين » .

البابا يوحنا الثالث والعشرون

وبعد ان دفن البابا الراحل بالحفلة التقليدية المرعية ، التأم مجمع الكرادلة مؤلفاً من ٥٨ كردينالاً وبعد عدة دورات اقتراع انتهى الى انتخاب بابا جديد ، هو الكردينال انجلو جوزف رونكالي ، الذي اختار لنفسه اسم « البابا يوحنا الثالث والعشرين » .

وما هو ان اذيع الخبر حتى حمله الاثير الى كل صقع ، فقابله العالم بهزة من السرور والاستبشار لما هو معروف عن الحبر المنتخب من فضائل مسيحية وانسانية سامية تحببه الى كل قلب ، وتجعل الفاتيكان محجة للمتوافدين اليه من كل حدب .

وقع الخبر في لبنان

واستقبل لبنان من مختلف طوائفه وطبقاته هذه البشرى بابتهاج خاص ، لان البابا الجديد جاء لبنان مرتين : الاولى اذ كان كاهناً سنة ١٩٠٦ وهو في طريقه لزيارة الارض المقدسة ، والثانية اذ كان كردينالاً سنة ١٩٥٤ بصفة موفد بابوي لترؤس المؤتمر المريمي الذي احتفلت به طوائفنا الكاثوليكية في تلك السنة .

البابا مواطن لبناني

وبما زاد في سرور اللبنانيين ان كثيرين منهم تعرفوا اليه في تلك الرحلة وحظوا بمقابلته واشتركوا في الاحتفاء به ولاقوا لديه بركة وعطفاً .

وكان الرئيس كميل نمر شمعون قد اقام له باسم لبنان حفلة تكريم في قصر الرئاسة ، منحه فيها لقب : « مواطن لبناني » مع وشاح الارز من اكبر رتبة .

وعلى ذلك كان كثيرون منا يفاخرون بتلك المواطنية اللبنانية يحملها نائب السيد المسيح وضابط اكبر سلطة ادبية في المعمور .

ومن ثم عمت موجة من الفرح لبنان بأسره ، وانطلقت اجراس الكنائس ترسل دقاتها المفرحة في الاجواء ، واقيمت التنويرات على كل سطح وكل مرتفع وفي كل ساحة ، وتوافد كبار القوم زرافات الى دار السفارة الرسولية يعربون للسفير عن سرورهم ويطلبون منه الاعراب عن تهانيهم للاب الاقدس .

اما الهيآت الرسمية وفي مقدمتها رئاسة الجمهورية فقد وجهت برقيات التهانىء الى الفاتيكان وتلقت عليها الاجوبة مقرونة بالشكر والبركة .

البابا يشكر اللبنانيين جميعاً

وبعد مدة تلقى السفير البابوي في بيروت من امانة سر الدولة في حاضرة الفاتيكان البرقية التالي نصها :

« ان صاحب القداسة الحبر الاعظم البابا يوحنا الثالث والعشرين يشكر اللبنانيين جميعاً من مختلف الطبقات والطوائف عواطفهم ودعواتهم ، ويذكر بكل سرور زيارته لبنان عام ١٩٥٤ ، ويمنح الجميع بركته الرسولية للمرة الاولى » .

وفد لبناني رسمي في احتفال تتويجه

وأبلغت الحكومة اللبنانية رسمياً ان الفاتيكان سيحتفل بتتويج البابا

الجديد يوحنا الثالث والعشرين يوم الاحد الواقع في الرابع من تشرين الثاني سنة ١٩٥٨ ، فعيّنت للحال وفداً حكومياً وجّهته الى رومية ليمثلها في ذلك الاحتفال ، مؤلفاً من السادة :

الحاج حسين العويني وزير الخارجية رئيساً ، الاستاذ شارل حلو وزير لبنان سابقاً في الفاتيكان والاستاذ جوزف حرفوش سفيره الحالي فيه عضوين .

وقد لاقى هذا الوفد في الفاتيكان ولاسيما في اثناء حضوره تلك الحفلة رعاية خاصة ، ونال من الحبر الاعظم بركة ابوية حارة أفاضها عليه وعلى لبنان واللبنانيين . وكان الحاج حسين بعد عوده يُشيد بما شاهده في تلك الحفلة من أبهة وفخامة ويردد : « انها تركت في نفسه انطباعات وتأثيرات عميقة لن ينساها طوال حياته » .

لبنان يحتفي سنوياً بذكرى التتويج

ولمناسبة ما قدمناه عن حضور الوفد اللبناني الرسمي حفلات تتويج البابا ، يطيب لنا ان نذكر ، والشيء بالشيء يذكر ، ان الحكومات اللبنانية التي توالت على مقعد الحكم من مطلع هذا العهد الاستقلالي الذي تبودل فيه التمثيل الدبلوماسي بيننا وبين الفاتيكان حتى اليوم ، ما برحت في كل عام تشارك السلطات الروحية الكاثوليكية في الاحتفال رسمياً بعيد تتويج البابا القائم في حينه ، حتى لقد كاد هذا العيد يصبح في لبنان احد تقاليده المحببة الواجبة الرعاية .

طريقة الاحتفاء بالعيد

وللاحتفال بالعيد طريقة تكاد تعاود في كل عام ، وهي ان تعين السفارة البابوية موعد العيد ، وتوزع بطاقات الدعوة لحضوره .

وفي الوقت المعين يقام قداس حبري يرئسه احد كبار الرؤساء الدينيين في احدى كاتدرائيات بيروت او كبريات كنائسها ، يحيط به

جمهرة من علية رجال الاكليروس ، وفي مقدمتهم السفير البابوي الذي يكون عادة برتبة مطران .

ويتصدر الحفلة في مقدمة الحضور رئيس الجمهورية وحوله رئيسا المجلسين النيابي والوزاري ونخبة من الوزراء والنواب والقضاة وكبار الموظفين ، واعضاء السلك الدبلوماسي .

وبعد القداس يجري استقبال في قاعة مجاورة تقدم فيه التهانيء للاب الاقدس بشخص سفيره ، وترفع اليه برقيات بالمعنى نفسه وفي مقدمتها برقية رئيس البلاد الاعلى ، فترد من قداسته الاجوبة مفصحة عن انبل العواطف الابوية ، مفيضة الشكر والدعاء للذين ارسلوها وللبنانيين جميعاً .

مغزى هذه الوقائع

نلمع الى هذه الوقائع لا لانها تفوت علم القاريء ، بل لان فيها شاهداً قوياً جديداً يؤيد ما استهدفنا مراراً اثباته في هذا الكتاب وهو ان علاقات الولاء المتبادلة بين لبنان والفاتيكان لا تختص بطائفة او دين معين ، بل هي ذات صفة لبنانية وطنية عامة ، تشمل ضمن نطاقها في لبنان جميع من فيه من ابناء الطوائف والاديان .

آخر عيد لتتويج البابا يوحنا

ونختم هذه الكلمة بذكر آخر عيد احتفل به في لبنان تذكاراً لتتويج البابا يوحنا الثالث والعشرين وقد اسبغت عليه ابهة خاصة لانه كان يجمع الى ذكرى التتويج ذكرى بلوغ البابا الثمانين من عمره . احتفل بالقداس في كاتدرائية القديس جرجس البطريرك الماروني وحضره الرئيس اللواء فؤاد شهاب مع جماهير من الرؤساء والوزراء والنواب وكبار القوم من مختلف الرتب ، على العادة المرعية في مثل هذه الحفلات .

الرئيس شهاب والبابا يوحنا يتبادلان الهدايا

ولمناسبة بلوغ قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين الثمانين من عمره

اقيمت له لهذه المناسبة في الفاتيكان اعياد بهيجة اشترك فيها كثيرون من مختلف الرتب والاقطار .

وقد شاء رئيس جمهورية لبنان اللواء الامير فؤاد شهاب ان يكون للبنان نصيب في الاشتراك بتلك الاعياد ، فأرفد اليها بعثة تقدمها الاستاذ الفرد نقاش احد رؤساء الجمهورية السابقين وأصحبها بهدية من صنع ايد لبنانية .

ما هي الهدية

اما الهدية فقد كانت « طاقم مائدة » من صنع جزين مؤلفة من ثلاثمئة قطعة بين سكاكين وشوك وملاعق من مختلف الاحجام والاغراض ، اتقن صنعها الفنانان المشهوران باتقان هذه الصناعة المختصة بجزين السيدان سعيد والفرد الحداد ، ويروى انهما وضعا في آخر كل قطعة منها رأس طير مرصع باللؤلؤ هو الرمز التقليدي المعروف لهذه الصناعة .

الاستقبال الابوي

وعين البابا للبعثة موعداً خاصاً استقبلها فيه استقبالاً ابوياً بكثير من العطف والرعاية ووزع على اعضائها بعض التقادم الخاصة وحملها الى الرئيس شهاب هدية هي عبارة عن نوط من ذهب كبير القيمة غالي الثمن .

والهديتان ، مهما علت قيمتها المادية ، فليستا بالشيء المذكور ازاء ما لهما من قيمة معنوية ، من حيث انهما تمثلان تلك العلاقات الولائية يتبادلها رجلان باسم بلدين هما : « لبنان والفاتيكان » .

البابا منحرف الصحة

وكان فخامة رئيس الجمهورية اللواء فؤاد شهاب ، قد وجّه برقية الى قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين يعرب فيها عن عمق القلق ازاء الانباء الواردة من حاضرة الفاتيكان عن انحراف صحة قداسته ، ويضم صلواته الى

الصلوات المصعدة من كل انحاء العالم ليكلأ الله قداسة البابا بعنايته .
وقد تلقى فخامة الرئيس البرقية الجوابية التالية ترجمتها :

حاضرة الفاتيكان

فخامة اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية – بيروت .

كان للبرقية الرقيقة التي وجهتموها الينا بالغ الأثر في نفسنا . نشكركم عميق الشكر على هذه الالتفاتة البنوية وكذلك على صلواتكم . وبالمقابل نسأل الله تعالى ، من صميم قلبنا ، ان يمن عليكم شخصياً وعلى الشعب اللبناني العزيز بأوسع البركات الالهية .

يوحنا الثالث والعشرون

مات البابا ! عاش البابا !

وفي اوائل حزيران من سنة ١٩٦٣ نكبت الكنيسة الكاثوليكية بل فجع العالم كله بوفاة المثلث الرحمة البابا يوحنا الثالث والعشرين ، ذلك البابا الهين اللين الطيب القلب الوديع الشفيق العطوف الذي استحق ان يلقبه رئيس اساقفة كانتربري بابا العالم من مسيحيين وغير مسيحيين ، كاثوليك وغير كاثوليك ، وبكلمة ثانية وفق الى ان يكون كلًا للكل كما جاء في الكتاب المقدس فربح الكل ، وحين غادر هذه الدنيا الفانية اهتز العالم لموته ، ولم يبقَ كبير او صغير غني او فقير الا بادر الى اظهار حزنه عليه .

اما اللبنانيون وقد كانوا يفخرون بمواطنيته اللبنانية ويحفظون في دخائل انفسهم ذكريات محببة عن زيارته للبنان ، وما كان يضمره لهم من حب خاص ، فقد تأثروا للنبأ جميعاً من مختلف الطوائف والمراتب ، وبادروا الى القيام بواجبهم نحوه من اعلان حداد ، وخفق اعلام ، وامتناع عن الغناء والموسيقى المفرحة ، وعن اقامة المهرجانات والاحتفالات والاستقبالات ، وتوافدوا على دار السفارة البابوية يعربون لسعادة السفير البابوي عن عميق حزنهم ، وبالغ اكبارهم للخطب .

وفي ٢١ من الشهر نفسه ، وردت انباء من الفاتيكان تبشر بانتخاب نيافة الكردينال جيوفاني باتيستا مونتيني ، رئيس اساقفة ميلانو ، حبراً اعظم جديداً باسم البابا بولس السادس ، فشملهم الفرح جميعاً ، وبادروا الى ابداء مظاهر السرور ، ورفع معالم الزين ، وتوافد كبراؤهم وأعيانهم على دار السفارة يعربون عن اخلص عواطفهم ويرفعون الى صاحب القداسة برقيات التهانيء والاجلال .

وبعد ذلك سافرت وفود منهم ، روحية وسياسية ، فاشتركت في احتفال التتويج ، وكأني بلسان حالهم يقول مع الشاعر :

هناء محا ذاك العزاء المقدما   فما عبس المحزون حتى تبسما

او يردد تلك الكلمة المألوفة في مثل هذا الظرف :

مات البابا ! عاش البابا !

المجمع المسكوني

وكان المثلث الرحمة البابا يوحنا الثالث والعشرون قد دعا قبل وفاته الى عقد مجمع مسكوني في الفاتيكان في ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٩ . وفي اليوم الحادي عشر من تشرين الاول ١٩٦٢ افتتح المجمع في كاتدرائية القديس بطرس باحتفال منقطع النظير لم يسبق له مثيل في تاريخ الكنيسة ، منذ تأسيسها حتى الآن ، بحضور ٢١٣١ اسقفاً من جميع انحاء العالم ، عدا ٨١ كردينالاً وغبانية بطاركة ونحو الف شخص من المراقبين المنتدبين ، ورجال الصحافة والتلفزيون وممثلي الحكومات التي بلغ عددها ٨٦ حكومة .

وكان الاحبار كلهم بتيجانهم الجميلة وملابسهم الكهنوتية يسيرون في الموكب بروعة قلما يشاهد مثلها في مختلف الحفلات . وعقدت الدورة الاولى من المجمع من تاريخ افتتاحه حتى يوم اختتامه في ٨ كانون الاول من السنة نفسها ، وقد حضره من لبنان :

١ – البطريرك الماروني واربعة عشر اسقفاً ورئيسان عامان .

٢ – بطريرك الروم الكاثوليك ومعه تسعة عشر اسقفاً وثلاثة رؤساء عامون .

٣ – الكردينال تبوني من السريان الكاثوليك ومعه تسعة اساقفة .

٤ – البطريرك الارمني الكاثوليكي ومعه اثنا عشر اسقفاً .

وأهم ما حققه المجمع للطوائف الشرقية هو تعيين جميع البطاركة مع بطريرك اللاتين في القدس اعضاء معاونين في المجمع الشرقي المقدس ، والاعتراف للبطاركة بسلطاتهم وحقوقهم السامية التي تجعلهم خلفاء للرسل . ولا شك في ان هذه البادرة جاءت خير دليل على ما يكنه الكرسي الرسولي من محبة وتقدير للكنائس الشرقية ، ورغبته في تحميلها نصيبها من التبعة في ادارة الكنيسة .

وعقدت الدورة الثانية في ايلول من سنة ١٩٦٣ على عهد البابا الحالي قداسة بولس السادس ، وحضرها من ذكرنا من البطاركة والاساقفة والرؤساء الشرقيين . وقد أفضى فيها صاحب الغبطة البطريرك بولس بطرس المعوشي بتصريح الى موفد التلفزيون الكندي موضوعه « وحدة الكنائس ودور البطاركة في الشرق » ، فكان له أحسن وقع . وألقى ايضاً صاحب الغبطة البطريرك مكسيموس الصائغ الرابع الرومي الكاثوليكي خطاباً هاماً في الجلسة الحادية والستين من اعمال المجمع ، موضوعه « قيام مجلس اسقفي أعلى حول البابا » ، قابله الاعضاء الحاضرون بعاصفة من التصفيق الحاد .

لبنان وحجة البابا الى الارض المقدسة

وكانت حجة البابا بولس السادس الى القدس حدثاً تاريخياً هاماً اهتز لها العالم ولبنان في مقدمته .

حاولت الحكومة اللبنانية الحظوة بزيارة البابا لمناسبة قدومه الى القدس

واتصلت بسفيرها في الفاتيكان طالبة اليه القيام بالمساعي اللازمة لهذا الغرض ، ولكن المخطط الذي وضع لرحلة البابا لم يأذن باجابة الطلب .

وفود لبنانية لاستقبال قداسته

وكان موعد الرحلة البابوية الى الارض المقدسة قد حدد في اليوم الرابع من كانون الثاني سنة ١٩٦٤ ، فذهبت من لبنان وفود كثيرة لتمثله في استقبال قداسته ، يتقدمها الوفد الماروني برئاسة غبطة البطريرك بولس المعوشي والوفد الرومي الكاثوليكي برئاسة غبطة البطريرك مكسيموس الصائغ والوفد السرياني الكاثوليكي برئاسة احد المطارين لان غبطة البطريرك الكردينال اغناطيوس تبوني تعذر عليه الذهاب لاسباب صحية .

هذا عدا وفود علمانية اخرى نذكر منها وفد المطربة فيروز والاخوين رحباني وغيره من ممثلي المعاهد والجمعيات والمؤسسات وجماهير من الافراد .

اوشكت طائرة البابا ان تهبط في لبنان

وكانت طائرة البابا وهي تحلق فوق لبنان تواجه امامها جواً مدلهماً ينذر بعاصفة وتمنعها من النزول في عمان .

وعندئذ وردت الى مطار بيروت الدولي اشارة لاسلكية تنقل الخبر وتصرح باضطرار الطائرة الى العودة من حيث وصلت للهبوط في مطار بيروت .

وللحال أشعر برج المراقبة في مطار بيروت جميع الدوائر الرسمية بالامر فأظهرت لهذا الخبر اهتماماً بالغاً واتخذت ترتيبات سريعة على اوسع نطاق لاستقبال قداسته ، وفي اقل من ربع ساعة كان في مطار بيروت رئيسا مجلسي النواب والوزراء والوزراء جميعاً ورهط من النواب وكبار موظفي الدولة وبعض رؤساء الدين من مختلف الطوائف يتقدمهم المتروبوليت ايليا الصليبي الارثوذكسي ، وعدد من رجال الدين المسلمين والدروز وفرقة من الحرس الجمهوري وموسيقى الجيش ، ووصلت ايضاً السيارة الخاصة برئيس الجمهورية لنقل قداسة البابا لدى انتقاله من المطار ، الى غير هؤلاء من الشخصيات

وممثلي الهيئات فاكتظ بهم المطار ، مما اظهر للملأ ما للبابا من محبة واحترام في قلوب اللبنانيين من مختلف الرتب والاديان .

ولم يلبث برج المراقبة الذي كان دائم الاتصال بالطائرة ان تلقى منها برقية تفيد ان الجو قد صفا والعاصفة قد ولّت وان الطائرة ستتمكن من الهبوط في عمان .

وعلى الرغم من اعلان ذلك فقد ظل الرسميون وفريق كبير من المستقبلين ينتظرون في مطار بيروت تحسباً لما قد يطرأ ، حتى وردت اخيراً برقية في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر من مطار عمان تفيد ان الطائرة قد تمكنت اخيراً من الهبوط فيه .

تبادل البرقيات بين البابا والرئيس

وكان قصر الرئاسة في الزوق قد تلقى برقية من قداسته موجهة الى الرئيس اللواء فؤاد شهاب وهي التالية :

« الى اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية .

« في طريق حجتنا الى الاراضي المقدسة ، تتيح لنا هذه اللحظة ان نحلق فوق سماء بلاد عزيزة علينا ، بلاد نرغب في زيارتها . ويسعدنا في هذه المناسبة ان نوجه الى فخامتكم رسالتنا هذه مفعمة بالتحيات واطيب التمنيات والتهاني .

ان تقاليد لبنان الروحية والمسيحية الواردة في الكتب المقدسة هي حية في ذهننا فيما نرفع صلواتنا الى الله من اجل هذه الامة النبيلة التي نستنزل من قلبنا وافر البركات السماوية لزعمائها السياسيين ورجال الدين فيها » .

التوقيع : بولس السادس

فردّ صاحب الفخامة الرئيس بالبرقية التالية :

« في هذه اللحظة التاريخية التي تجتاز فيها طائرة قداستكم سماء لبنان ،

وفيما تستمطر قداستكم على بلدنا البركات السماوية ، وتخصه بلفتة سامية ، كانت انظار اللبنانيين متجهة الى العلاء ترافق بالعين حجتكم وبالقلب اهدافها العظمى .

« واني باسمي واسم الشعب اللبناني الذي افعمته غبطة هذه اللحظة الخاطفة وهذه الزيارة التاريخية ابعث من ارض الارز المباركة ، عبر الاثير ، الى قداستكم اخلص الشكر على العاطفة التي خصصتم بها لبنان مع اصدق التمنيات بأن تكون زيارتكم ينبوعاً للبركات وبشيراً لسلام عالمي دائم » .

فؤاد شهاب

لبنان يتوسط بين الفاتيكان والسودان

وحدث في نيسان وايار من سنة ١٩٦٤ ان حكومة السودان طردت من بعض اقاليمها الجنوبية كهنة ورهباناً من الكاثوليك التابعين للكرسي الرسولي ، واغلقت بعض مدارسهم ، فتعكر الجو بين السلطتين واعلن الفاتيكان استنكاره لما عده اعتداء على حرية المعتقد والتعليم ، وقامت بعض صحف البلدان المتحضرة في الغرب تؤيده .

ورأى لبنان ان العلاقات بين الفاتيكان والسودان اخذت تزداد توتراً يوماً بعد يوم فهب للتوسط بينهما ، ووجه في هذه المهمة حضرة وزير الخارجية المعروف بترصنه وحنكته الاستاذ فؤاد عمون ، فزار السودان مرتين وثلاثاً وجاء الفاتيكان فاجتمع مع قداسة البابا زهاء ١٢٥ دقيقة ، وهو حدث نادر الوقوع في المقابلات الحبرية .

وقد اشترك في هذا التوسط سفير لبنان في الخرطوم الاستاذ منير تقي الدين . وقد تمكن المتوسطان من جلاء الموقف وحل تلك الازمة حلاً موفقاً كان له احسن وقع في مختلف الاوساط الدولية وخاصة في دوائر « الفاتيكان والسودان » .

الشيخ بيار الجميل في مقابلة البابا

وفي هذا العهد الشهابي حظي معالي الوزير رئيس الكتائب اللبنانية الشيخ بيار الجميل مرتين بمقابلة صاحب القداسة البابا بولس السادس.

في المرة الاولى حين جاء رومية في عداد الوفد الذي مثل الحكومة اللبنانية في حفلة تتويج قداسته.

والثانية بعد رحلة قام بها الى باريس وعرج في عودته على رومية. وفي كلا المرتين خصه صاحب القداسة برعاية خاصة مظهراً تقديره لاسرة الجميل الكريمة، ولاعمال الوزير الطيبة في خدمة الوطن وقيادة الالوف من شبانه في مضمار العزة والتضحية الى كل هدف سام نبيل. وقد تحدث الشيخ الوزير الى قداسته في بعض الشؤون اللبنانية، فألفاه ملمًّا بها ملتهباً غيرة على كل ما فيه مصلحة لبنان واطراد تقدمه في مدارج الحضارة والعمران.

والشيخ موريس

وممن قابلوه اخيراً من اللبنانيين في هذا العهد النائب الكريم الشيخ موريس الجميل، فاحاطه صاحب القداسة بما هو اهل له من حفاوة وتكريم. وتحدث واياه عن لبنان، معرباً عن حبه للبنانيين مثنياً على مواقفه الطيبة في الندوة وافاض اخيراً عليه وعلى اسرته ولبنان بركته الرسولية.

وكان قداسته يتلطف في آخر كل مقابلة فيأمر مصوره الخاص بان يأخذ له رسماً مع كلا الشيخين تذكاراً لتلك السانحة واعراباً عما يكنه لكل منهما من تقدير ومحبة.

عهد الرئيس الحالي شارل حلو
ابتداء من سنة ١٩٦٤

وعندما اقترب عهد اللواء الامير فؤاد شهاب من النهاية، نهضت فئة

من النواب تنادي بوجوب التجديد له استناداً الى ما تمتعت به البلاد في هذا العهد من استقرار وراحة ، ولكن الامير عارض هذه الفكرة بصورة جازمة مستمرة ، كما استنكر آخرون تعديل الدستور الذي لا يتم التجديد بدونه .

وقد اثارت هذه الحالة شيئاً من القلق في النفوس ، ولكن النواب تداركوا الامر وحزموا امرهم على اختيار رئيس حيادي ، فيه من المؤهلات ما يؤمن مواصلة سياسة الاستقرار ، ويضمن معاملة الجميع على قدم المساواة ، فترضى القوى الوطنية كلها عنه ، وتلتف حوله ، وكان أن عقدوا جلسة قبل ظهر الثلاثاء ١٨ آب من سنة ١٩٦٤ في ردهة المجلس النيابي ، انتخبوا فيها الاستاذ شارل حلو رئيساً للجمهورية باكثرية ٩٢ صوتاً ، وهي اكثرية تكاد تكون اجماعية .

ويوم الاربعاء ٢٣ ايلول ، موعد تسلم الرئيس الجديد سلطاته الدستورية ، جاء الى المجلس النيابي فحلف يمين الامانة للدستور ، والقى في النواب كلمة رصينة عاهد فيها الامة على الاخلاص لها وبذل كل قواه في سبيل خيرها وخدمتها .

فكان لهذا الانتخاب صدى بعيد مستحب ، قابله اللبنانيون جميعاً بالشكر ، وعقدوا عليه كثيراً من الآمال .

صداقة شخصية بين الرئيس والبابا

وحين انتخب الاستاذ شارل حلو لمنصب الرئاسة الاولى ، كنت في رومية في رحلة اليها استمرت زهاء شهرين في سبيل الاستجمام والراحة وتكميل هذا الكتاب بما قد اجمعه له من فوائد من مختلف المراجع والمكتبات .

واتفق لي قبل ظهر الاربعاء ١٩ آب ان جئت مع صديقي الاستاذ انطوان سماحه ، احد ادباء الجالية اللبنانية في رومية ، لزيارة سفارتنا في الفاتيكان ، وفي حال وصولنا اليها استقبلنا القائم فيها بالاعمال بالوكالة الاستاذ اسكندر عمون ، ابن شقيق الاستاذ فؤاد عمون وزير الخارجية في ذلك

الحين ، وبادهنا ببشرى انتخاب الاستاذ شارل حلو ، في اليوم السابق ، لرئاسة الجمهورية . واطلعنا ، في اثناء الحديث ، على ما كان لهذا الخبر من حسن الوقع في دوائر الفاتيكان ، بسبب ما يعرفه كثيرون من موظفيها عما بين قداسة البابا بولس السادس وفخامة الرئيس الجديد من صداقة شخصية متينة العرى ، تعود الى عهد كان الاب الاقدس وزيراً لخارجية البابا بيوس الثاني عشر باسم المنسنيور مونتيني ، والاستاذ شارل حلو وزيراً مفوضاً للبنان لدى الفاتيكان في عهد المرحوم الشيخ بشاره الخوري .

وبعد عودي الى حيث انزل ، كتبت الى صاحب الفخامة أبثه التهانىء بالمنصب ، وأطلعه على الصدى الطيب الذي لاقاه انتخابه في الدوائر الفاتيكانية .

وختمت بالالماع الى مباشرة طبع كتابي ، وكنت قد اطلعته عليه سابقاً ليتفضل باعطائي رأيه فيه ، راجياً ان يلاقي في عهده رواجاً وحفاوة في عالم الادب والتاريخ ، وأن تكون رئاسته طالع سعد على لبنان ، حافلة بكل اسباب التقدم والعمران .

البابا يهنىء الرئيس شارل حلو

ومنذ اعلن نبأ انتخاب الاستاذ شارل حلو رئيساً للجمهورية ، اخذت برقيات التهنئة تنهال عليه من ملوك الدول ورؤسائها ، وكان في مقدمتها برقية صاحب القداسة البابا بولس السادس وهي هذه :

فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية السيد شارل حلو

بعد ان قدرنا بالامس عند اول ممثل ديلوماسي للبنان لدى الكرسي الرسولي اسمى مزايا الروح والقلب ، علمنا اليوم بوافر السرور ترفيعه الى اعلى منصب في الدولة ، ورغبة منا في ان نرى في هذا الانتخاب طالع سعد لمستقبل هاد للامة اللبنانية العزيزة ، نرفع الى الله صلواتنا وتمنياتنا الحارة لها ، ونمنح من صميم قلبنا رئيسها الجديد بركتنا الرسولية .

بولس السادس

جواب الرئيس على هذه التهنئة

صاحب القداسة البابا بولس السادس – حاضرة الفاتيكان – رومة

من فرط تأثري العميق لرسالة قداستكم ، فاني اوجه الى قداستكم احترامي وتعالي البنوي بشخصها السامي ، اذ كان لي شرف التعرف الى قداستكم في رومة ، وكانت لي بركتكم خير مشجع للخدمة العامة ؛ واعتقد انه يمكن التعبير عما يكنه لقداستكم الشعب اللبناني المتحد في روح واحدة من الاخوّة والوئام والسلام .

شارل حلو

هل انت من بلد شارل حلو ؟

ويوم عين الرئيس شارل حلو وزيراً مفوضاً للبنان لدى الفاتيكان ، كان على سدة الحبرية العظمى السعيد الذكر البابا بيوس الثاني عشر . وقد اكد لي بعض من اتصلت بهم من موظفي الدوائر الفاتيكانية ، ان ذلك البابا المعروف بحزمه وثاقب نظره كان لا يقل تقديراً للاستاذ شارل حلو عن البابا الحالي ، اذ كان في الاستقبالات الرسمية التي يحضرها رجال السلك الدبلوماسي يتلقاه برعاية خاصة وحفاوة ممتازة ، ويتحدث اليه بوجه متهلل ينم عما يكنه له من ايثار ومحبة .

ومن روايات الخوري يوحنا كوكباني في مجلة الرعية ، التي تصدرها المطرانية المارونية في بيروت العدد ٩ : ١٩٦٤ : ان البابا بيوس الثاني عشر كان اذا قدموا له لبنانياً في استقبال عام او خاص سأله : « هل انت من لبنان بلد شارل حلو ؟ » او قال له : « انت من لبنان ؟ لكم هنا سفير ممتاز ! »

ثم أردف الاب كوكباني : « لم يكن مثل شارل حلو رجل يتمتع برصيد كبير من الصداقات واسمى ميزات الروح والقلب » فهو محسوب الكل ، وطالب رضا الكل ، وخادم الكل ، وعلى ذلك سمعناه في خطابه بالنواب بعد انتخابه يقول : « ان الرئاسة خدمة » وفقه الله

الى حسن القيام بهذه الخدمة والى ان يكون عهده خير العهود في لبنان .

لبناني يدير القسم العربي من دار الاذاعة الفاتيكانية

ثم بينا كنت في عاصمة الكثلكة ، زرت ذات يوم القسم العربي في دار الاذاعة الفاتيكانية ، فاذا مديرها كاهن لبناني في زهرة العمر جذاب المحيا خفيف الروح والحركة ، هو الاب ادمون فرحات من عين كفاع ، مسقط رأس الاديب الكبير المرحوم مارون عبود ومثوى رفاته .

وما ان تبادلنا التحية وتجاذبنا اطراف الحديث ، شعرت اني الى جانب كاهن ملسان عميق التفكير واسع المعرفة ، حصل علومه العالية في اكبر جامعات باريس وروميه ، يتقن العربية اتقانه اللغات الاجنبية ، اخصها الفرنسية والايطالية . ولم ألبث ان اخذت أتحدث اليه بكل دالة كما لو كنت أتحدث الى احد ابنائي ، ولا يعلم غير من يغترب كم يفرح اللبناني في غربته حين يلتقي بأحد اللبنانيين من اي عمر او حالة أو طائفة كان ، بل بمن مرّ ذات يوم بلبنان ، أو حمل منه أية ذكرى أو أية رائحة ذكرى .

وفي آخر الحديث دعاني الاب ادمون الى نزهة في سيارته عبر حدائق الفاتيكان ، حيث يتنزه صاحب القداسة المتغيب آنئذ في قصره الصيفي بكاستل غندولفو ، فاذا في هذه الحدائق من التنظيم والروعة ما يأخذ بمجامع القلب .

ثم أصعدني الى برج مستدير قائم على قمة تلك الحدائق ، كان يقيم فيه السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر ، فأشرفنا من على سطحه على جميع أرجاء تلك العاصمة المترامية الاطراف ، وما فيها من قصور شاهقة ومعابد فخمة وساحات فسيحة وحدائق غنّاء ، يزدان جلّها بتماثيل رخامية بديعة الصنع لاشهر الفنانين الايطاليين ، ومن أحواض وينابيع تتفجر منها المياه هنا في شكل شلالات هندسية الانسكاب وهناك من نوافير تتعالى في الجو خيوطاً مختلفة الاتجاه ، ثم تتساقط رذاذاً حتى تكاد تتبدد

بخاراً ، واخيراً من مراكز اثرية من مختلف عصور التاريخ تجتذب اليها جماهير من السياح من مختلف انحاء المعمور ، لا يقل عددها في كل سنة ، على ما قيل لي ، عن ثلاثين مليون سائح .

وكان جلّ حديثي في هذا اللقاء الاول مع الاب ادمون يدور حول اهداف رحلتي وموضوع كتابي ؛ وكنت احمل مجموعة من المطبوع منه حتى ذلك الحين ، فقدمتها له ليحيط بما فيها علماً ويكوّن منها فكرة ، فتلقاها مني شاكراً ووعدني باذاعة كلمة عن هذا الكتاب في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم التالي .

وعد الحر دين

وفي الموعد المحدد للقسم العربي في اذاعة الفاتيكان ، بعد ظهر اليوم التالي / ٥ / ٨ / ١٩٦٤ جلست الى المذياع حيث انزل واذا بي اسمع منه حديثاً هذا أهم ما جاء فيه :

« من نحو اسبوعين وصل الى عاصمة الكثلكة الاستاذ لحد خاطر الاديب والصحفي والمؤرخ اللبناني الشعبي المعروف ، ترافقه السيدة عقيلته ، وفي مقدمة أهدافه من هذه الرحلة ، الاستجمام وتبديل الهواء والتشرف بزيارة الاعتاب الرسولية والحظوى ببركة صاحب القداسة والاتصال ببعض المراجع والمكتبات في سبيل كتاب له جديد عنوانه « لبنان والفاتيكان » هو الآن تحت الطبع في مطبعة دير المخلص للروم الكاثوليك .

« وقد تلطف الاستاذ خاطر وزارنا في دار هذه الاذاعة ، وتحدث الينا عن لبنان المشهور بعميق احترامه للكرسي الرسولي ، وعما يهدف اليه من رحلته الى امّ المدائن وخاصة عن موضوع كتابه ، وقدّم لنا نسخة بما طبع منه حتى الآن ، وهو في نحو مئتين وبضع وعشرين صفحة ، فشكرنا له هذا التلطف واستقبلناه بما هو اهل له من احترام وحفاوة .

« والذي عرفناه عن الاستاذ خاطر انه من متخرجي مدرسة الحكمة

مع الكاتب المشهور المرحوم مارون عبود . له عدة تآليف ، فضلاً عن مباحثه التي لا تعد في المجلات والصحف . وهو في لبنان مؤرخ شعبي وأول من زاول موضوع الفولكلور اللبناني ، وله في العادات والتقاليد اللبنانية كتاب فخم معد للطبع وقيل لنا انه الآن حجة في هذا الموضوع ، فضلاً عن مزاولته الصحافة زهاء ربع قرن ، اولاً في جريدة البشير للآباء اليسوعيين في بيروت المشهورة بخدمتها للكثلكة ، ثم في جريدة الشراع للمحسن المعروف الاب انطوان قرطباوي التي حلت محلها في هذه الخدمة .

« اما كتابه الجديد الذي نحن بصدده ، والذي جاء رومية ليزيده استكمالاً ، وليجعل منه صفحة مشرقة في ناحية من تاريخ لبنان كانت مهملة حتى الآن ، فيدور على العلاقات التي نشأت بين الكرسي الرسولي واللبنانيين على اختلاف طوائفهم ومعتقداتهم من مطلع القرن السادس المسيحي حتى اليوم ، اي انه يذكر منهم المسلم الى جانب المسيحي والارثوذكسي الى جانب الكاثوليكي .

« وأخص ما عالجه الكتاب العهود التي تبودلت فيها تلك العلاقات ، وتبدأ بعهد المقدمين ثم بالعهد المعني واشهر من كان له علاقات بالكرسي الرسولي من امرائه الامير فخر الدين الثاني الكبير .

« وبعده عهدا الشهابيين فالمتصرفين فالعهد الانتدابي واخيراً العهد الاستقلالي الحالي الذي تميز بتبادل التمثيل الدبلوماسي بين لبنان والفاتيكان في ايام الرؤساء الثلاثة : الشيخ بشاره الخوري ، كميل شمعون ، اللواء الامير فؤاد شهاب ، الرئيس الحالي .

« والكتاب بمجمله يهدف الى نشر اهداف الكثلكة في الشرق بين قراء اللغة العربية . فنتمنى له الرواج ، ونكرر شكرنا للمؤلف والترحيب بقدمه راجين له طيب الاقامة في هذه الربوع .

« وسنوافي المستمعين الكرام في اذاعاتنا التالية ببعض مقتطفات من هذا الكتاب » .

وقد برّت الاذاعة بوعدها ونشرت ما راقها من مواضيع الكتاب في بعض اذاعاتها المقبلة فاليها اخلص شكرنا .

رسالة شفهية من البابا الى الرئيس حلو

وفي رحلتي هذه الى رومية ، حضرت مرات المقابلات العامة لقداسة



المؤلف في مقابلة خاصة مع صاحب القداسة البابا بولس السادس الثالث سعيداً والى جانبه صديقه الاديب اللبناني وأحد وجهاء الجالية اللبنانية في رومية الاستاذ انطوان سماحه (من الحنشارة)

البابا بولس السادس في قصره الصيفي بكاستل غندولفو ، في الموعد المحدد لها قبل ظهر كل اربعاء . واتفق في احدى المقابلات ان كان بين الوفود ، التي لا يقل عدد افرادها عن سبعة الى ثمانية آلاف ، وفد لبناني ، فوجه

اليه صاحب القداسة ، حين بدأ يكلم كل وفد بلغته ، مرحباً مباركاً ، كلمة ابوية بالفرنسية تنم عن محبته الخاصة للبنان .

ومن ثم لج بي الشوق الى ان يشرفني صاحب القداسة بمقابلة خاصة ، ولم البث ان حصلت على ذلك بفضل القائم باعمال سفارتنا في الفاتيكان الشاب الكريم النبعة الاستاذ اسكندر عمون الذي قدم عني تقريراً أملته عليه رفعة اخلاقه .

وفي اول ايلول تلقيت الاذن بذلك من رئيس غرفة قداسته المنسنيور نازالي روكا ، وقد عين لي ولصديقي ومرافقي السيد انطوان سماحه موعداً لهذه المقابلة في القصر البابوي الصيفي بكاستل غندولفو ، الساعة العاشرة من قبل ظهر الاربعاء ٣ منه .

وفي الوقت المعين قُدّمت وصديقي الى صاحب القداسة ، فاستقبلنا بحنان ابوي ويداه مفتوحتان كأنه يريد ضمنا اليه ، ووجهه يتهلل باشراق سماوي ، وخاطبنا بالفرنسية قائلاً : اهلاً باخلص الأبناء من لبنان ثم تناولنا يده فتبركنا بلثمها ونحن نردد كلمات الشكر .

وهنا بدأت التحدث الى قداسته عن كتابي هذا ، لبنان والفاتيكان ... الذي جاء صفحة فريدة في نوعها من تاريخ لبنان . وقد طلبت الى قداسته ان يباركه ويبارك لبنان ، فانصت الاب الاقدس الي بارتياح جمّ ، واثنى على مشروعي وباركه ، وقال انه يعرف الكثير عن لبنان ومحاسنه ، وعن اللبنانيين الامناء جداً لعهودهم ومواثيقهم ومعتقداتهم وحبهم للبابا ودوام تعلقهم بالكرسي الرسولي ، وعما هم عليه من نشاط وعلو كعب في الثقافة والحضارة ؛ ثم قال : وان للبنانيين في قلبي مكاناً خاصاً يزخر بالحب والرعاية .

وهنا تحفزنا بالانصراف والتقدم للتبرك بلثم يده ، ولكنه استوقفنا وهو يقول : وان لي في لبنـــان مع رئيس جمهوريتكم الجديد الاستاذ شارل حلو صداقة حميمة متينة العرى ، انكم ولا ريب تعرفونه ، قلت :

نعم يا صاحب القداسة وان كتابي سيفتتح احد فصوله باسمه الكريم كأول ممثل للبنان لدى الكرسي الرسولي ، والآن سيختتم هذا الكتاب باسم فخامته كاول رئيس لجمهورية لبنان له مثل هذه الصداقة الحبية مع قداستكم. قال : اذن اطلب اليك ان تزوره بعد عودك الى لبنان ، وتهدي اليه سلامي وتمنياتي ، كما اني اكلفك اهداء بركتي الى جميع ابنائي الاعزاء في لبنان من مختلف الطوائف والالوان . فشكرت لصاحب القداسة هذه الالتفاتة الكريمة الى رئيس لبنان وشعبه وقلت : ايها الاب الاقدس انه لمن دواعي فخري أن تكلفني قداستكم حمل مثل هذه الرسالة الشفهية العالية الى الرئيس الاعلى لبلادي .

وفيما كنت ألثم ورفيقي يمينه المباركة لثمة الوداع ، تكرم على كل منا بنوط مذهّب ، عليه ، من جهة ، رسمه واسمه الكريمان ، ومن جهة ثانية شعاره الحبري الجليل ، ذكراً لهذه المقابلة .

ثم خرجنا من لدنه مفعمين بتأثرات قلبية بليغة لا ننساها ولن ننساها ما حيينا .

وداع الاب مدير الاذاعة

وبعد ظهر النهار نفسه ولمناسبة اقرار عودتي الى لبنان يوم ٤ ايلول ، زرت الاب ادمون في مكتبه بدار الاذاعة لاودّعه وامحضه خالص امتناني ، وفي اثناء الحديث اخبرته بالمقابلة الخاصة التي تفضل بها عليّ الاب الاقدس قبل ظهر ذلك النهار ، فسُرّ بذلك وقال : اما وقد قرب موعد اذاعة البرنامج العربي فأطلب منك ان تكون برفقتي وتلقي كلمة على المستمعين تطلعهم فيها على التأثرات التي تركتها فيك هذه المقابلة ، فلم يسعني إلا النزول عند طلبه ، وبعد ان قدمني امام المذياع بكلمة لطيفة ، أوحى بها اليه لطفه وخلقه الرفيع ارتجلت خطبةً في بعض دقائق ، وصفت فيها ما أبداه صاحب القداسة نحوي ونحو لبنان ورئيسه وشعبه من عطف أبوي أقابله بالشكر الجزيل ، وأرى فيه حلقة

علاقة جديدة ، تضاف الى سلسلة تلك العلاقات التاريخية العريقة في القدم التي طالما تبودلت بين لبنان والكرسي الرسولي، وهي التي اتخذتها موضوعاً لكتاب لي جديد تلطفت هذه الدار بالالماع اليه في بعض اذاعاتها السابقة » .

زيارتي لصاحب الفخامة

وبعد عودي الى لبنان تشرفت قبل ظهر الاربعاء ١٦ ايلول بزيارة صاحب الفخامة الرئيس شارل حلو في قصره بسن الفيل ، وبسطت لديه ما كلفنيه صاحب القداسة ، فتأثر بما سمعه تأثراً بالغاً ، وشكر لابي المؤمنين ما تفضل وخصّ ولبنان به من التفاتة سامية ، وفي الوقت نفسه أبدى نحوي من الرعاية ما جعلني اقابله بمزيد الشكر والدعاء لفخامته بالسعادة والتأييد .

جواب كريم

وكنت قد ذكرت سابقاً اني يوم عرفت في رومية بانتخاب صاحب الفخامة وجهت اليه رسالة تهنئة ، ثم اني يوم تشرفي بمقابلة الاب الاقدس كتبت اليه ثانية أبسط له ما كلفنيه صاحب القداسة نقله اليه بعد عودي الى لبنان من تحيات وتمنيات وبركة . وبعد قيامي بما ذكرت من زيارتي للقصر يوم ١٦ ايلول تلقيت بوافر الامتنان من ديوان صاحب الفخامة الجواب التالي نصه :

الجمهورية اللبنانية

٦١٦

حضرة الاستاذ لحد خاطر المحترم

تلقى فخامة الرئيس تهانئكم وتمنياتكم الطيبة وتأثر جداً بما نقلتم اليه عن الاب الاقدس ، ويسرني بهذه المناسبة ان ابلغكم شكر فخامته وتقديره لعاطفتكم الوطنية ودمتم موفقين

الروق في ١ لتشرين الاول ١٩٦٤

السفير رئيس التشريفات

جورج حيمري

أهم حدث في تاريخ علاقاتنا بالبابا

زيارة هي الاولى من نوعها في التاريخ

لاول مرة في تاريخ النصرانية يزور البابا لبنان . ومن محاسن الاتفاق ان تقع هذه الزيارة في عهد فخامة الرئيس شارل حلو وقداسة البابا بولس السادس المرتبطين احدهما بالآخر بصداقة شخصية وثيقة ، كما ألمعنا اليه سابقاً .

وما أن أذيع نبأ هذه الزيارة في لبنان ، حتى اهتز له اغتباطاً من اقصاه الى اقصاه . وللحال باشر المسؤولون من الهيئتين الروحية والمدنية اتخاذ الاهبة اللازمة لاستقبال الزائر العظيم ، بابهة تتلاءم مع مقامه السامي ومع ما يكنه لبنان له ولهذا المقام من عظيم المحبة والاجلال .

بلاغ السفير البابوي

وكان أسبق القائمين بهذه الاهبة السفير البابوي المنسنيور جيتانو اليرواندي . فقد خف لزيارة المراجع المختصة في الحكومة اللبنانية ، وأبلغها الخبر واتفق معها على الترتيبات المقتضاة ، ثم نشر في الصحف بلاغاً بهذا الخصوص قال فيه : « ان صاحب القداسة سيقوم بهذه الزيارة في المطار الساعة الثامنة من صباح الاربعاء ٢ كانون الاول ١٩٦٤ ، وهو في طريقه الى بومباي لحضور المؤتمر القرباني الدولي » .

بلاغات المراكز الروحية

وأذاعت المراكز الروحية في لبنان مثل هذا البلاغ ، داعية رعاياها الى الاشتراك في الاستقبال ، وطلبت البطريركية المارونية ان تقرع الكنائس اجراسها ابتهاجاً في ذلك الموعد ، وحثت الجميع على الاحتشاد في المطار ترحيباً بصاحب القداسة والتماساً لبركته .

ترتيبات الحكومة

وشرعت الحكومة في اتخاذ الترتيبات اللازمة بأبلغ ما يكون من الاهتمام ؛ وشوهد في المطار بعض رجالها يشرفون على اقامة الزينة وحسن تنظيمها والباس المطار ابهى حلة منها . فرفعت على مشارفه وفوق مدارجه ورحباته الاعلام اللبنانية والبابوية ، واقيم في ساحته الكبرى ، لاول مرة ، سرادق كبير خصص بالرسميين وكبار المستقبلين ، وفرشت الامكنة التي سيطأها صاحب القداسة بالسجاد ، ورفعت منصة محاذية للسرادق ليجلس عليها رجال الصحافة ومنصة مجاورة للكهنة والراهبات والبعثات التلفيزيونية والسينمائية من لبنانيين واجانب ، ولمن توافد الى بيروت من مراسلي ومندوبي الصحف ووكالات الاخبار من مختلف انحاء العالم . وجهّز المطار في جميع زواياه بمكبرات الصوت ، وطُلب الى الاذاعة اللبنانية ومحطتي التلفيزيون المحليتين ، نقل وقائع الاستقبال مباشرة ، وربط شبكاتها الاذاعية بشبكات الاذاعات الاوروبية ، لتتمكن من ان تنقل بدورها وقـــائع الاستقبال العظيم .

برنامج الاستقبال

ووضعت الحكومة برنامجاً للاستقبال بيّنت فيه كيف يجري ، ومن هم اصحاب المقامات الذين سيشتركون فيه الى جانب صاحب الفخامة ، وفي اية ساعة تصل الطائرة ، ومتى يكون اقلاعها ، وان ضيق الوقت لن يسمح لقداسة البابا ورئيس الجمهورية من مصافحة المستقبلين . وفي آخر البرنامج ُطلب الى المستقبلين الرسميين ان يكونوا في اماكنهم قبل الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين من صباح الاربعاء .

تدابير اخرى

واتخذت الحكومة تدابير اخرى لاستكمال مظهر الاستقبال ، منها :

اجتماع قادة قوى الامن الداخلي في مكتب وزير الداخلية ، واقرارهم

اتخاذ التدابير والاجراءات اللازمة لتوفير الامن والهدوء والنظام خلال زيارة صاحب القداسة .

ولتحقيق ذلك عُنيت بتنظيم حركة السير ، فمنعت وقوف السيارات على طول طريق المطار وامام مدخله العام ، إلا بمعرفة رجال السير وارشاداتهم التي تعطى في حينها تسهيلاً لمهمة المسؤولين .

وأقامت في داخل المطار وعلى مدارجه والطريق المؤدية اليه صفوفاً من رجالها للحفاظ على النظام ، ومنع أية حركة تُخلُّ بالامن .

ونشرت اعلانات تطلب فيها من المستقبلين غير الرسميين ان يكونوا في الاماكن المخصصة بهم قبل الساعة السابعة والربع ؛ واذا تأخروا عن هذا الموعد فسيجدون الطريق مقفلة .

في صباح يوم الاربعاء

ومنذ ساعات الفجر الاولى من صباح يوم الاربعاء كانت الساحات المحيطة بالمطار تغص بجماهير غفيرة من المواطنين ووفود الطلاب والطالبات والكهنة والراهبات والرهبان ، وكان بعضهم قد قدموا في المساء من مختلف المناطق اللبنانية ، وقضوا الليل في السيارات او في العراء بانتظار وصول صاحب القداسة .

وحوالي الساعة الخامسة أخذت شرفات المطار وباحاته تمتلىء بالوافدين ، وفي الساعة السادسة وصلت الى ساحة المطار الكبرى فرقة من الحرس الجمهوري وثلة من الجيش ، وأخذت مراكزها لاداء التحية .

وأُوقفت حركة المطار وأُخلي المدرج الكبير من الطائرات والسيارات ، واصطفت على جوانبه وحدات من الجيش وقوى الامن الداخلي .

وفي السادسة والنصف بدأ يتوافد على المطار رجال الدولة وكبار المستقبلين ، وفي مقدمتهم رئيسا مجلسي النواب والوزراء ، وقائد الجيش ، ورئيس التشريفات ، فالسفير البابوي المنسنيور جيتانو اليراندي ، فالبطريركان

المعوشي وصائغ ، فالكردينال تبوني ، فالمتروبوليت ايليا الصليبي مطران بيروت الارثوذكسي .

ثم وصلت بعثة من سورية للاشتراك في الاستقبال باسم الجمهورية العربية السورية .

وفي تمام الساعة الثامنة وصل صاحب الفخامة الرئيس شارل حلو فصفّقت له الجماهير وأدّيت التحية الرسمية وعزفت الموسيقى العسكرية النشيد الوطني .

وصول الطائرة

وفي تمام الساعة الثامنة والدقيقة العشرين حطّت في باحة المطار طائرة قداسته تواكبها ثلاث نفاثات ، من سلاح الجو اللبناني . فتقدم منها صاحب الفخامة يحيط به رئيس مجلس النواب ، ورئيس مجلس الوزراء ، والكردينال تبوني ، والبطريركان المعوشي والصائغ ، والمتروبوليت صليبي ، والسفير البابوي ، بينما كانت قوة من الدرك تتولى حراستها .

ظهور قداسة البابا

وما ان فتح بابها وأطلّ منه صاحب القداسة حتى دوّى المطار بعاصفة هوجاء من التصفيق والهتاف ، فرفع البابا يده يرد التحية ويبارك . وهنا خفّ السفير البابوي صاعداً السلّم لاستقباله . وعندما ترجّل قداسته استقبله فخامة الرئيس ومن معه فصافحهم جميعاً ، وساروا به الى منصة الشرف ، بينما كانت الموسيقى تعزف النشيدين البابوي واللبناني ، والحرس الجمهوري وفرقة من الجيش يؤديان التحية العسكرية .

في سرادق الاستقبال

وبعد ان استعرض قداسته والى جانبه فخامة الرئيس ومرافقوه الحرس وفرق الجيش ، توجهوا جميعاً الى سرادق الاستقبال ، حيث حيّا قداسته من فيه من المستقبلين ، وهم الوزراء والنواب ورجال السلك الدبلوماسي وكبار موظفي الدولة ورجال الدين وممثلي النقابات والهيئات الرسمية .

وفي هذه الاثناء كانت اجراس الكنائس تقرع في جميع المدن والقرى ابتهاجاً ، فيزيد رنينها الاستقبال أبهة ومهابة .

كلمة الرئيس حلو

وأمام السرادق حيث ركزت مكبرات الصوت وقف صاحب القداسة وصاحب الفخامة يحيط بهما كبار المستقبلين ، والقى الرئيس اللبناني بالفرنسية كلمة هذه ترجمتها :

ايها الأب الاقدس .

على هذه الارض التي تآلفت فيها الطوائف المتعددة يجمع ما بينها ايمان واحد بالله ، وتعلق باولوية الروح ، ورغبة مشتركة في حياة اخوية هانئة ، نرحب جميعاً ، دون تفريق في المعتقدات والمذاهب ، بشخصكم السامي ، يحل بيننا حلول البركة ونتلقى زيارته تلقي الرجاء الكبير .

ان قداستكم ، بقبولكم دعوتنا وتوقفكم في ارضنا واختلاطكم بنا ، تعربون عن اهتمام هو في هذه الظروف ، بالنسبة الى لبنان وسائر العالم العربي ، عربون ظاهر للعدل وللتفهم الابوي .

واننا لندرك على الاخص ، ان لبنان المربوط مصيره ، بحكم رسالته وتقاليده ، بمصير الحق في العالم ، والذي يؤكد بذلك مفهوم كيانه الوطني ، ودوره الاقليمي والدولي ، لعزيز على الكرسي الرسولي ، الذي تشده اليه اوثق الروابط . وان ما تولونا اياه من عواطف سامية ، تجلت في ظروف مختلفة ، يفتح امامنا على الدوام مجالاً فسيحاً لما ندافع عنه من قضايا راهنة محقة .

وانه ليسعدني في هذه الصبيحة موعدي مع قداسة البابا نفسه ، صبيحة التلاقي المباشر والفرحة الشاملة ، وفيما تعود بي الذكرى الى ما لقداستكم من الثقافات ، وبينما امحضكم الترحيب في هذا الموقف ، ان اعلن مدى ما تكنه الاسرة اللبنانية جمعاء من اجلال واحترام لذلك المؤمن على القيم الاخلاقية التي نقدر كلنا عظم ما لها من نبل وضرورة .

وفي الامس القريب حيث العالم المسيحي والاسلامي معاً في هذا الشرق يحتفي برسول السلام والاخاء يطلع عليه بزيارته الخالدة للارض المقدسة ؛ وقد تكرم ووجه الينا وهو يعبر سماء لبنان رسالة ستظل مطبوعة على اعمق صفحات قلوبنا .

واليوم فيما تطأ قداستكم الارض اللبنانية فتتلقاكم هذه الارض بالبهجة والعرفان ، تترك زيارتكم في الشرق العربي عامة ، وهو يمر بتجربة من تجاربه ، ابقى الاصداء واعمقها .

واننا ، ونحن نتقدم من شخص قداستكم ومن عهدكم باحر دعاء ، نعرب عن ايماننا بان النعم السماوية التي تستنزلونها علينا بحضوركم وصلواتكم تزيد في تمكين ثقتنا بانفسنا وبمصيرنا .

جواب قداسة البابا

وحين انتهى الرئيس حلو من القاء كلمته صافحه صاحب القداسة شاكراً ، ورد عليه بالكلمة الفرنسية التالي تعريبها :

نشكر من صميم قلبنا فخامة الرئيس شارل حلو الذي نعرفه من مدة طويلة ، والسادة اعضـــاء الحكومة والنواب واصحاب السلطات الدينية والمدنية ، وجميع الذين شاؤوا الاتيان لاستقبالنا في هذا المطار .

لقد شاءت العناية الالهية ان تتيح لنا تلبية الدعوة التي لم نتمكن من استجابتها خلال رحلتنا الى الارض المقدسة ، والتي تكرمت السلطات اللبنانية بتكرارها الينا هذه المرة .

وانه ليسرنا ان تتاح لنا الآن هذه الفرصة للاتصال مباشرة ببلد عزيز علينا بصورة خاصة ، وله مع الكرسي الرسولي علاقات كانت على وجه عام ودية .

ومما يسعدنا قوله في هذا المكان ان لبنان يحتل بكل شرف مكانته المرموقة بين الدول ؛ ويمكننا الاستطراد ان تاريخه وثقافته وطبيعة سكانه المسالمة تكسبه تقديراً وصداقة عامين .

وتبدو لنا تقاليده الدينية العريقة الجليلة جديرة فوق كل شيء بان نذكرها بثناء ؛ ولا يسعنا ان ننسى خاصة كل ما يمثل ذلك للكنيسة في ايمان المسيحيين اللبنانيين ، وما يتجلى في تنوع الطوائف المنسجمة ، وفي وفرة الهيئات الدينية والرهبانية ، وفي تعدد النشاط الرسولي والتربوي والثقافي والخلقي .

ان الكنيسة تقدر وتشجع كل هذه الجهود التي يبذلها ابناؤها الطيبون في لبنان ، ويسعدنا ان نتمكن من الاعراب لهم عن هذه الشهادة هنا بحضور رؤسائهم الدينيين .

ونحيّي ايضاً بمنتهى الود جميع الذين ارادوا ، دون تمييز بين الطوائف والمذاهب ، أن يعربوا بوجودهم هنا عن تقديرهم القيم الروحية المؤتمنة عليها الكنيسة ، وعن اريحيتهم نحو شخصنا المتواضع .

لقد اظهر العالم العربي الذي ينتمون اليه نفسه لنا خلال رحلتنا الى الارض المقدسة بصورة عفوية ، في الترحيب والفرحة الشعبية الحماسية والتكريم الديني ، تلك المظاهر بقيت وستبقى دائماً مطبوعة في ذاكرتنا .

وعلى ذلك فاننا نوجه ، بشعور من المحبة الحارة ، تحياتنا الى جميع الذين شاؤوا الحضور اليوم الى هنا من مسيحيين وغير مسيحيين ، للترحيب بنا ، ونستمطر عليهم وعلى سلطاتهم الزمنية والروحية وعلى وطنهم لبنان النبيل الجميل الممثل برئيس جمهوريتهم اكرم تمثيل ، النعم الالهية الوافرة .

هدايا تذكارية

وبعد ان انهى صاحب القداسة كلمته هذه منح مستقبليه باللاتينية البركة الرسولية ، ثم قدم اربعة انواط تذكارية هدايا رمزية لكل من فخامة رئيس الجمهورية ، ورئيس المجلس النيابي ، ورئيس مجلس الوزراء ، ووزير الخارجية .

تقدمة مالية

ومن ثم قدم للرئيس شارل حلو غلافاً يحوي شكاً بمبلغ عشرين الف

دولار ليوزعها على الاعمال الخيرية . وقد علمنا ان فخامته خصها ببنك الدم التابع لجمعية الصليب الاحمر التي تعنى بمساعدة اللبنانيين من كل طائفة في الحقل الصحي .

البعثة السورية

وتوجّه صاحبا القداسة والفخامة يرافقهما كبار المستقبلين الرسميين من رجال دين ودنيا وممثلو الدول خلال عاصفة من التصفيق والهتافات بحياة البابا والرئيس الى قاعة الشرف . وهناك قدّم الرئيس حلو لصاحب القداسة رجال البعثة السورية الذين أوفدتهم حكومتهم برئاسة السيد مشهور زيتون لتحية البابا ، وتولى بنفسه ابلاغ قداسته الرسالة الخاصة الموجّهة اليه من الفريق امين الحافظ رئيس مجلس الرئاسة السوري ، والمتضمنة الترحيب بقداسته ، واعتبار زيارته لبنان شقيقها كما لو كانت لسورية ، ولكل بلد من البلدان العربية ، شاكراً له عطفه على قضايا العرب ، متمنياً عليه نصرة حقهم في فلسطين .

فردّ قداسته شاكراً سورية حكومة وشعباً ، وتمنى لها وللبلدان العربية اطراد التقدم والازدهار ، مؤكداً انه يكنّ لها جميعاً كل محبة وعطف ، وقال : « انه يعرف ما يهم الشعب السوري والدول العربية ويقدّر أمانيها » .

البركة من على سطح المطار

وبقي صاحب القداسة في قاعة الشرف زهاء خمس دقائق قدمت له فيها المرطبات ، وتبادل حديثاً خاصاً مع الرئيس الحلو ، وكانت تبدو على وجهه امائر الارتياح والمسرة . ومن ثم توجه برافقة صاحب الفخامة ، عبر البهو الكبير المزدحم بالجماهير ، بواسطة المصعد ، الى سطح المطار ليشرف على الجماهير المحتشدة في الساحات الخارجية وقد قُدرت بنحو ربع مليون .

وما ان اطل قداسته على الجماهير حتى دوت الايدي بالتصفيق وتعالت الهتافات بحياته وحياة الرئيس حلو تشق عنان السماء فرفع قداسته يديه برد التحية .

كلمة قداسته من على السطح

« وارتجل الاب الاقدس امام الميكروفون على السطح كلمة قال فيها : يا ابنائي اشكركم من صميم قلبي واؤكد لكم تكراراً محبتي لبلدكم لبنان وتمنياتي لاستمرار تقدمه وازدهاره ، واتمنى خاصة ، كما سبق لي ان قلت لرئيسكم يوم كان يمثل بلدكم لدى الكرسي الرسولي ، ان يظل لبنان دائماً اميناً لرسالته الحضارية ، وايمانه بالمسيح ، واتمنى كذلك السعادة لكل ابناء لبنان من مسيحيين وغير مسيحيين واخيراً يا بناتي وابنائي قبل ان أستأذنكم بالسفر استودعكم قلبي » .

ثم منح قداسته الجماهير البركة الرسولية وختمها هاتفاً ثلاثاً بالايطالية : عاش لبنان ! عاش لبنان ! عاش لبنان !

وهنا دبت الحماسة في الجماهير فجعلت تصفق وتصيح من كل جانب بالعربية والايطالية والفرنسية : عاش البابا ! عاش البابا !

التبرك بلمس قداسته

ولدى نزول قداسته مع مرافقيه الى ساحة المطار شوهد كثيرون من الرجال والنسوة يتزاحمون لمس يديه او ثوبه متبركين ، بينما كان الكهنة والرهبان والراهبات وتلاميذهم يجثون امامه التماساً لبركته .

ووقف البابا أمام الطائرة يستمع الى فرقة الجيش تؤدي له التحية العسكرية على عزف الموسيقى ؛ ثم تقدم فصافح مرافقيه وضابط الجيش مودعاً ، وصعد الى الطائرة . وعند بابها التفت الى الجماهير رافعاً يديه مباركاً ، فدوّت باحات المطار وشرفاته بالتصفيق والهتاف وسمع كثيرون يقولون : « مع السلامة ! الله يحرسك ! » .

وفي الساعة التاسعة والدقيقة ١٥ تحركت طائرة قداسته مقلعة تواكبها نفاثات الجيش اللبناني الثلاث حتى نهاية الاجواء اللبنانية ، بينما كان فخامة الرئيس ومرافقوه يرفعون ايديهم بتحية الوداع ، متمنين له رحلة سعيدة ،

وهو يلوّح بيديه من وراء نافذة الطائرة وعيناه شاخصتان اليهم حتى غاب عن الانظار . فأخذ الجميع يتفرقون .

برقية البابا وجواب الرئيس عليها

ولم يلبث البابا ان وجّه من الجو الى الرئيس حلو البرقية التالي نصها :

« فخامة الاستاذ شارل حلو رئيس الجمهورية اللبنانية

« تأثرت بالغ التأثر بالحفاوة التي استقبلتموني بها فخامتكم والسلطات اللبنانية والشعب اللبناني . نحمل معنا ونحن نغادر بيروت ذكرى خالدة شاكرين عليها ، من أعماق قلبنا ، الوطن اللبناني النبيل الحبيب ورئيسه » .

بولس السادس

فأجابه الرئيس :

« الى قداسة البابا بولس السادس

« ان مرور قداستكم السريع في ارض وطننا قد اثر بالغ التأثير في نفوس اللبنانيين على اختلاف طوائفهم ، الذين عبروا عن فرحتهم وتقديرهم لشهادة الصداقة والمحبة البينة .

« فباسم الشعب اللبناني وباسمي شخصياً اتوجه الى قداستكم باحر تمنياتي لنجاح رسالة المحبة والسلام والعدالة ، هذه الرسالة النبيلة التي تمثلها رحلة قداستكم » .

شارل حلو

وكان قد حدد لهذه الزيارة نصف ساعة ، فدامت ساعة الا خمس دقائق مضت كما لو كانت دقيقة واحدة تاركة على قصرها انطباعات عميقة في نفوس اللبنانيين ستبقى ما بقي لبنان وبقي الفاتيكان !

الشيخ نجيب الدحداح سفير جديد للبنان في الفاتيكان

في اوائل شهر كانون الثاني من سنة ١٩٦٥ عينت الحكومة اللبنانية الشيخ نجيب الدحداح سفيرها السابق في المكسيك سفيراً جديداً لها في الفاتيكان

وكانت هذه السفارة ، منذ دعي سفيرها السابق الاستاذ جوزف حرفوش الى بيروت واسند اليه فيها منصب الامين العام لوزارة الخارجية والمغتربين ، خالية من سفير ومعهوداً بادارتها موقتاً الى احد مستشاريها الاستاذ اسكندر عون باسم « قائم بالاعمال بالوكالة » .

وبعد مرور بضعة ايام على تعيين السفير الجديد جاء الى رومية فاستقبله فيها عند وصوله موفدو وزارتي الخارجية في الفاتيكان والحكومة الايطالية وجمع من الاصدقاء وموظفي السفارة وفي ١٢ من هذا الشهر قدم اوراق اعتماده لصاحب القداسة والقى بعد ذلك كلمة مما قال فيها :

« ان الروابط القائمة بين لبنان والكرسي الرسولي يمكن دمجها تحت ستار القيم الروحية التي كان الفاتيكان وما يزال المدافع الطبيعي عنها » .

ثم استطرد :

« واليوم في لبنان ، حيث يعيش المسيحيون والمسلمون من كل طائفة بانسجام تام ، امكننا ان نستقبل بمزيد من المحبة والحرارة والحماسة نداء قداستكم في سبيل التقارب بين المسيحيين وغير المسيحيين ، واللبنانيون الذين يدركون حقيقة هذه الرابطة حرصوا جميعاً على ان يكونوا حاضرين بعشرات الالوف عند مرور قداستكم في الثاني من كانون الاول الماضي ليعبروا عما يكنونه لشخصكم السامي من شواعر الاحترام والمحبة والتقدير » .

وفي الرد الذي فاه به صاحب القداسة قال ما ملخصه :

« ان صداقة الكرسي الرسولي ليست في الواقع الا دعوة دائمة لاعطاء الاولوية لما هو افضل ارث عند الامة عنيت بهذا الارث القيم الروحية والخلقية والدينية اي كل ما يرمي الى رفع الانسان الى قمة الحضارة والعرفان .

« واني اتمنى يا حضرة السفير من كل قلبي ان تستمر دائماً هذه العلاقات التي يتبادلها لحسن الحظ لبنان والفاتيكان وان يوليكم الله في مهمتكم توفيقاً ونجاحاً »

والذي نعرفه عن الشيخ نجيب سفيرنا الجديد انه من خيرة رجالنا علماً وثقافة وتفهماً للمسؤوليات ، وانه في مقدمة من يعرفون ان من اولى واجبات من كان في مثل منصبه ، ولا سيما في الظروف الحاضرة ، خدمة اللبنانيين جميعاً على اختلاف طوائفهم المسيحي والمسلم والدرزي على السواء ارضاء لكل عناصر لبنان على مختلف نزعاتها ، انسجاماً مع ما كانت ترمي اليه دوماً هذه العلاقات التاريخية بين لبنان والفاتيكان من اهداف سامية تعود بالخير على جميع المواطنين دون تفريق ولا تمييز .

البابا يعلن « بطل قداسة » من لبنان

نشر دير مار مارون عنايا بياناً قال فيه : ان صاحب القداسة البابا بولس السادس اعلن في ١٩ / ١ / ١٩٦٥ رجل الله الاب شربل مخلوف الراهب اللبناني الذي اشتهر بطهارة سيرته وحسن قبوله عند الله « بطلاً من ابطال القداسة » تميز عن سواه بممارسته الايمان الحي والرجاء الثابت والحب الكامل ، وبتكريس عقله وارادته لله بالطاعة وجسده بالعفة وقلبه بالفقر ، وبوقفه ذاته قلباً وقالباً على اتمام ما كانت توجبه عليه قوانين الرهبانية بنوع بطولي .

فاللبنانيون يشكرون لصاحب القداسة هذا الاعلان عن مواطنهم الاب شربل ، ويرجون ان تكون كلمته هذه مدرجة لاحصاء « بطل القداسة » اللبناني هذا ، في المستقبل القريب بين مصاف قديسي الكنيسة بالصورة التي يوجبها القانون .

منصب الكردينالية للبطريركين معوشي وصائغ

وهذا حدث آخر بين لبنان والفاتيكان، على جانب كبير من الخطورة، يقع في عهد صاحب الفخامة رئيس الجمهورية الحالي، الاستاذ شارل حلو، هو تفضُّل صاحب القداسة، البابا بولس السادس، لمناسبة تعيينه ٢٧ كردينالاً جديداً يوم ٢٥ كانون الثاني من هذه السنة ١٩٦٥، اخذ اثنين منهم من لبنان، هما صاحبا الغبطة بولس بطرس المعوشي بطريرك الطائفة المارونية، ومكسيموس الرابع الصائغ بطريرك طائفة الروم الكاثوليك.

صدى هذا الحدث

وقد كان لهذه البادرة الطيبة من صاحب القداسة رنة فرح واعتزاز عميقة الاثر تردد صداها في قلب كل لبناني من مقيم ومهاجر، وذلك لما فيها من دليل على ما يكنه الاب الاقدس من عاطفة حب وتقدير لصاحبي الغبطة المحبوبين السامي احترامهما، ومن ظاهرة تمجيد واكبار للبنان العزيز، وقد اصبح فيه، على صغر مساحته، وقلة نسبته العددية، اربعة كرادلة هم اصحاب النيافه: معوشي. صائغ. اغناطيوس جبرائيل تبوني بطريرك السريان الكاثوليك، غريغوريوس اغاجانيان من الارمن الكاثوليك الذي يشغل الآن في رومية منصباً خطيراً في احدى دوائر الفاتيكان [1].

توافد المهنئين

وما هو ان انتشر الخبر على اجنحة البرق واعمدة الصحف، حتى اخذت الداران البطريركيتان في بكركي وبيروت، تغصان بالمهنئين من

---

(١) راجع ترجمة كل من اصحاب النيافة الاربعة في الصفحات ٧٩، و ٩٩، و ١٠٦، و ١١٥ من هذا الكتاب.

مختلف المقامات والطوائف ، وفوداً وافراداً ، لبنانيين وغير لبنانيين ، فضلاً عما تلقتاه من رسائل تهنئة بالبرق والبريد . وكان ابرز الوافدين لهذه الغاية صاحب الفخامة الاستاذ شارل حلو رئيسُ الجمهورية اللبنانية ، الذي خف يعرب لكل من صاحبي النيافة ، عما افعم فؤاده من شواعر الاستبشار والاستكبار لهذه المنحة التي صادفت محلها . وعادت على لبنان بالفخر الكبير .

الكردينالان يودعان الرئيس

ولما كان صاحبا النيافة قد تلقيا ، مع نبأ ترفيعهما ، اشارة بوجوب السفر الى رومية في النصف الثـــاني من شهر شباط ، لحضور حفلات التنصيب ، المعين موعدها بين ٢٢ و ٢٥ منه ، فقد جاء كلٌ منهما بدوره الى قصر الرئاسة يودّع صاحب الفخامة ، ويشعره بموعد سفره ، فحمّله صاحب الفخامة اخلص تحياته واحترامه لصاحب القداسة .

سفرهما الى رومية

وسافر الى رومية صاحبا النيافة المعوشي ظهر الاثنين ١٥ شباط ، والصائغ بعد ظهر الخميس ١٨ منه . وكان موكب كل منهما ، من المقر البطريركي الى المطار ، مظهراً لما لهما في القلوب من بالغ الاحترام والمحبة .

واستقبل كل منهما رسمياً في المطار ، ورافق نيافة المعوشي في الطائرة صاحب السيادة المطران خريش رئيس اساقفة صيدا ، والاب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي مدير مجلة المشرق مستشاره اللاهوتي ، والاب خليل ابو نادر احد امناء سره .

ورافق نيافة الصائغ صاحب السيادة المطران نيوفيتوس ادلبي مستشاره البطريركي ، والاب الياس نجمه احد امناء سره .

وصولهما الى رومية

ولدى وصول كل من صاحبي النيافة الى مطار رومية ، رحّب به

رهط من موظفي الدوائر الرسمية في الفاتيكان والحكومة الايطالية ، وفريق من ابناء الجالية اللبنانية في عاصمة الكثلكة .

ونزل نيافة الكردينال المعوشي في دير الرهبان الحلبيين الموارنة ، ونيافة الكردينال صائغ في مستشفى مخلص العالم .

وعلى الاثر توافد عليهما الزائرون من مختلف الطبقات والتابعيات يرحبون بهما ، ويبثونهما اخلص التهانيء والدعوات ، وأقيمت لهما عدة مآدب تكريمية غاية في الابهة والاتقان نذكر منها :

مأدبة سفير فرنسة ؛ مأدبة المدرسة الغريغورية التي تخرّج منها صاحبا النيافة ؛ مأدبة سفير لبنان لدى الكرسي الرسولي ؛ مأدبة الوفد اللبناني التي خطب فيها صاحب النيافة الكردينال المعوشي داعياً اللبنانيين الى الحفاظ على تقاليد آبائهم في احياء تلك العلاقات الولائية التي طالما ربطت على توالي العصور بين لبنان والفاتيكان .

الوفـــد اللبناني

ومن ١٩ شباط الى ٢١ منه وصل الى رومية وفد لبناني كبير بلغ عدد افراده خمساً وتسعين نفساً ، كلهم من نخبة المواطنين ، بين مطارين ورؤساء رهبانيات واديار وكهنة وساسة وقضاة ومحامين واطباء ومهندسين وصحفيين وأعيان ، وغايتهم ان يكونوا الى جانب صاحبي النيافة الكردينالين في حفلة تنصيبهما ، وخلال مقابلتهما للاب الاقدس ، اعلاء لقدرهما ، واغتناماً لبركة قداسته وتنويهاً بفضله وشكره .

من كان اخص افراد الوفد

وهنا نذكر بعضاً ممن اتصلت بنا اسماؤهم من اعضاء هذا الوفد ابقاء للذكر ، وهم أصحاب السيادة المطارنة : انطون عبد . الياس فرح . فرنسيس الزايك . جورج حكيم . قدس الرؤساء العامين على الرهبانيات الموارنة

والروم الكاثوليك . بعض المدبرين . الرئيس كميل نمر شمعون . السادة سليمان فرنجية . قبلان عيسى الخوري . الشيخ فضل‌الله تلحوق . الدكتور جوزف مغبغب . اميل مكرزل . جان ابو جوده . سليم لحود . بيار اده . بطرس الخوري . الدكتور فيليب الخازن . الشيخ يوسف الضاهر . الرئيس بدري المعوشي . الدكتور سليم الحايك . الشيخ منصور الخازن . الشيخ فؤاد الخازن . الخوري يوسف سلامة . الدكتور نجيب الشمالي . الدكتور راشد الخوري . سيمون صحناوي . عبده صعب . الدكتور جوزف اشقر والسيدة عقيلته . انطوان كرم . جان نفاع . الياس الشدياق . ادغار طنبرجي . طوبيا سلامة . وديع ابو مرعي . سليم منصور الفغالي . قيصر شلهوب . شيبان نعمة .

اما الوفد الصحافي فكان مؤلفاً من الاساتذة : النقيب عفيف الطيبي . الدكتور يوسف يزبك . توفيق المتني . الياس الغريافي . وفيق الطيبي . ميشال ابو جوده . جورج ابو معشر .

هذا عدا من رافقهم من المصورين وممثلي السينما والتلفيزيون .

في المجمع الكردينالي السري

ومن العادات او الرسوم المعمول بها في الكنيسة ان يعقد عند تعيين اي كردينال او اي عدد من الكرادلة الجدد مجمع كردينالي سري برئاسة صاحب القداسة لاخذ الموافقة العامة النهائية على هذا التعيين .

وعملاً بذلك امر صاحب القداسة البابا بولس السادس بعقد المجمع على النحو المذكور صباح الثلاثاء ٢٢ شباط ، حضره تحت رئاسته ستة وثلاثون كردينالاً . واستغرق انعقاده اكثر من اربعين دقيقة . وعند انفضاضه اعلنت موافقته على تعيين الكرادلة الجدد السبعة والعشرين .

وللحال وجه صاحب القداسة الى كل منهم اشعاراً مع رسول خاص يبلغه نبأ هذه الموافقة ، مكرراً لجميعهم عبارات التهنئة مشفوعة بالبركة .

اجتماع الكرادلة الشرقيين

وبعد ان وصلت هذه الاشعارات او البراءات الى الكرادلة الشرقيين الجدد عقدوا اجتماعاً في احدى قاعات المجمع الشرقي بحثوا فيه توثيق صلات التعاون فيما بينهم ، وكان الحاضرون منهم : اسطفانوس الاول سيداروس بطريرك الاقباط الكاثوليك ؛ سليبي من اوكرانية ؛ بيران من تشكوسلوفاكية ؛ شيبرد من يوغوسلافية ؛ مكسيموس الرابع وبولس بطرس المعوشي من لبنان . وكان مع كل منهم مستشاوه وامناء سره اساقفة وكهنة ، وفي آخر هذا الاجتماع قرأ المطران صفير البراءة بتعيين البطريرك المعوشي كردينالاً ، وقرأ المطران نيوفيتوس ادلبي براءة بتعيين البطريرك الصائغ ، ثم قرئت البراءات الباقية ، وبعد تلاوتها حيا الكرادلة الشرقيون بعضهم بعضاً وتعانقوا ثم ذهبوا الى مكاتبهم حيث تقبلوا تهانىء الوفود والسفراء والكرادلة ورجال الاكليروس وطلاب المداوس الاكليريكية واعيان مدينة رومة .

تضامن البطاركة الشرقيين في المجمع المسكوني

وكان البطاركة الشرقيون هؤلاء قد تعارفوا في المجمع المسكوني المنعقد حتى الآن في الفاتيكان ، وعقدوا عدة اجتماعات تدارسوا فيها ما لبطريركياتهم الشرقية من حقوق وامتيازات ذات كرامات متوارثة عريقة في القدم ، يُغضى عنها الآن ولا يلتفت اليها الالتفات الكافي ، فعقدوا النية فيما بينهم على ان يعهدوا الى احدهم في وضع دراسة عن هذه الحقوق والامتيازات ، ويلقيها باسمهم جميعاً من على منبر المجمع الحر . ومن ثم اتفقت كلمتهم على ان يكلفوا في ذلك صاحب الغبطة البطريرك مكسيموس الرابع الصائغ فقام بهذه المهمة خير قيام ، ووقف في المجمع ينادي بوجوب انالة البطاركة الشرقيين ما لهم من حق تقليدي يعود الى اقدم عصور النصرانية بالاشتراك في ادارة الكنيسة تحت رئاسة البابا .

المطالبة بتعديل هيئة الكرادلة

وتطرق صاحب الغبطة الى المطالبة بتعديل هيئة الكرادلة ، جرياً على ما تقضي به سنة التطور في البشر ، وبانشاء مجلس اسقفي دولي في الكنيسة الى جانب الحبر الاعظم يساعده في سياستها ، تتمثل فيه جميع شعوب الارض ، لان مشاكل الشعوب الخاصة ليس من يعرف لها حلاً ملائماً غير اهلها عملاً بالقول المأثور : « صاحب البيت ادرى بالذي فيه » .

المطالبة بالتساوي بين البطاركة والكرادلة

وختم كلمته بتشديد المطالبة بأن يكون للبطاركة الحق بالاشتراك في انتخاب البابا ، وفي **انتخابهم لمنصب البابوية** ، على مثال الكرادلة سواء بسواء ، وذلك بالاستناد الى ما حدده المجمع المسكوني في احدى جلساته السابقة . وهو « ان في الكنيسة سلطة عليا يمارسها الاساقفة جماعياً ، الى جانب رئاسة البابا على الكنيسة جمعاء » .

البابا يؤيد هذه المطالب

ولما كان صاحب القداسة الحبر الاعظم المالك سعيداً البابا بولس السادس معروفاً بتشبعه من روح العصر ، شديد الانفتاح على العالم كله ، كثير التفهم لحاجات الكنيسة والشعوب في هذه الظروف الحاضرة ، فقد رأى بسديد رأيه وسامي حكمته ان ينظر الى هذه المطالب بعين الروية والتقدير ، والانتهاء الى الحل الذي انتهى اليه وهو اشراك البطاركة الشرقيين في ادارة الكنيسة الجامعة بطريق ضمهم الى الهيئة الكردينالية ، حتى يؤلفوا واياها ذلك المجلس المطلوب انشاؤه الى جانبه وتحت رئاسته ، ليعاونه في ادارة الكنيسة الجامعة ادارة جماعية شاملة (راجع مقالاً حول هذا الموضوع للاب جورج فاخوري البولسي في ملحق جريدة النهار ٧/٢/١٩٦٥) .

ابقاء البطاركة الشرقيين مرتبطين بكراسيهم الاصلية

ومن ثم حين فاجأ الاب الاقدس البطاركة الشرقيين وعلى رأسهم غبطة البطريرك مكسيموس الرابع برتبة الكردينالية ما كانوا ليقبلوا بها الا بعد ان اكد لهم صاحب القداسة ان هذا المنصب الجديد لن يلحق اي مساس برتبهم البطريركية وامتيازاتها وحقوقها ، وانه قد قرر استمرارهم مرتبطين بكراسيهم الاصلية ، دون ان يلحقوا باي مركز من مراكز رومية القديمة ، كما كان الامر يجري سابقاً حتى اليوم .

تصريح نيافة الكردينال صائغ حول هذه الشؤون

وقد اشار صاحب النيافة الكردينال مكسيموس صائغ الى هذه الشؤون كلها في تصريح ادلى به في دمشق يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٥ الى وكالة الصحافة الفرنسية ، هذا بعض ما قال فيه :

« ان صاحب القداسة البابا بولس السادس بجعله بطاركة الشرق كرادلة ، يبرهن مرة ثانية على محبته وتقديره البالغين للشرق . وقد تجلى لنا موقفه هذا منذ بدء عهده المجيد من خلال تصريحاته ، واجراءاته ، وزيارته للاماكن المقدسة ، والتقاءاته فيها برؤساء الكنائس الشرقية .

« ان الكردينالية في وجهها القديم لم تكن في رأينا لتتناسب مع واقع بطاركة الشرق . هؤلاء البطاركة ، بحكم كونهم يشغلون كراسي رسولية ، يؤلفون في الكنيسة الجامعة رأساً بعد اسقف رومة ، وبالشراكة معه ، شبه مجلس بطريركي ، وكان هذا المجلس متقدماً على جميع اصحاب المراتب في الكنيسة ، ويساعد البابا في الشؤون الخطيرة التي عم امرها الكنيسة جمعاء .

« اما اليوم فان الهيئة الكردينالية تدخل بانضمام البطاركة الشرقيين اليها ، مرحلة جديدة في تاريخ تطورها الطويل ، الذي ، على ما نظن ، لم ينتهِ بعد . وذلك ان بطاركة الشرق لم يصيروا كرادلة مرتبطين لقباً باحدى كنائس رومة ، بل بكرسيهم البطريركي الاصيل ، وانهم ،

بصيرورتهم كرادلة ، يشتركون في انتخاب البابا ويدعون ليكونوا مستشاريه ، وليساعدوه عن كثب في ادارة الكنيسة العامة . وفي هذه المسؤولية الجديدة ستنفتح أمامهم آفاق جديدة لرسالة راعوية جامعة ... ونحن على يقين من أن الكنيسة الكاثوليكية ، بهذا الاجراء الحكيم ، تؤكد اليوم مسكونيتها أكثر من أي زمن مضى » .

مركز البطاركة الشرقيين في المجمع المقدس

وتأييداً لهذا التنظيم الجديد أصدر صاحب القداسة في ١١ من شباط ١٩٦٥ منشوراً منح فيه البطاركة الشرقيين المعينين كرادلة مراكز الكرادلة الاساقفة المحيطين بروما في داخل المجمع المقدس . وبموجب هذا المنشور يصبح البطاركة السابقو الذكر خلافاً للمادة ٢٣١ من القانون الكنسي ، مستمرين على الارتباط بمناصبهم البطريركية الاصلية ، وغير ملتحقين بأية كنيسة من الكنائس الرومانية كما كان الحال في السابق ، وعلى ذلك سيكون ترتيب المجمع المقدس من الآن وصاعداً على الوجه التالي :

عميد المجمع . نائب العميد . الكرادلة الاساقفة السبعة المرتبطون بكنائس رومية التقليدية التاريخية . البطاركة الشرقيون . وبعدهم يأتي الكرادلة الباقون الذين تتعدد القابهم ، وفقاً للمراكز الرومانية التي ينتمون اليها .

تحوير جديد في نظام عميد المجمع

ومن التحويرات الجديدة المنسجمة مع التطورات التي قدمنا الالماع اليها ، صدور قرار بابوي يوجب تعيين عميد ونائب عميد للمجمع المقدس بطريقة الانتخاب ، خلافاً لما كان يجري في السابق ؛ فقد كان هناك تقليد معمول به منذ القدم ، وهو ان يخلف أقدم كردينال اسقف من الابرشيات التاريخية المحيطة بروما العميد عند وفاته ، والذي يليه مباشرة في الاقدمية يُصبح نائباً له . وقد جاء القرار الجديد يقضي بأن يجتمع الكرادلة بعد اليوم عند وفاة عميدهم أو نائبه برئاسة أكبرهم سناً لانتخاب الخلف ، على ان يقترن ذلك بموافقة البابا .

حفلة تنصيب الكرادلة

وقد حان لنا الآن متابعة موضوعنا الاساسي وهو حفلة تنصيب الكرادلة :

جرت هذه الحفلة قبل ظهر الخميس ٢٥ شباط فكانت من الحفلات الرائعة المهيبة التاريخية التي شهدتها حاضرة الفاتيكان .

ابتدأت في الساعة الثامنة والنصف صباحاً ، وكانت كاتدرائية القديس بطرس وساحتها الكبرى مزدحمتين بجموع متراصة ، قُدّر عددها بأكثر من ١٥ الف شخص . وفيها وفود عديدة روحية ومدنية ، تمثل البلدان التي ينتمي اليها الكرادلة الجدد ، وفي مقدمتهم رؤساء دول حاليون ، وسابقون ، ورؤساء وزارات ، ووزراء ، ونواب ، وقضاة ، ورؤساء بعثات دبلوماسية معتمدون لدى الكرسي الرسولي ، عدا رجال دين من مختلف الرتب والطقوس والطوائف .

الوفــــد اللبناني

وكان أكبر هذه الوفود الوفد اللبناني الذي قلنا ان عدد أعضائه بلغ خمساً وتسعين نفساً يمثلون مختلف الطوائف . اذ اشترك فيه بعض اخواننا المسلمين والدروز ، وكان لاشتراكهم تأثير كبير في قلبي صاحبي النيافة معوشي وصائغ ، وفي الاوساط الفاتيكانية التي تعنى بشؤون الشرق لرؤيتها في ذلك مظهراً من مظاهر التعايش الروحي والانساني في لبنان ، مما حمل أحد الكرادلة الاجانب على التصريح بأن من حق لبنان ان يعتز بكونه مختبراً حقيقيًّا لهذا التعايش المنشود بين الشعوب ، ومن حق الدول ان تقدّر لبنان على هذه الحقيقة الانسانية ، ودفع نيافة المعوشي الى الاشادة في احدى خطبه : « بالتآخي بين اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم ، وان هذه المناسبة التاريخية هي كسب للبنان والاقطار العربية ، وانه لحدث عظيم ان يكون في لبنان الذي لا يتجاوز عدد سكانه المليونين أربعة كرادلة » . ولا عجب ، والحال ما قدمنا ، في ما لاقاه وفدنا

من اهتمام القائمين على تنظيم تلك الحفلة في تخصيصهم اياه بمركز امامي مرموق بين تلك الجموع الغفيرة التي لا يسهل حصرها .

مجيء الكرادلة الجدد

وقبل وصول الحبر الاعظم جاء الكرادلة الجدد وعددهم ٢٦ كردينالاً ، بمعاطفهم الحمراء الطويلة ، ودخلوا القاعة البورجوانية المجاورة لكاتدرائية القديس بطرس ، وكان البابا قد عيّن ٢٧ كردينالاً ، ولكن واحداً منهم ، وهو الكردينال انغلي هيريرا اوريا الاسباني ، لم يحضر ، وأرسلت اليه قبعة الكردينالية فتسلمها من يد الجنرال فرنكو ، عملاً بتقليد قديم يخوّل رؤساء الدولة الاسبانية منحها لمن يُنتخب كردينالاً من اسبانية .

وصول صاحب القداسة

وفي الساعة التاسعة تماماً أطلّ على الساحة صاحب القداسة بموكبه الفخم ، وملابسه البرّاقة الموشّاة بالذهب ، محمولاً على عرشه النقّال ، فارتفعت الهتافات بحياته من كل جهة ، فيما كان المرنمون يرتلون الانشودة التقليدية « أنت بطرس ! » .

وتقدم الموكب مخترقاً تلك الامواج البشرية ، وسط صفوف من الحرس البابوي ، والتصفيق والهتاف يتواليان ، الى أن دخل الكاتدرائية . وعند وصول قداسته الى المذبح الذي يعلو قبر القديس بطرس جثا وصلّى هنيهة ، ثم اعتلى عرش البابوية فتقدم منه الكرادلة القدامى واحداً واحداً يقدمون الطاعة لقداسته ، وعددهم ٣٥ كردينالاً ، سبعة منهم يقيمون في رومة .

وكان الكرادلة الجدد قد لبسوا اثواب التقديس في معبد القديس ليو ومنه اتجهوا الى معبد بولين وأقسموا اليمين الخاصة بالكرادلة ، وخرجوا من ثم صفاً واحداً وأحاطوا بالحبر الاعظم ، وكان قد بدأ الذبيحة المقدسة ، فأقاموها معه ، واستمر الاحتفال ساعتين . ولوحظت ظاهرة

هامة هي انها المرة الاولى في تاريخ الفاتيكان التي تلي فيها الانجيل المقدس باللغة العربية تكريماً للبنانيين ، وخطب البابا بعد الانجيل بالايطالية ، والفرنسية ، والانكليزية ، والالمانية ، والاسبانية ، موجهاً الكلام الى الكرادلة الجدد قائلاً : « يا اخواني الاعزاء لقد منحتم اليوم بركة ونعمة كبيرتين بانضمامكم الى كلية الكرادلة في الكنيسة الكاثوليكية » . ثم أعلن ان الكرادلة الشرقيين الاربعة وفي مقدمتهم : صائغ ، معوشي ، سيستمرون محافظين على امتيازاتهم ، وعلى ما لهم من مكانة خاصة ضمن المجمع الكردينالي .

تسليم الشارات الكردينالية

وبعد القداس جلس البابا على عرشه وأخذ أحد أمناء السر يقدم له الكرادلة الجدد واحداً بعد آخر ، وفق لائحة كتبت فيها اسماؤهم ، والشرقيون في المقدمة ، وفي رأسها اسم صاحب النيافة الكردينال صائغ ، وكان البابا ، كلما اقترب منه كردينال ، يسأله :

« هل تعد بالولاء والخضوع والطاعة والتابعية دائماً لبطرس الرسول الذي منحه الله سلطان الربط والحل والتعاون معه ومعنا ومع غيرنا من البابوات الذين خلفوا القديس بطرس ؟ » .

وبعد ان يستمع البابا الى الرد وحلف اليمين يقول :

« ونحن ننتخبكم كردينالاً في الكنيسة الكاثوليكية المقدسة » .

وهنا يضع البابا في اصبعه خاتم الياقوت قائلاً : « تسلّم الخاتم من يد بطرس واعلم ان حبك للكنيسة يتعزز بحبك لامير الرسل » . ثم يضع على رأسه القبعة الحمراء شارة وظيفته الجديدة ، ويرسم فوقه علامة الصليب ويعانقه قائلاً : « ليكن سلامي معك دائماً ! » .

ومما لوحظ ان الكرادلة الشرقيين الجدد أحيطوا في هذه الحفلة برعاية خاصة ميّزتهم عن الآخرين .

من ذلك حين دنا الموعد الذي يوزع فيه صاحب القداسة القبعات الحمراء شارات الكردينالية على الكرادلة الجدد ، كان أول من قُدّم اليه صاحب النيافة الكردينال صائغ فاذا هو الوحيد الذي لفظ بين يديه خطاباً فرنسياً قابله قداسته بارتياح جزيل .

وانضم اليه على الاثر صاحب النيافة الكردينال المعوشي ووقفا كلاهما أمام قداسته وهما معتمران بقبعتيهما البطريركيتين ، وتسلم كل منهما قبعته الحمراء بيده وعاد وهو يحملها على هذا النحو ، وحذا حذوهما البطاركة الشرقيون ، بينما كان قداسته يضع تلك القبعات الحمراء على رؤوس الكرادلة الآخرين فيعود كل منهم الى مكانه والقبعة لا تفارق رأسه .

ومما مُيّز به الكرادلة الشرقيون أيضاً ان الاب الاقدس ، عندما طلب اليهم حلف اليمين ، استعمل معهم كلمة « الاخوة » بدلاً من « التابعية » التي استعملها مع الآخرين ، وعندما دعاهم الى الخضوع للكنيسة استعمل عبارة « الكنيسة الكاثوليكية المقدسة » بدلاً من عبارة « الكنيسة اللاتينية المقدسة » التي استعملها مع الكرادلة اللاتين .

المقابلة البابوية

وفي اليوم التالي الجمعة ٢٦ شباط شاء صاحب القداسة ان يقابل فيه صاحبي النيافة الكردينالين معوشي وصائغ ومن معهما من حاشية ووفود ، فعيّن لذلك موعداً أبلغ الى أصحاب العلاقة على العادة المتبعة في مثل هذه المقابلة في الفاتيكان .

وفد الروم الكاثوليك

في الساعة العاشرة من صباح اليوم المذكور أدخل على صاحب القداسة ، وهو في القاعة الكبرى لمجمع الكرادلة ، وفد شخصيات الروم الكاثوليك من لبنان ، وعلى رأسه صاحب النيافة الكردينال مكسيموس الرابع الصائغ ، فاحتفى صاحب القداسة بهذا الوفد ، مبدياً نحوه أخلص الحب ،

وعانق صاحب النيافة مكرراً له التهانيء ، معرباً عما يكنه من تقدير لصراحته وجرأته وخالص تعلقه بالكرسي الرسولي ، ومن بالغ الاحترام للبطريركية الكاثوليكية الشرقية ، ذات التاريخ المجيد في خدمة الكثلكة ، ومن انعطاف أبوي نحو ابنائها المنتشرين في مختلف الاقطار العربية ولاسيما في لبنان .

وألمع قداسته الى ان قراءة الانجيل لاول مرة باللغة العربية في احتفال يوم أمس ، انما اريد بها تكريم الناطقين بهذه اللغة ، من ابناء الدول العربية ، وخاصة ابناء هذه البطريركية .

وبعد ان شكر صاحب النيافة للاب الاقدس هذه العواطف الابوية السامية ، قدّم له أعضاء الوفد واحداً واحداً ، فأفاض عليهم بركته داعياً لهم ولآلهم بالسعادة والاقبال .

الوفــــد الماروني

وعند الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثلاثين ظهراً ، قابل صاحب القداسة نيافة الكردينال المعوشي مقابلة خاصة في خلوة ، ثم استقبله في القاعة الكبرى لمجلس الكرادلة مع الوفد الماروني المؤلف من المطارنة : عبد . فرج . الزايك . صفير . ورؤساء الرهبانيات ، وجمع من الرهبان ، والكهنة ، وطلبة العلم في رومية ، والشخصيات المارونية القادمة من لبنان وباريس والمكسيك ، وقد انضمّ اليهم الوفد الصحافي اللبناني ، وعدد من المصورين ومندوبي الاذاعة والتلفزيون ، فرحّب بهم صاحب القداسة بوجه يفيض بشراً . وبعد أن انتظمت صفوفهم جلس صاحب القداسة على العرش ونيافة الكردينال المعوشي عن يمينه .

كلمة المطران عبد

وألقى صاحب السيادة المطران عبد رئيس اساقفة طرابلس كلمة بالفرنسية قدّم فيها أعضاء الوفد ، وشكر لقداسته باسم الطائفة المارونية التقدير الذي خصّ به لبنان . ومما جاء في خطابه :

« يسعدني ايها الاب الاقدس ، وقد كلفني غبطة أبينا البطريرك الكلام ، ان أعرب لقداستكم عن عظيم فرحتنا ، مطارنة ورجال اكليروس ، ورهباناً ، وعلمانيين ، وعن خالص شكرنا للالتفاتة السامية التي أشركتم بها رأس الطائفة المارونية في ادارة الكنيسة .

« لقد حرص موارنة لبنان باجماع كلي ، على الالتفاف حول بطريركهم في هذه المناسبة التاريخية ، وعلى مشاطرته عرفان جميلكم ، وانهم ليفخرون بما عُرف عنهم عبر تاريخهم الطويل من ديمومة الولاء لكرسي بطرس ، ومن الاعتصام المستمر بالايمان الكاثوليكي » .

ثم قال : « ان محبتكم للبنان التي أعربتم عنها أيها الاب الاقدس في غير مناسبة لتجد اليوم كمالها » .

وذكّر بما كان للبنان والطائفة المارونية ، على مرور الاجيال ، من مكانة خاصة لدى الاحبار الرومانيين ، وأنهى كلمته ملتمساً من قداسة البابا البركة للبنان ولابنائه جميعاً .

خطاب قداسة البابا

وعلى الاثر ألقى صاحب القداسة الحبر الاعظم خطاباً هاماً بالفرنسية قال فيه :

« اننا لسعداء جداً في ان نستقبل غداة الاحتفال الباهر بتنصيب الكرادلة الجدد مع صاحب الغبطة أخينا البطريرك المعوشي هذا الوفد المهيب من كبار الشخصيات الدينية والمدنية ، التي جاءت من لبنان لتقدم للامير الجديد من أمراء الكنيسة ، احترامها ، وتعرب له عن فرحتها .

« لبنان ! وكيف نستطيع نسيان ذلك الاحتفال الكثير الحرارة الذي استقبل به شعب بأسره شخصنا المتواضع ، لدى توقفنا في بيروت ، خلال كانون الاول الماضي ، في اثناء رحلة السلام التي قمنا بها الى بومباي لترؤس المؤتمر القرباني .

« ولكن ، فضلاً عن هذه الذكريات التي لا تنسى ، يطيب لنا ان نكرر لكم هنا ما نكنه من محبة وتقدير لابناء بلدكم النبيل ، وأن ننوه بالمكانة الخاصة التي يمتاز بها لبنان ، ملتقى العديد من الحضارات ، والديانات ، والشعوب » .

وهنا كان صاحب القداسة قد لاحظ وجود شخصيات غير مسيحية في الوفد من أمثال نقيب الصحافة اللبنانية الاستاذ عفيف الطيبي وأخيه السيد وفيق ، ونائب عاليه الشيخ فضل‌الله تلحوق ، فتابع الكلام بحرارة وقال :

« وانّنا نشيد على الاخص بالتعايش السلمي الاخوي الذي ينمو في أرض الوطن الواحد ، بين أبناء الديانتين الكبيرتين (النصرانية والاسلام) .

« كما انّنا نقدّر ما يبذله أبناء بلدكم المسيحيون من جهد لتقريب ساعة الوحدة التي ينشدها الجميع بحرارة .

« وليسمح لنا ان نخص بكلمة ثناء أبناء الطائفة المارونية ، هذه الطائفة الكاثوليكية الكبرى في لبنان ، التي يبتهج أبناؤها اليوم بدخول بطريركهم في ادارة الكنيسة .

« اننا نطلب اليهم متابعة خطواتهم التي نقدّرها كل التقدير في مجالات الدين والثقافة والمحبة . ويسرنا الآن هنا أمام العديد من ممثلي هذه الطائفة المارونية أن نجهر بالاعراب عما نكنه لها من تقدير ونمحضها اياه من شكر .

« ويسعدنا أخيراً أن نتوجه بتحية خاصة مضمّخة بعبير الحب والاحترام الى جميع اولئك الاكارم من أبناء الطوائف الاخرى ، الذين تلطفوا بالحضور معنا في هذا الصباح ، معبّرين لهم عن تقديرنا لمدى اكبارهم القيم الروحية ، ولنبالة تلك العواطف الولائية التي يكنونها لنا .

« ويطيب لنا اخيراً ان نستمطر بمحبة عميقة على جميع ابناء لبنان ، وهيئاته الروحية والزمنية ، فيضاً من بركات الله ، ولكم يا صاحب النيافة وجميع الاساقفة والكهنة والمؤمنين من التابعين لبطريركيتكم ، نمنح من اعماق قلبنا ، بركتنا الابوية تكراراً » .

قداسته يختلط بالوفد

وبعد ان انتهى صاحب القداسة من القاء كلمته ، تقدم نيافة الكردينال المعوشي فعانقه الاب الاقدس بحرارة ، وتوجه كلاهما نحو الحضور ، واختلطا بهم ، واخذ نيافة الكردينال يقدمهم فرداً فرداً ، وقداسته يبسم لهم ويبادلهم بعض الكلمات بكل بساطة الروح ، كما لو كان واحداً منهم .

وقد علّق مدير البروتوكول في الفاتيكان على بادرة قداسته هذه في استقبال اللبنانيين من الوفدين الكاثوليكي والماروني قال :

« انها المرة الاولى في حياة الفاتيكان التي يُخرق فيها البروتوكول على هذا النحو ، ويختلط البابا بزائريه ، ولكن عندما يعجز البروتوكول عن اداء التعبير العاطفي فلا بد من خرق التقاليد اظهاراً للحقيقة المستكنة في داخل النفس البشرية كما جرى مع الوفد اللبناني .

« ومن واجبي ان اصرّح بأن اي وفد آخر من الوفود القادمة الى رومية لم يحظَ بمثل ما حظي به الوفد اللبناني من تكريم ومحبة » .

كلمة نقيب الصحافة

وأخيراً قدّم نيافة المعوشي لقداسته وفد الصحافة اللبنانية ، فاغتنم رئيسه النقيب الاستاذ عفيف الطيبي هذه المناسبة والقى الكلمة التالية :

« اود ان اشير الى الصدى الكبير الذي تركه هذا الالتفات الخاص من شخصكم الجليل نحو الكردينالين البطريرك المعوشي والبطريرك الصائغ ، وان صدى هذا الالتفات لم يقف عند حدود التمثيل الكريم الذي يمثله روحياً صاحبا النيافة الكردينالان ، بل تعداه الى لبنان بصورة شاملة ، والى اوسع من لبنان ، وقد تحدثتم ، قداستكم ، عن بلدنا وتعاون الديانتين بصورة يعلو فيها الشكر للعاطفة والالتفات .

« اننا نعمل ونغتبط لسيادة روح التقوى والايمان ، وهو ما ارادته

الاديان في كتبها السماوية ومغزاها ، ولا خير ولا سلام على الارض إلا بسيادة هذه الروح والمبادىء السامية التي تنبثق عنها .

« واننا لفخورون في لبنان بأن نكون مثالاً نموذجياً في العالم ، لتعاون روحي وتعايش وطني ، ولأهداف العاملين لاعلاء سلطة الدين وابراز عطائه بما امر الله لخير البشر والانسانية جمعاء » .

الكرادلة الاربعة يخدمون لبنان والعرب

وقبل ان ينفرط في رومية عقد الكرادلة المعينين حديثاً ، عهد صاحب القداسة البابا بولس السادس الى كل من كرادلتنا الاربعة بمهمة خطيرة في الفاتيكان تساعدهم على جني اوفر المكاسب للبنان والدول العربية .

ومن ثم بدأنا نرى امام اعيننا اجواء فسيحة من التفاؤل بأن تكون حاضرة الفاتيكان بعد اليوم خير معوان لنا على حل كل معضلة من معاضلنا السياسية او الدولية يرافقها تعقد او تأزم .

ومعلوم ان للفاتيكان في الكون قوة ادبية لا تضاهيها قوة ، فهو ظل الله على الارض ، ونائب السيد المسيح وسفيره ، ودولة لها ممثلون ومعتمدون لدى جميع الدول ، ومنه تنطلق النداءات بالسلم والدعوات الى احقاق الحق واجراء العدل والمساواة بين الناس ، وعلى صرحه تقوم مداميك المحبة والتسامح والاخوة بين مختلف الاجناس البشرية ؛ وقد أصبح لنا الآن فيه ، بعد قيام الكرادلة الاربعة من لبنان ، مشاركة عملية نافذة المفعول بعد ان كانت من قبل مشاركة روحية محدودة الحول والطول .

ومما يزيد في تفاؤلنا تفهم صاحب القداسة البابا بولس السادس لاوضاع لبنان الداخلية وما يكنه لنا من حب قلبي يدفعه دائماً الى السعي في ضمان كل ما يؤمّن لنا ولشقيقاتنا الدول العربية من راحة وطمأنينة ، وما يقوي تلك العلاقات الولائية المتبادلة بين لبنان والفاتيكان التي لاجلها تعبنا في وضع هذا الكتاب .

واخيرا العودة

وبعد ان انتهت في المدينة الخالدة تلك الحفلات الشائقة والمقابلات البهيجة المشرفة للبنان والطائفتين المارونية والملكية ، عاد صاحبا النيافة الكردينال الصائغ بعد ظهر الثلاثاء ٢ آذار والكردينال المعوشي بعد ظهر الاربعاء ٣ منه ، فجرى لهما استقبال على الصعيدين الرسمي والشعبي بمكان رفيع من الابهة والفخامة بمن حضره في المطار وعلى طريق الكرسيين البطريركيين وفيهما من جماهير وأقيم من زين .

ويطيب للمؤلف وهو في الكلمة الاخيرة من هذين الموضوع والكتاب معاً ، وبعد ان يتقدم من صاحبي النيافة بأخلص تهانيه البنوية ، وداع القراء بتصريحين فاه بهما كلٌ منهما بعد وصوله .

فما قاله صاحب النيافة الكردينال المعوشي خلال خطبة القاها على مستقبليه في معبد البطريركية :

« ان رتبة الكردينالية التي شاء صاحب القداسة تقليدي اياها انما هي مدعاة تكريم لكم وللبنان ، وبرهان على الدور الخاص الذي تمثلونه في هذا الشرق ، ودليل جديد على ما يحوط به قداسته وطننا العزيز من اهتمام ورعاية ، وعلى الآمال التي يعلقها عليكم في اشادة صروح الحق والعدالة والحرية ونشر راية السلام والمحبة في هذه الربوع » .

وفي الختام « دعا اللبنانيين جميعاً الى مواصلة التعايش الاخوي فيما بينهم ليظل لبنان بتضامنهم قوياً عزيزاً يسوده الامن والحب والسلام ، ويخيّم فوقه سرادق الهناء والسعادة » .

ومما فاه به صاحب النيافة الكردينال صائغ :

« شكراً لله لقد حصلنا على كل مطالب الشرق والكنائس الشرقية ، ولقينا لدى صاحب القداسة عطفاً خاصاً وتفهماً كلياً لوضع هذه الكنائس ، ورغبة قوية في تقديرها وانالتها كل حقوقها وامتيازاتها العريقة في القدم .

وقال في تصريح آخر بعد قداس احتفالي في كاتدرائية النبي الياس :

أمّا الاسباب التي دعتني الى قبول الرتبة الكردينالية بعد موقفي المعروف في المجمع المسكوني فهي :

« ١ – الاذعان لرأي صاحب القداسة المعترف له في بيعة الله بوظيفة الحكَم والمدبّر والموجّه والراعي الاول .

« ٢ – العمل بروح الانضباط والنظام المعمول به في الكنيسة والذي كان من اهم البواعث على ان يحلق لها ازدهاراً روحياً لا مثيل له .

« ٣ – التعديلات التي أُدخلت على الكردينالية ورغبة قداسة أبينا الحبر الاعظم الذي اختاره الله لتنظيم شؤون الكنيسة وفقاً لمطالب العصر والذي له في قلبنا اعظم احترام ومحبة .

« ٤ – العمل برأي سينودسنا في انتهاج الخطة التي ابتغاها .

« ٥ – الرجاء بالتمكن من اسماع صوتنا بأوفر شدة الى العالم الغربي لفائدة من لنا فيه من مهاجرين ، وتصميمنا على متابعة عملنا الرسولي بجد ونشاط في الايام الباقية لنا في هذه الحياة ، لنكون عند ارادة المسيح الذي وقفنا له كل أعمالنا » .

زيارة رئيس لبنان للفاتيكان

ومن احداث هذا العهد العائدة الى موضوعنا «لبنان والفاتيكان» والخليقة بالتدوين، الزيارة التي قام بها صاحب الفخامة الرئيس شارل حلو لصاحب القداسة البابا بولس السادس، التي تجلى فيها من مظاهر الحفاوة وشواعر التحاب والتعاطف مايندر ان تجد له مثيلاً في كل ما يجري في الفاتيكان من زيارات.

وقد جاءت هذه الزيارة اثر زيارتين من نوعها: للشقيقة الكبرى الجمهورية العربية المتحدة، من السبت اول ايار ١٩٦٥ حتى الاربعاء ٥ منه، والثانية للصديقة التقليدية فرنسة من الاربعاء ٥ منه حتى الاثنين ١٠، وكان برفقة فخامته في زياراته هذه الثلاث السيدة عقيلته، والحاج حسين العويني رئيس الوزارة، والسيد فيليب تقلا وزير الخارجية والسيدة عقيلته، وبعض مندوبي الصحف يتقدمهم الاستاذ عفيف الطيبي نقيب الصحافة.

في مطار رومية

ووصلت طائرة الرئاسة الى مطار رومية بعد ظهر الاثنين نفسه، واذا هناك حشد غفير توافد لاستقبال صاحب الفخامة ومن معه، وفي مقدمته من اصحاب المناصب الرسمية: المنسنيور انجلو ديلاكوا مدير المراسم في وزارة خارجية الفاتيكان، والسيد انجلو كورياس زميله وندّه في وزارة الخارجية الايطالية، والشيخ نجيب الدحداح سفير لبنان لدى الكرسي الرسولي، والسيد موسى مبارك سفيره لدى الجمهورية الايطالية، وسفراء الجمهورية العربية المتحدة، والاردن، والمملكة العربية السعودية؛ ومن رجال الاكليروس اصحاب السيادة: المطران بطرس صفير الماروني، والمطران اكليمنضوس منصوراتي من السريان الكاثوليك، والارشمندريت

اثناسيوس نونه المخلصي من الروم الكاثوليك ، فضلاً عمن كان الى جانبهم من الايطاليين وافراد الجالية اللبنانية في عاصمة الكثلكة رجالاً ونساء وبعض الكهنة والرهبان والراهبات ، وكان بين المستقبلين من يحملون طاقات زهر قدموها للسيدة عقيلة الرئيس .

كلمة الرئيس بالايطالية

وبعد ان تبادل صاحب الفخامة التحيات مع مستقبليه وتلقى منهم عبارات الترحيب وجّه اليهم كلمة بالايطالية قال فيها ما معناه : « اشكر العاطفة النبيلة التي دفعتكم لاستقبالي واني لجد مسرور لوجودي في رومية جئتها لاعرب عن عظيم احترامي لصاحب القداسة البابا بولس السادس ، ولاقدّم اخلص تحياتي القلبية لفخامة رئيس الجمهورية الايطالية ولاعضاء حكومته وللشعب الايطالي » . فقابل المستقبلون كلمته هذه بالهتاف والتصفيق .

اجتماعه بالسفراء العرب

ونزل فخامة الرئيس ومرافقوه في فندق فخم من فنادق رومية اسمه « كران اوتل » ظل يرفع العلم اللبناني ما بقي الوفد فيه . وبعد ان اخذ فخامته قسطاً من الراحة دعا اليه من في رومية من سفراء الحكومات العربية الشقيقة لدى الفاتيكان والحكومة الايطالية فعقدوا برئاسته جلسة استعرضوا فيها اهم القضايا السياسية التي تهم دولهم، واتفقوا على السياسة الواجب انتهاجها على ضوء النتائج التي اسفرت عنها محادثات الرئيس حلو في كل من القاهرة وباريس ، وقد ابدى فخامته ارتياحه الى ما لمسه في هذا الاجتماع من تجاوب بين جميع الذين حضروه .

مادبة الاستاذ موسى مبارك

وفي مساء الاثنين أعد الاستاذ موسى مبارك سفير لبنان لدى الجمهورية الايطالية مأدبة عشاء تكريماً لصاحب الفخامة ومرافقيه ، دعا اليها رهطاً

من رجالات الفاتيكان . ويقال ان حديثاً دار بين احدهم والرئيس بصورة غير رسمية ، حول عدة مسائل دقيقة ما زال العالم العربي ينظر اليها باهتمام ، وهو يأمل ان ينهيها الرئيس حلو على وجه يتلاءم مع الاماني العربية .

الاستقبال النادر المثال

واطل صباح الثلاثاء موعد اللقاء المنشود ، واذا حاضرة الفاتيكان بقصورها وساحاتها ترتدي حلة جميلة من الزينة ، وكان رجال الحرس الحبري قد اصطفوا فيها باسلحتهم اللماعة والبستهم التاريخية الملونة ، واضفوا عليها بمظهرهم الفخم جداً من المهابة والرونق ، قل ان شوهد فيها مثله الا في بعض مناسباتها العظيمة .

وفي الوقت نفسه كانت جماهير غفيرة من كل صنف وصوب قد تدفقت عليها وملأت الارصفة المؤدية اليها وجنبات ساحة القديس بطرس فازداد المشهد باحتشادها ابهة وروعة .

على طريق الفاتيكان

وفي حيال الساعة العاشرة وقفت امام فندق كران اوتل حيث ينزل الوفد اللبناني سبع سيارات فاتيكانية فخمة ، وقد خصت احداها بفخامته فامتطاها والسيدة عقيلته ، وجلس فيها الى جانب السائق امير المراسم البابوية بلباسه الرسمي الجميل ، ومشت هذه السيارة في المقدمة ، ووراءها السيارات الباقية ، وفيها اعضاء الوفد ، وانضمت اليها سيارات اخرى تنقل سفيري لبنان لدى الفاتيكان والحكومة الايطالية ، وبعض الشخصيات اللبنانية والصديقة .

وكانت السلطات الايطالية قد اقامت الى جانبي الطريق الذي يمر فيه الموكب فرقاً من رجال شرطتها للحفاظ على النظام .

اما في داخل الحاضرة فكان مدير التشريفات البابوي عملاً بالاوامر الصادرة اليه قد اعد للاستقبال عدة استثنائية ، وأوعز الى الحرس البابوي

والسويسري وحرس الشرف وفرق الموسيقى المصطفين في المواقف المعينة لهم ان يبالغوا في الانضباط ، ويظهروا في هذا الاستقبال غاية ما يسعهم من مجالي التكريم والتعظيم .

وصول الموكب الى ساحة القديس بطرس

ولم يلبث الموكب ان وصل الى الحدود الفاصلة بين ايطالية والفاتيكان ، واذا بانتظاره عند مدخل ساحة القديس بطرس جمهرة من احبار الفاتيكان يتقدمهم الامير كارلو باشلي ابن شقيقة الطيب الاثر البابا بيوس الثاني عشر المستشار العام للحاضرة ، والكونت هنريكو غاليازي مندوبها الخاص ، فترجل صاحب الفخامة ومن معه ، وفيما كانوا يبادلون مستقبليهم التحيات ، ويتلقون منهم عبارات الترحيب اشرع رجال الحرس سيوفهم تحية ، وعزفت الموسيقى النشيدين اللبناني والبابوي ، ومشى الرئيس يستعرض ثلة من الجند وهو بلباسه الرسمي ، وقد اناط بصدره الوشاح الاكبر من وسام بيوس التاسع الذي كان صاحب القداسة البابا بولس السادس قد اهداه اليه في اليوم السابق ليتشح به في هذا الاستقبال .

في ساحة سان داماس

ومشى المستقبلون بالرئيس ومن معه الى ساحة سان داماس الداخلية فاعلن وصولهم اليها بنفخ الابواق ، وادى من فيها من مفارز الحرس التحية بالسلاح ، وعزفت فرقة موسيقية ثانية النشيدين اللبناني والحبري ، ورحب بالزائرين جمهرة من كبار الاحبار يتقدمهم رئيس الاساقفة جينارو فيرو لينو وكلهم بالملابس الارجوانية الفضفاضة .

الوصول الى الجناح البابوي

ومن هناك صعدوا سلم الشرف الى الطبقة الثانية واتجهوا الى جناح البابا الخاص مجتازين نحو احدى عشرة قاعة ، وعند بلوغهم الى قاعة

كليمنتين التي انشأها البابا كليمنت الثامن (١٥٩٢ - ١٦٠٥) وهي قاعة واسعة مجملة بالزخارف ، شاهدوا فيها نحواً من ١٥٠ لبنانياً ممن يقيمون في رومية ، وبينهم فريق من الكهنة فالرهبان والراهبات من لبنان ، جيء بهم اليها ليغنموا الى جانب رئيسهم بركة صاحب القداسة ، فصفقوا للرئيس طويلاً وهتفوا لفخامته وللبنان .

البابا يستقبل الرئيس في خلوة

وطلب الى مرافقي الرئيس الانتظار في قاعة اخرى ، وسير به وحده الى مكتبة صاحب القداسة ، واذا به يستقبله عند مدخلها بانعطاف بالغ ، مرحباً به اجمل ترحيب ، مستعيداً واياه ذكريات صداقتهما العائدة الى ثماني عشرة سنة ، اذ كان صاحب القداسة اميناً لسر خارجية الفاتيكان باسم المنسنيور مونتيني في عهد البابا بيوس الثاني عشر وصاحب الفخامة اول وزير مفوض للبنان في الفاتيكان ، ولا سيما ذكريات ذلك الاستقبال الحافل الذي اقيم لصاحب القداسة في بيروت في كانون الاول الفائت وهو في طريقه الى الهند .

خلوتهما تدوم ٤٠ دقيقة

ودامت خلوة قداسته بالرئيس اربعين دقيقة ، وهي خلوة وصفتها المصادر المطلعة في الفاتيكان بأنها اطول خلوة جرت لاي رئيس دولة مع قداسة البابا ، ولم يدرِ احد ما جرى من محادثات بينهما في هذه الخلوة .

مقابلة اعضاء الوفد وتبادل الخطب

وبعد انتهائها قدم صاحب الفخامة لقداسته اعضاء الوفد المرافق ، ومن انضم اليهم وفي مقدمتهم السيدة عقيلته التي كانت تلبس رداء اسود فضفاضاً وتضع على رأسها قناعاً ، فرحّب بهم صاحب القداسة ، وتلطف

بهم ، وافاض على كل منهم بركته ، ثم توجه الى صاحب الفخامة بالخطاب التالي :

« يا فخامة الرئيس

انه لمصدر سرور عميق لنا ان نستقبلكم اليوم هنا في الفاتيكان بصفتكم رئيساً لجمهورية لبنان تقديراً لشخصكم اولاً . واننا لنستعيد هنا ذكريات كثيرة قديمة وحديثة ، لا يسعنا ان ننسى الصحافي اللامع والدبلوماسي الحاذق الذي كان لنا ان ندخله يوماً على سلفنا المقدس الذكر بيوس الثاني عشر اول ممثل دبلوماسي لبلاده لدى الكرسي الرسولي ، والعلاقات التي كان لنا بحكم المهمة ان نقيمها مع فخامتكم قد اتاحت لنا ان نقدّر عمق مشاعركم الدينية وسعة ثقافتكم وذكائكم ولباقتكم في تولي الشؤون ، وهذه الصفات سرعان ما اضفت على علاقاتنا طابع المودة التي تجاوزت حدود المجاملات الرسمية . وعليه لن نستغرب ان نراكم في السنوات التالية تتبوأون مناصب مسؤولية الحكومة اللبنانية حتى ذلك اليوم من ايلول ١٩٦٤ الذي رفعكم فيه ثقة مواطنيكم الى الرئاسة الاولى في البلاد . وفي هذا المنصب الجديد العالي استقبلتمونا في مطار بيروت اثناء تلك المرحلة الروحية التي اتاحتها العناية خلال رحلتنا الاخيرة الى الهند ، وكان استقبالاً عظيماً غنياً بالنسبة الينا في ذكريات مؤثرة لا تنسى .

على اننا في شخصكم انما نرى لبنان كله يقبل الينا . لبنان الغني بتقاليده العريقة حقاً وكذلك لبنان الحديث الذي يواجه بجرأة واقعية مشاكل تنميته الاقتصادية ، لبنان الذي يحرج جباله ويستصلح اراضيه وينشيء المعامل الكهربائية ويشق الطرق ويوصل المياه الى القرى ، لبنان الذي يعمل بجامعاته ومعاهده وصحافته وشبكات الراديو والتلفزيون فيه على محو الامية وتعميم التعليم والثقافة ، لبنان الصديق القديم الذي يرى يوماً فيوماً سلطته ونفوذه تنموان في نطاق المجموعة الدولية ، وفي جملة ما يمكن التنويه به من صفات شعبكم لا تعجبوا يا فخامة الرئيس ان نذكر بصورة خاصة بميزاته الروحية والدينية . لبنان هو بلد اناس مؤمنين ،

فللمسيحية جذور عريقة وقد برزت الكنيسة الكاثوليكية على مر القرون في مؤسسات ابداً متجددة . وهذه الحيوية المسيحية التي يتحلى بها وطنكم اللبناني الجميل هي ما اردنا ان نعترف به ونكرمه لرفعنا اخيراً الى مرتبة الكردينالية واحداً من ابنائه الافذاذ بطريرك الطائفة المارونية ، وكنا بذلك نكرم امة بأجمعها امة تتعايش فيها بسلام وفي توازن وانسجام كليين ، لمصلحة الوحدة الوطنية نفسها ، العائلات الروحية على اختلافها ، وهذا ايضاً يجب التنويه به في مجال الاشادة بلبنان ذلك ان هذه الروح من اجل السلام والتضامن تفترض جهداً مستمراً وحميداً لضمان انتصار مبادىء الوحدة انتصاراً دائماً ، وهي مبادىء روحية وادبية ، على بذور الفرقة التي غالباً ما تزرعها المصالح والاهواء في معاملات الناس .

وهكذا تعملون بجد وفعالية لاقرار السلام بين الشعوب والسلام بين الامم ، هذا السلام الحق الذي ذكر سلفنا المباشر في رسالة له شهيرة انه لا يمكن ان يقوم إلا على اساس دعائم حقيقية وحتمية اربع : الحقيقة والعدالة والمحبة والحرية ، وعسى ان يكون لبنان يا فخامة الرئيس في عالم اليوم القلق عاملاً صالحاً لهذا السلام الحق ، تلك هي الامنية التي يطيب لنا ان نعرب عنها فيما نحن نرحب بكم هنا ونمنحكم عربوناً للرعاية الالهية بركتنا الرسولية لكم ولوطنكم » .

خطاب الرئيس حلو

فرد صاحب الفخامة الرئيس شارل حلو على قداسته بالخطاب التالي :

« سيدي الاب الاقدس

ببالغ التأثر تلقيت امس واتلقى هذا الصباح شهادات جديدة من عطف قداستكم الابوي عليّ شخصياً وعلى بلادي . ان القلادة التي احملها في عنقي والسماع الخاص الذي احمل عباراته محفورة في قلبي والمقابلة التي اتيحت لي وللشخصيات التي ترافقني والكلمات الساميات التي وجهت الينا تضيء نفوسنا وآفاقنا ، كما اضاءت آفاقنا وقلوبنا زيارة قداستكم التاريخية

بهم ، وافاض على كل منهم بركته ، ثم توجه الى صاحب الفخامة بالخطاب التالي :

« يا فخامة الرئيس

انه لمصدر سرور عميق لنا ان نستقبلكم اليوم هنا في الفاتيكان بصفتكم رئيساً لجمهورية لبنان تقديراً لشخصكم اولاً . واننا لنستعيد هنا ذكريات كثيرة قديمة وحديثة ، لا يسعنا ان ننسى الصحافي اللامع والدبلوماسي الحاذق الذي كان لنا ان ندخله يوماً على سلفنا المقدس الذكر بيوس الثاني عشر اول ممثل دبلوماسي لبلاده لدى الكرسي الرسولي ، والعلاقات التي كان لنا بحكم المهمة ان نقيمها مع فخامتكم قد اتاحت لنا ان نقدّر عمق مشاعركم الدينية وسعة ثقافتكم وذكائكم ولباقتكم في تولي الشؤون ، وهذه الصفات سرعان ما اضفت على علاقاتنا طابع المودة التي تجاوزت حدود المجاملات الرسمية . وعليه لن نستغرب ان نراكم في السنوات التالية تتبوأون مناصب مسؤولية الحكومة اللبنانية حتى ذلك اليوم من ايلول ١٩٦٤ الذي رفعكم فيه ثقة مواطنيكم الى الرئاسة الاولى في البلاد . وفي هذا المنصب الجديد العالي استقبلتمونا في مطار بيروت اثناء تلك المرحلة الروحية التي اتاحتها العناية خلال رحلتنا الاخيرة الى الهند ، وكان استقبالاً عظيماً غنياً بالنسبة الينا في ذكريات مؤثرة لا تنسى .

على اننا في شخصكم انما نرى لبنان كله يقبل الينا . لبنان الغني بتقاليده العريقة حقاً وكذلك لبنان الحديث الذي يواجه بجرأة واقعية مشاكل تنميته الاقتصادية ، لبنان الذي يحرج جباله ويستصلح اراضيه وينشىء المعامل الكهربائية ويشق الطرق ويوصل المياه الى القرى ، لبنان الذي يعمل بجامعاته ومعاهده وصحافته وشبكات الراديو والتلفزيون فيه على محو الامية وتعميم التعليم والثقافة ، لبنان الصديق القديم الذي يرى يوماً فيوماً سلطته ونفوذه تنموان في نطاق المجموعة الدولية ، وفي جملة ما يمكن التنويه به من صفات شعبكم لا تعجبوا يا فخامة الرئيس ان نذكر بصورة خاصة ميزاته الروحية والدينية . لبنان هو بلد اناس مؤمنين ،

فللمسيحية جذور عريقة وقد برزت الكنيسة الكاثوليكية على مر القرون في مؤسسات ابداً متجددة . وهذه الحيوية المسيحية التي يتحلى بها وطنكم اللبناني الجميل هي ما اردنا ان نعترف به ونكرمه لرفعنا اخيراً الى مرتبة الكردينالية واحداً من ابنائه الافذاذ بطريرك الطائفة المارونية ، وكنا بذلك نكرم امة بأجمعها امة تتعايش فيها بسلام وفي توازن وانسجام كليين ، لمصلحة الوحدة الوطنية نفسها ، العائلات الروحية على اختلافها ، وهذا ايضاً يجب التنويه به في مجال الاشادة بلبنان ذلك ان هذه الروح من اجل السلام والتضامن تفترض جهداً مستمراً وحيداً لضمان انتصار مبادىء الوحدة انتصاراً دائماً ، وهي مبادىء روحية وادبية ، على بذور الفرقة التي غالباً ما تزرعها المصالح والاهواء في معاملات الناس .

وهكذا تعملون بجد وفعالية لاقرار السلام بين الشعوب والسلام بين الامم ، هذا السلام الحق الذي ذكر سلفنا المباشر في رسالة له شهيرة انه لا يمكن ان يقوم إلا على اساس دعائم حقيقية وحتمية اربع : الحقيقة والعدالة والمحبة والحرية ، وعسى ان يكون لبنان يا فخامة الرئيس في عالم اليوم القلق عاملاً صالحاً لهذا السلام الحق ، تلك هي الامنية التي يطيب لنا ان نعرب عنها فيما نحن نرحّب بكم هنا ونمنحكم عربوناً للرعاية الالهية بركتنا الرسولية لكم ولوطنكم » .

خطاب الرئيس حلو

فرد صاحب الفخامة الرئيس شارل حلو على قداسته بالخطاب التالي :

« سيدي الاب الاقدس

ببالغ التأثر تلقيت امس واتلقى هذا الصباح شهادات جديدة من عطف قداستكم الابوي عليّ شخصياً وعلى بلادي . ان القلادة التي احملها في عنقي والسماع الخاص الذي احمل عباراته محفورة في قلبي والمقابلة التي اتيحت لي وللشخصيات التي ترافقني والكلمات الساميات التي وجهت الينا تضيء نفوسنا وآفاقنا ، كما اضاءت آفاقنا وقلوبنا زيارة قداستكم التاريخية

للبنان . تلك الزيارة التي كانت لنا بركة كبرى واملاً عظيماً .

ويطيب لي في هذه الساعة هذه المناسبة الاحتفالية ، ان اكرر لقداستكم ليس فقط عواطف البنوة الورعة من ابنائكم وبناتكم في لبنان وانما ايضاً عواطف الاجلال والاحترام العميقين وتعلق اللبنانيين بشخصكم السامي ، وكذلك بتعاليمكم المستوحاة من الينابيع المقدسة ينابيع الحب التي لا تنضب ، وعلى ان هذه التعاليم هي ذات طابع روحي فان لها حكمة على الصعيد الزمني والوطني الذي هو صعيدنا ، وعلى عزمنا الراسخ على العيش معاً عيشاً اخوياً تأثيراً مطلقاً وسهلاً مطلقاً .

ان الاوطان كما تعلم يا صاحب القداسة هي من الله كالبنين ، وفي تنوع طوائفنا الدينية ومذاهبنا نحن وحدة ونريد ان نبقى متحدين في ايماننا بالانسان ، ويهمنا اخيراً كيما نعزز وحدتنا في الداخل ونؤدي رسالتنا في الخارج ان نؤكد على الدوام ايماننا باسمى القيم الخلقية ، واولها العدالة في السلام وبتعبير ادق السلام في العدالة .

وعليه ان صوت قداستكم الذي له حرارة الصلاة وجلال الوصايا الالهية ، هذا الصوت العظيم الذي يحمل الى اسماع امبرطوريات الارض والى اعمق اعماق الضمائر كلمات الحق والمحبة . ان هذا الصوت هو لنا بالذات بمثابة نداء الواجب للاصداء اللامتناهية .

اطال الله بعمر قداستكم واتاح لها حكماً مجيداً من اجله نسمح لانفسنا بأن نردد هذا النشيد : « مجد لبنان اعطي له » . »

الهدايا والاوسمة

وأهدى صاحب القداسة الى الرئيس حلو رسمه الشمسي مذيلاً بتوقيعه ضمن اطار من الفضة ، وتمثالاً اثرياً للسيدة العذراء من العاج ، والكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد على لوحات ثمينة صنعت له خصيصاً ، ومجموعة من طوابع الفاتيكان ، مع براءة بالوسام كتبها البابا لاول مرة بخط يده .

وأهدى الى السيدة حلو سبحة ثمينة ، ومحفظة للوحات تمثل مشاهد من الانجيل المقدس ، والى المرافقين أوسمة رفيعة وأنواطاً ذهبية عليها من جهة رسمه الكريم ومن الجهة الثانية شعاره الحبري .

وأهدى صاحب الفخامة الى قداسته سبحة من الذهب المطعم بالفيروز ، ومجموعة من الطوابع اللبنانية التي صدرت في كانون الاول الفائت تخليداً لمرور قداسته في بيروت .

البابا يخرق البروتوكول حباً للبنانيين ويقول :
« بيتي هو بيت اللبنانيين »

ومعلوم ان البروتوكول في الفاتيكان يقضي بأن يكتفي البابا بالمرور امام مرافقي اي رئيس دولة يزوره ويباركهم عن بعد .

ولكن قداسة بولس السادس ، زيادة في اظهار محبته للبنان ورئيسه ، شاء ان يخرق البروتوكول ويدخل مع فخامة الرئيس ومرافقيه الى حيث احتشد الـ ١٥٠ لبنانياً في قاعة كليمنتين ، ويجلس بينهم على عرش خاص أحضر لقداسته ، ويوجه الى كل منهم كلمة مؤانساً ، متلطفاً ، مفيضاً عليهم وعلى عيالهم بركته الابوية . واخيراً تفضل والقى عليهم الكلمات الابوية التالية :

لقد خرقت البروتوكول بصورة استثنائية لحبي للبنانيين ، ذلك لاني اردت ان لا يقتصر بقاؤنا على المظاهر الخارجية فحسب ، بل ان اشرككم بعواطفي وبركتي ، فأنا سعيد بان استقبلكم واعتقد بانكم تشعرون انكم في بيتكم ، فبيت البابا هو بيت اللبنانيين ، ولهذا فهم اليوم يستقبلون مع البابا رئيس جمهوريتهم .

واضاف قداسته يقول : اذا كنا مسيحيين حقاً فيجب ان نثبت مسيحيتنا بان نعمل مع الدولة على تحقيق الاماني الحديثة لمفهوم الدولة اي العمل الاجتماعي الذي يضمن الازدهار والعدالة للجميع . وعلينا خاصة ، اذا كنا كاثوليكيين حقاً ، ان ننفتح في لبنان لمحبة مواطنينا غير الكاثوليك

ونفتح لهم قلوبنا وان يكون لبنان موطن الالفة والمحبة بين جميع ابنائه دونما تفريق . واني لاباركـكم جميعاً انتم الحاضرين هنا وابارك عائلاتكم واتمنى التوفيق لـكم وللبنان .

المسلمون مثلنا قريبون من الله

وكان صاحب القداسة حين قُدّم له الحاج حسين العويني قد قال :

« لقد عرفت العالم الاسلامي بايمانه القوي ، والمسلمون هم مثلنـــا قريبون من الله » .

وقدم قداسته للرئيس وهما في قاعة الجامع من كان هناك من كرادلة ورؤساء ونبلاء في دوائر الكرسي الرسولي .

الوداع

واخيراً ودع صاحب الفخامة ومن معه قداسة البابا فرافقهم الى الباب حيث زودهم بركته ودعواته ، ومن ثم توجهوا في موكب يرافقهم كبار الاحبار من خواص قداسته الى جناح وزير الخارجية الكاردينال تشيكونياني ، فتبادلوا معه الاحاديث الودية .

ومن ثم تحولوا الى كنيسة القديس بطرس مروراً بالقاعات الدوقية والملكية وسُلّم ببرنان ، وباب قسطنطين ، وعند ما بلغ فخامته الى مدخل الكنيسة قُدمت له التحية الرسمية بينما كانت الموسيقى تعزف النشيد الحبري تعظيماً .

وأدى صاحب الفخامة والسيدة عقيلته الصلاة امام المذبح الكبير ، وبعد ان وقفا خاشعين امام مذبح السيدة العذراء ، أنهيا زيارتهما بصلاة ادياها على ضريح القديس بطرس .

وفي خارج الكنيسة ودع صاحب الفخامة ومرافقوه من كان يشيعهم من كبار رجال الفاتيكان ، وغادر موكبهم الحاضرة مشيعاً بمثل ما استقبل

من تكريم وحفاوة .

وعلى الاثر وصل الى مقر الرئيس في كران اوتل صاحب النيافة الكردينال تشيكونياني وزير خارجة الفاتيكان يرد الزيارة لفخامته باسم صاحب القداسة ، ومن بعده توافد جم غفير من الكرادلة والاحبار والنبلاء ، فسجلوا اسماءهم في سجل التشريفات مع ذكر ما لكل منهم من رتبة او وظيفة.

مأدبة السفير الدحداح

وكان سفير لبنان لدى الفاتيكان الشيخ نجيب الدحداح قد اعد لفخامته وصحبه مأدبة غداء تكريمية دعا اليها زهاء اربعين شخصاً من كبار رجالات الدين والدنيا ، نذكر منهم : الكردينالين اميلنو تشيكونياني وغريغوريوس اغاجانيان ، واصحاب السيادة الاساقفة ساموري ، وديلا اكوا ، وكامانيه ، وكاراسولي ، وفيرولينو ، والامير والاميرة كولونا ، والامير ديل دراغو قائد حرس النبلاء ، والنواب البطريركيين من لبنان ، وسفراء الدول العربية الشقيقة ، وغيرهم من سفراء الدول العظمى الصديقة ، وفي مقدمتهم سفير فرنسة ، والاستاذ اسكندر عون سكرتير السفارة اللبنانية لدى الفاتيكان .

حفلة استقبال وداعية

وفي المساء اقام الشيخ الدحداح ايضاً حفلة استقبال وداعية على شرف فخامته كانت خاتمة الحفلات . وفي اليوم الثاني الاربعاء غادر الوفد رومية حيال الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، فوصل حيال الرابعة الى بيروت حيث اقيم لفخامة الرئيس شاول حلو ذلك الاستقبال الذي قل ان رأى لبنان مثله .

تطويب الاب شربل

ويشاء الله ان تتوالى في هذا العهد بين لبنان والفاتيكان احداث على جانب كبير من الخطورة لها اثرها البالغ في تمكين ما بينهما من علاقات عريقة .

آخرها حدث تطويب رجل الله البار الناسك اللبناني الاب شربل مخلوف يوم خامس كانون الاول من سنة ١٩٦٥ في كاتدرائية القديس بطرس برومية العظمى .

وما هو ان انتشر الخبر بين اللبنانيين حتى قابلوه جميعاً بهزة من السرور والفخر وهب كثيرون من مقيميهم ومغتربيهم ومن مختلف طوائفهم ورتبهم وحالاتهم يؤمون رومية للاشتراك في حفلاته وغنم ما يتوقون اليه من وفور بركاته .

في الكاتدرائية

وفي نحو الساعة التاسعة من صباح الاحد الآنف الذكر ظهرت الكاتدرائية الممدودة اعجوبة الكون ترفل باجمل حلل الزينة واخذت الجماهير من كل صنف ، تتدفق عليها ، وفي مقدمتها عدد كبير من آباء المجمع المسكوني الفاتيكاني ، ورهط من رجال البطانة البابوية يتقدمهم المنسنيور تشيكونياني وزير خارجية الفاتيكان ، واعضاء السلك الدبلوماسي لدى الكرسي الرسولي والحكومة الايطالية ، وجموع القادمين من لبنان ، ومن اللبنانيين المهاجرين ، خصوصاً من الولايات المتحدة ، والمكسيك ، والبرازيل ، وفوداً وافراداً ، رجال دين ورجال دنيا . وكان الموظفون في الفاتيكان الذين اوكل اليهم امر تنظيم الحفلة ، يجلسّون كلّا من القادمين في المكان الموافق لمركزه . ولوحظ انهم كانوا يستقبلون اللبنانيين برعاية خاصة ، وقد اجلسوهم على مقاعد امامية الى يسار المذبح الكبير وفي مقدمتهم وفود الهيئات اللبنانية الرسمية .

الوفود الرسمية

وكان من اخص هذه الوفود اللبنانية الرسمية :

١ - وفد صاحب الفخامة رئيس الجمهورية المعهود برئاسته الى الاستاذ الفرد نقاش من رؤساء الجمهورية السابقين .

٢ - وفد المجلس النيابي يتقدمه رئيسه الاستاذ صبري حماده .

٣ - وفد بلدية بيروت وعلى رأسه رئيسها الاستاذ امين بيهم .

الوفود الشعبية

وكان في مقدمة الوفود التي تمثل الشعب :

١ - وفد الرهبانيات واوفرها عدداً وفد الرهبانية اللبنانية التي ينتمي اليها الاب المطوب وعلى رأسه قدس الاباتي يوسف طربيه رئيسها العام .

٢ - وفد الصحافة يرافقه البحاثة الاستاذ يوسف ابراهيم يزبك الذي كلف تزويد الوفد بما يسعه ان يجمع له من معلومات .

٣ - وفود المغتربين يتقدمها المغترب السيد ميشال الخوري الذي يملك ١٢٠ داراً للسينما في المكسيك .

٤ - وفود الجمعيات الخيرية يتقدمها السيد جان ابو جوده من اركان المجلس الخيري الماروني في بيروت .

٥ - وفد جبيل اكبر الوفود الشعبية والذي كان عدد افراده يزيد على مئة شخص .

٦ - وفد الكحالة وفي مقدمته السيد انطوان ابو سيف يحمل علماً كبيراً للبنان وينشر سائر اعضائه لوحات واسعة كُتبت عليها عبارات تحيّي لبنان والفاتيكان والاب شربل .

٧ - وفد بقاعكفره مسقط راس الاب شربل يتقدمه الشيخ يوسف

مخلوف من انسبائه وقد جاوز عمره العقد الثامن واصطحب معه من قريته هدية للاب الاقدس من التين الناشف المجتنى من شجرات تين زرعها الاب شربل بيده وهو في فجر شبابه قبل دخوله الرهبانية .

٨ – جوقة جامعة الروح القدس في الكسليك التي قامت بالتراتيل المقتضاة في الحفلات وفيها ما وضع خصيصاً لهذه المناسبة كلها على اجمل ايقاع انشدت بمصاحبة الارغن والبيانو وباللغة العربية ووفقاً للطقس الماروني ، وهو ما أذن به لاول مرة في كاتدرائية القديس بطرس .

٩ – الذين شفاهم القديس بمعجزاته ، اخصهم الراهبة ماري ابيل من حمانا ومن راهبات القلبين الاقدسين ، التي ابرأها من شلل لازمها ١٥ سنة ، والسيد اسكندر عبيد من بعبدات الذي اعاد اليه بصره بعد ان غرزت فيه شظية من شجر شربين وأتلفته اتلافاً تاماً . والاعجوبتان هما اللتان استند اليهما المجمع في اقرار التطويب .

وقد قدّرت سلطات الامن في مطار رومية عدد اللبنانيين الذين جاءوا المدينة بطريق المطار للمشاركة في حفلات التطويب بأكثر من ثلاثة الآف شخص نوزعوا على تسعين فندقاً عدا الذين نزلوا في الاديار ومعاهد العلم والبيوت الخاصة بأقاربهم واصدقائهم من ابناء الجالية اللبنانية الذين يقطنون رومية .

صور الاب شربل :

وكانت صور الاب شربل المختلفة النوع والحجم تتداولها الايدي مما وزعته الرهبانية اللبنانية وقد ازدانت الكاتدرائية برسوم له زينية غاية في الاتقان نذكر منها :

١ – صورة علقت في صدر الكاتدرائية فوق المذبح الكبير وغطيت بستارة بحجم ٢٧٠ طولاً و ١٩٠ عرضاً تمثله واقفاً ويداه مرفوعتان الى فوق كأنهما تستهطلان النعم ، وعيناه شاخصتان الى السماء من حيث تهبط عليه اشعة من نور .

٢ – صورة وضعت الى الجهة اليمنى من ضريح القديس بطرس ملونة

تمثل الاعجوبة التي تمت بالراهبة ماري ابيل ، وصورة الى الجهة اليسرى من نوعها تمثل الاعجوبة التي تمت بالسيد اسكندر عبيد . وقد شوهدا كلاهما اي الراهبة وعبيد خلال الحفلات يسجدان على مقربة من الصورتين وعلى وجهيهما امارات التأثر الشديد . وقد قدما للبابا فمنحهما بركة خاصة .

٣ - ونصبت عند مدخل الكاتدرائية في مكان يشرف على ساحة القديس بطرس صورة زيتية كبيرة للطوباوي من صنع الرسام الايطالي الكنسي المعروف برنيني . قيل ان تكاليفها بلغت اربعين الف ليرة لبنانية . وقد بقيت هذه الصورة طوال الايام الثلاثة للاحتفالات مضاءة بالكهرباء والناس يقفون امامها خاشعين ويتبركون بالنظر اليها . وشوهدت في مكان آخر من الساحة صورة زيتية كبيرة للاب شربل من صنع الفنان اللبناني اسعد رنو جاء بها صباح يوم التطويب وبعد نهاية الحفلات رفعها تقدمة الى صاحب القداسة طالباً منه الدعاء والبركة .

حفلة قبل الظهر

وفي الساعة العاشرة قبل الظهر ووسط عاصفة من الهتاف والتصفيق وصل الى الكاتدرائية موكب صاحب النيافة والغبطة الكردينال البطريرك الماروني بطرس المعوشي مؤلفاً من شخصه الجليل معتمراً بالتاج ومن يحيط به من احبار الطائفة وبعض علية اكليروسها وكلهم بالملابس الحبرية ووراءهم جمهرة من امناء السر والاتباع ساروا في صحن الكاتدرائية بين الصفوف المتراصة من الجانبين تواً الى المكان المعدّ لهم امام المذبح الكبير حيث أدوا السجود وتلوا صلاة وجيزة وجلسوا يصغون الى براءة التثبيت .

براءة التثبيت

وكان الرئيس العام للرهبانية اللبنانية التي ينتمي اليها الاب شربل وفريق من معاونيه يجلسون الى جانب المذبح على مقربة من الشخصيات الرسمية والكرادلة والدبلوماسيين فنهض منهم الاب عبد الاحد شاهين وطلب

باسم الرهبانية ان تتلى هذه البراءة .

فاجابه الى طلبه سيادة المنسنيور هاميلتوس تشيكونياني وزير الدولة الفاتيكانية وتلاها باسم صاحب القداسة البابا بولس السادس وباللغة اللاتينية وهي تقع في ست صفحات كبيرة وعلى غلافها الشعار البابوي مرسوماً بماء الذهب وقد كتبت باسم البابا وعن لسانه ، وهذه خلاصة ما جاء فيها :

« ان دعوى تطويب الاب شربل مخلوف بدأت على اثر العجائب التي اجترحها ، فساندها اولاً البابا بيوس الثاني عشر ، ثم عطف عليها البابا يوحنا الثالث والعشرون ، وتلقيناها نحن باهتمام خاص في ١٥ تموز من سنة ١٩٦٥ ، واعلنا صحة الاعجوبتين في ٢٢ تشرين الثاني من السنة نفسها ، ثم وافق عليها بدوره مجلس الطقوس » .

وبعد ان عدّد صاحب القداسة فضائل الاب المطوّب ، معلناً اغتباط الكنيسة الغربية بالابن البار الذي قدمته لها احدى الكنائس الشرقية ، المعتبر بمثابة صلة وصل علوية تساعد الشرق والغرب على العودة الى الارتباط معاً في هذا العهد بوحدة متينة العرى ، استطرد يقول :

« ونحن في ٢ كانون الاول من هذه السنة ١٩٦٥ امرنا بما لنا من سلطان بان يعلن الاب شربل مخلوف في عداد الطوباويين ، وبأن يعرض جثمانه على مرأى من الملأ للتبرك . كما اننا نحذر من اية مخالفة للقوانين المرعية بهذا الخصوص ، واخيراً نأمر بان يبلغ هذا المرسوم الى المراجع المختصة في مجمع الطقوس ، معربين عن تهانينا القلبية للرهبانية اللبنانية وللكنيسة المارونية ، ولجميع ابنائنا في الشرق » .

وكانت مكبرات الصوت تنقل محتويات هذه البراءة الى الجماهير التي استقبلتها بالفرح والتصفيق والهتافات العالية : ليحي البـــابا ! ... ليحي شربل ! ... وتتابعت الهتافات على الاثر لدى رؤية الستارة ترفع عن صورة الطوباوي التي تقدم انها علقت في صدر الكاتدرائية على مذبحها الاكبر .

ومن مآثر دار الاذاعة ودوائر التلفزيون في لبنان انها عملت على

تسجيل حدث فريد في نوعه وهو قيام دار الاذاعة بنقل وقائع الاحتفالات من حيث جرت الى لبنان بكل جلاء ، وقيام دوائر التلفزيون بنقل المشاهد على احسن ما يكون من الوضوح ، مما استوجب لها الشكر بكل لسان .

القداس

ومن ثمّ بدأ صاحب النيافة والغبطة البطريرك الماروني ومرافقوه الاساقفة الاثنا عشر تلاوة القداس فاصغى اليه الحاضرون بخشوع ، وكان احد الكهنة يعلن عنه بعض ايضاحات باللغة اللاتينية ، ليكون الجمع على بيّنة منه ، بينما كانت جوقة الجامعة الرهبانية في الكسليك تقوم بالخدمة وبغيرها من الترانيم بالحان غاية في الروعة ، وفي اثناء ذلك كان فريق من الرهبان اللبنانيين يطوفون على الحضور ويوزعون عليهم بعض هدايا من كتب ونشرات تتضمن لمحة عن حياة شربل وتبين بعض فضائله ومعجزاته ويقدمون لهم بركات وذخائر اخذت عن قبره من آثاره .

وبعد القداس تفرق الجميع على ان يجتمعوا الساعة الخامسة بعد الظهر في احتفال تكريمي يحضره صاحب القداسة .

الاحتفال التكريمي

وفي الموعد المضروب غصت الكاتدرائية ثانية بالمتوافدين كما كانت في الصباح ، وفي تمام الساعة الخامسة والنصف وصلها صاحب القداسة البابا بولس السادس في موكب فخم محمولاً على العرش فاستقبلته الجماهير بالهتاف ليحي البابا ! ... بينا كان هو يرفع يديه ويبارك بهما الجموع يميناً ويساراً ، ووجهه المتهلل ينبيء عما يكنه لهم من عواطف الابوة والحب .

زياح القربان

وعندما اقترب من المذبح الكبير نزل عن عرشه وخرّ ساجداً على مركعه الخاص يصلي في حين كان صاحب النيافة والغبطة الكردينال

البطريرك المعوشي قد باشر زياح القربان المقدس على الطقس الماروني .

وبعد انتهائه واعطاء البركة ثلاثاً بالشماع ، جلس الاب الاقدس على عرشه وتقدم منه ممثلو الرهبانية اللبنانية وقدموا لقداسته الهدايا التالية :

الهدايـــا

اما ما كانت هذه الهدايا فهي التالية :

١ - ذخيرة ثمينة من عظام الطوباوي موضوعة في صوان من فضة ، مزخرف بالذهب على شكل ارزة .

٢ - صورة بالزيت للطوباوي من عمل فنان ماهر تمثله واقفاً

٣ - ايقونة ذهبية كبيرة عليهـا صورة الطوباوي واسمه باللغتين العربية واللاتينية .

٤ - باقة من زهر تمثل العلم اللبناني .

٥ - اربعة كتب في حياة الاب شربل (عربية وايطالية وفرنسية واسبانية) مجلدة بفرو غزال مع باقة غلابول بشكل ارزة .

٦ - واهديت الكرادلة والبطاركة والاحبار الذين كانوا يومئذ في رومية لحضور المجمع المسكوني ذخائر ذهبية يضم كل منها « نسلة » من ضلعين للاب شربل نزعها الاطباء لاجراء التحليلات الطبية عليها بناء على طلب مجمع الطقوس بواسطة السفير البابوي في لبنان .

خطابا المعوشي والبابا

وبعد ذلك تقدم صاحب النيافة والغبطة البطريرك المعوشي فألقى خطاباً بالفرنسية شكر فيه الاب الاقدس ، وهذا بعض ما جاء فيه :

« اني ارفع اخلص عواطف الشكر الى صاحب القداسة لتفضله باعلان طوباوية الاب شربل مخلوف الذي عاش حياة طاهرة محافظاً بكل تدقيق

على تقاليد الحياة النسكية الشرقية ، رامزاً باتحاده مع الله الى وحدة لبنان الوطنية ، وبصموده في مزاولة الفضائل الى صمود اللبنانيين في ايمانهم وعقائدهم » .

وختم اخيراً بالتعبير عن امتنان الكنيسة المارونية وسائر اللبنانيين على اختلاف طوائفهم الى ان قال : « اني اسأل الله بشفاعة الطوباوي شربل ومن سجلهم صاحب القداسة البابا بولس السادس وسيسجلهم معه في عداد القديسين والطوباويين ، ان يمده بالقوة لكي يقود سفينة بطرس الى ميناء العدل والحرية والطمأنينة ، وان يهدي البشرية الى حقيقة المسيح الذي هو الالف والياء ، والينبوع الوحيد لسعادة الانسان الكاملة الحقيقية » .

وقد اجاب صاحب القداسة الاب الاقدس على السيد الكردينال البطريرك بخطاب جليل يسرنا ان نصوغ من درره عقداً نزين به خاتمة هذا الكتاب قال :

« بفرح كبير تهلل السماء وترتل الارض ، لتطويب شربل مخلوف الناسك والراهب اللبناني الماروني .

« كبير هو فرح الشرق والغرب بابن لبنان هذا ، زهرة القداسة العجيبة ، التي تفتحت على اغصان التقاليد الرهبانية القديمة في الشرق ، والتي تكرمها اليوم كنيسة رومية .

« حقاً انه لفرح عظيم ، يفيض اليوم اولاً بين ابناء القديس مارون ، كما اكده بقوة كبيرة اخونا الجليل الكردينال البطريرك بولس بطرس المعوشي في كلمات عميقة نشكره عليها اجزل الشكر ، ثم بين الرهبان الموارنة والكاثوليك واللبنانيين عامة ، لذلك يطيب لنا ان نحيي اعضاء الوفد اللبناني ، الذي انتدبته الحكومة اللبنانية لهذه المناسبة ، كما نحيي ايضاً سائر الوفود .

لقد تأثرنا كثيراً لهذه البادرة اللطيفة يبديها اللبنانيون ، فان حضور هذا الجمع الغفير منهم يعيدنا حتماً الى تذكر ذلك الاستقبال الحار الذي خصنا به لبنان باجمعه دون تمييز بين عنصر ودين يوم توقفنا في بيروت

ونحن في طريقنا الى بومباي . الا فليقبلوا جميعا شكرنا الحيم لهم الصادر من شغاف قلبنا .

« ان هذا الحشد من ابناء لبنان النبيل وبناته ، من لبنان المعدود ملتقى طرق في غاية الامتياز ، ونقطة لقاء تقليدية تاريخية بين افريقية وآسية واوربة ... ان تجمع ابنائه اليوم حول ضريح القديس بطرس لدليل راهن على خطورة العمل الذي قامت به اليوم الكنيسة الكاثوليكية .

« وها نحن عند اختتام المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني نرى اسم ناسك من الجبل اللبناني يُدوّن في عداد الطوباويين ، وهو اول رجل من الشرق يرفع على المذابح ، وفقاً للقوانين العصرية الجديدة في الكنيسة الكاثوليكية ، بما هو كنز كبير للوحدة بين الشرق والغرب ، ودليل راهن على الاخوة الكهنوتية بين مسيحيي العالم بأسره » .

وبعد ان المع صاحب القداسة الى فضائل الاب شربل وابتهالاته التي كانت تصعد كرائحة زكية الى الله لعزة لبنان وسعادته ختم قائلاً :

« ان هذه الامثولة السامية التي بلّغنا اياها شربل مخلوف ، الذي ملأ صيته الكون ، لمدعاة تحكم جميعاً على حسن فهمها ، ووضعها موضع التحقيق ، وبينا نحن نقتدي به ونلجأ الى شفاعته ، نستهطل عليكم جميعاً غيث النعم السماوية ، ونباركم بركة ابوية ، ونبارك لبنان » .

وبعد هذين الخطابين غادر صاحب القداسة الكاتدرائية وتفرق الحاضرون وهم على غاية ما يكون من الخشوع والتأثر .

وعلى الاثر فوجىء اعضاء الوفد اللبناني الرسمي بدعوة معجلة من صاحب القداسة للاجتماع بهم في ديوانه الخاص الساعة السادسة والنصف من مساء يوم الاحتفال نفسه بعد ان كان هذا الاجتماع قد عين في مساء اليوم التالي .

وقد عرف ان صاحب القداسة غير موعد المقابلة بسبب وعكة طارئة اصابته وادت الى ارتفاع حرارته درجة واحدة ، وقد دامت المقابلة ١٢ دقيقة ، صافح فيها صاحب القداسة اعضاء الوفد جميعاً ، مشيداً بلبنان ، ووحدة بنيه داعياً لهم وله بدوام العزة والراحة .

كلمة ختام

وهنا اراني قد وصلت في كتابي الى آخر المطاف ، ولم يبقَ لديَّ ما اقوله سوى كلمة اخيرة اودع بها القارىء الكريم ، واستميحه عذراً عما لعله وقع عليه من خطأ او تقصير في اثناء ما مرَّ به من مواضيع . فالعصمة لله وحده .

ولا مندوحة لي بعد ذلك عن ان اوجه خالص الشكر الى الذين استقيت من مناهلهم ، وأناروا امامي الطريق بملاحظاتهم وارشاداتهم ، ووجهوا الي عبارات التنشيط على اقتحام موضوع شائك ، وساعدوني على اخراجه الى عالم النور .

وفي صدر هؤلاء صاحب القداسة البابا بولس السادس الذي ، حين تشرفت بمقابلته وحدثته عن الكتاب ، اظهر ارتياحه الى موضوعه وشدد عزيمتي على المضيّ فيه ، واصحاب الغبطة والسادة البطاركة ورؤساء الاساقفة وكبار رجال الدين ؛ فقد تصفحه بعضهم وهو مخطوط ووجهوا الي رسائل ابوية قرظوه فيها (وقد نشرت بعضها في صدر الكتاب) فكانت مما جعلني استسهل كل صعب في اخراجه الى عالم النشر .

ولا يسعني ايضاً الا ان اخص بالشكر القلبي صاحب الفخامة رئيس الجمهورية الاستاذ شارل حلو . فقد اطلعته على نسخته الخطية قبل ان أسند اليه منصب الرئاسة فأثنى على مضمونه وكان ثناؤه من اهم تلك المنشطات على اخراجه .

كذلك يوجب عليّ عرفان الجميل ، قبل اقفال هذا الباب ، ان اوجه اخلص عواطف امتناني الى آباء الرهبانية المخلصية الاجلاء وعلى الاخص الى احدهم الاب سمعان نصر مدير مجلتهم « الرسالة » ، الذين اعانوني على نشر هذا الكتاب في مطبعتهم العامرة بما هو معروف عنهم من غيرة على العلم والادب ، ولاسيما على نشر كل بحث يمت بصلة الى خدمة لبنان والكرسي الرسولي ويساند الروح والفكر والقيم المعنوية وهي صفة خاصة لكل منها .

واخيراً اسأل الله ان تظل تواصل تلك العلاقات الولائية بين لبنان والفاتيكان التي خصصت بها هذا الكتاب ، وان يقوم بعدي من يعنى بتدوين ما يجدّ منها بين الجانبين في قابل الايام تكملة لموضوع هو ، على ما قدمت مراراً ، صفحة ذات قيمة من تاريخنا الوطني ؛ فضلاً عما له من طابع معنوي يجمع بين لبنان والفاتيكان على صعيد واحد ويعود علينا بفائدة يساعدنا على تأدية رسالتنا الادبية على اكمل وجه ، وانماء ثروتنا الروحية والمعنوية ، وعلى ان نكون في عداد من يعملون مع الفاتيكان على تحقيق ما يهدف اليه صاحب القداسة البابا بولس السادس المالك سعيداً من الدعوة الى التعايش السلمي والاخوة البشرية بين الناس جميعاً من مختلف الالوان والبلدان وحسبنا بذلك فخراً .

الفهرس

العادة . ممثلون عاديون . قصادة بيروت اقدم القصادات .
حلول السفارة الرسولية محل القصادة .

